

ديوان حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين أحمد الزين ابراهيم الإبياري

الجزء الثاني

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثى ، قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى



المكتبة القومية المصرية المسماة للكتاب

١٩٨٠

الطبعة الثانية



الجزء الثاني

المحتويات

| صفحة | |
|------|---------------------------------------|
| ٥ | السياسيات |
| ١١٢ | الشكوى |
| ١٣١ | المراثى |
| ٢٤٩ | قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى |

السِّيَاسِيَّاتُ

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

(١) رُوِيَكَ حَتَّى يَخْفُقَ الْعَلَمَانِ « وَتَنْظُرَ مَا يَجْرِى بِهِ الْفَتَيَانِ
(٢) لَهَا مِصْرُ كَالسُّودَانِ لُقْمَةُ جَائِعٍ « وَلَكِنَّا مَرْهُونَةٌ لِأَوَانِ
(٣) دَعَانِ وَمَا أَرْجَفْنَا بِاحْتِمَالِهِ * فَلَأْتِ بِمَعْكَرِ الْقَوْمِ « شِقْ زَمَانِ
أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالْهِنْدَ وَاحِدًا « بِهَا اللَّزْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ
(٤) وَأَكْبَرُ ظَنِّى أَنْ يَوْمَ جَلَائِهِمْ « وَيَوْمَ تُشَوِّرُ الْخَلْقَ مُقْتَرَانِ
(٥) إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مُزِيدٍ « وَخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ لِلْحَدَثَانِ

- (١) الفتیان : اللیل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ،
ويكل للانجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .
(٢) يشير بهذا البيت الى توقع اخذ مصر كما اخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة
الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .
(٣) ما أَرْجَفْنَا ، أى ما خضنا فيه من القول الذى لم يصح . وباحتماله ، أى باحتمال وقوعه
وبتحققه ؟ وهو جلاء الانجليز عن مصر . ويريد « بالقوم » : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى
قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كبرى أنوشروان . (٤) يوم النشور : يوم القيامة .
(٥) غاض الماء : غل فغضب . والأواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحداثان
(بحركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

(١)
وعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ . وَحُكِّمَ فِي الْهِسْجَاءِ كُلِّ نِيْمَانِي
(٢)
هُنَاكَ أَذْكُرَا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَا * نِيْمَا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْهَرْمَانِ

إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(عبد العزيز) لقد ذَكَّرْتَنَا أُمًّا * كَانَتْ جَوَارِكَ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرْبِ
ذَكَّرْتَنَا يَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضُ أَنْدَلُسِ * الْحَرْبُ فِي الْهَابِ وَالسُّلْطَانُ فِي اللَّيْبِ
فَا حَذَرُ عَلَى التَّخْتِ أَنْ يَسِيرَ الْحَرَابُ لَهُ * فَتَخْتُ (سُلْطَانِيَّة) أَعْدَى مِنَ الْحَرْبِ

(١) السمهرى : الرخ الصلب ، أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح ، والهبياء : الحرب ، والنيمانى : السيف ، نسبة الى النين ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .
(٢) هناك اذكرا : بجواب «لإذا» فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت امارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ ، أو وقع المستخيل ، فماد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظروا اذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراکش ، هو ابن السلطان مولاي الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ .
تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م .
وكان معروفا بالإخلاص الى المحبون واللهو ، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فسافر اليه جماعة منهم ، فأنكر عليهم المسهلون فعله ، لاسيما مصر ، وكتبت الصحف مستهجة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول فى هذا البيت : سرير السلطان ، وهو معزب ، وبالثانى : تخت الفناء ، تسمية حامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الفناء التى سافرت الى سلطان مراکش .

غادة اليابان

ضمنها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

- (١) لا تَلَمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالْدَّهْرُ أَبِي
رُبَّ سَاجٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ * أَخْطَا التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
(٢) مَرَحِبًا بِالْخَطْبِ يَبْلُونِي إِذَا * كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا
(٣) عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنِّي * أَوْثِرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا
(٤) إِيهِ يَا دُنْيَا أَحْبِسِي أَوْ فَابْسِمِي * لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خُلْبَا
أَنَا لَوْلَا أَنِّي لِي مِنْ أُمْتِي * خَاذِلًا مَا يَثُ أَشْكُو النُّوبَا
(٥) أُمَّةٌ قَدَفَتْ فِي سَاعِدِهَا * بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرْبَا
تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا * وَتَفْدِي بِالنَّفْسِ الرَّتْبَا
(٦) وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا * تَعَشَّقُ اللَّهْوُ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
(٧) لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا * أَمْ بِهَا صَرَفُ اللَّيَالِي لَعِبَا

- (١) نبا السيف : كل وأرتد . (٢) يبلول : يخترق . (٣) عقه : ترك الاحسان
اليه ولم يبره . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ؛ ولولا أنني أوثر الاحسان لهجرت
الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم .
(٥) فت في ساعدها : عبارة يكتن بها عن الإضعاف وإيهان القوى . (٦) والأحداث
تستهدفها ، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه . (٧) يريد « بالقوم » : الانجليز .
وصروف الليالي : غيرها ونواحيها . أي أنها لا تعبا بحوادث الزمان تصيبها من المختلين أو من الدهر .

(١)
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً * ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبًا
(٢)
كَنتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً * وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
ذَاتَ وَجْهِ مَرْجَ الحُسْنِ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِي اليَهُودَ الذُّهَبَا
حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً * لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
(٣)
وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتًى * وَهَلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَا
(٤)
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْغَرٍ بِاسْمٍ * نَظَّمَ الدُّرْبُ بِهِ وَالْحَبِيبَا
(٥)
تَبَيَّنُونِي بِرَجِيلٍ عَاجِلٍ * لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
(٦)
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي * عَلَيَّ أَقْضَى لَهُ مَا وَجَبَا
(٧)
نَدَّيْتُ الدُّبَّ وَتَفَرَّى جِلْدَهُ * أَيْظُرُ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا
(٨)
قُلْتُ وَالْآلَامُ تَفَرَّى مُهَجَّتِي : * وَيَا وَيَا ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا ؟
مَا عَيْدُنَاهَا لَظِي مَسْرَحًا * يَتَنَحَّى مَلَهَى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
(٩)
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوسًا تُشْتَرَى * بِالْثَمَنِ أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى

(١) يقال : شجاء شجوا، اذا هيج أحزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٣) والليل فتى، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبب فى مهد .

(٤) الحبيب : الفقايع التى تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب :

العودة والرجوع . (٦) أغتدى، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف

به روسيا، كما تعرف إنجلترا بالأسد، واليابان بالثمين، وألمانيا بالنسر . وتفرى : نشق . ويشير بهذا البيت

الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر

سنة ١٩٠٥ م . (٨) الظبا : الغلباء، وقصر الشعر . (٩) تستبى : تؤسر بالحلب .

(١) أَحْسَبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا * أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟
 (٢) فَسَلِّينِي ، إِنِّي مَارِسْتُهَا * وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبَا
 (٣) وَتَقَعَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا
 (٤) قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا * فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
 (٥) جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أُنْحَائِهَا * تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى
 (٦) فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا * وَالزَّمَى يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ الْخَبَا
 (٧) فَأَجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعَنِى * وَأَرَتْنِي الظُّبَى لَيْثًا أَغْلَبَا
 إِنِّ قَوِّى أَسْتَعَذَّبُوا وَرَدَّ الرَّدَى * كَيْفَ تَدْعُونِى إِلَّا أَشْرَبَا؟
 (٨) أَنَا يَا بَانِيَّةُ لَا أَتَّكِنِى * عَنْ مُرَادِى أَوْ أَذُوقَ الْعَطْبَا
 (٩) أَنَا إِنِّ لَمْ أَحْسِنِ الرُّمَى وَلَمْ * تَسْتَطِعْ كَفَاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا

- (١) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهى حدة السنان . (٢) مارستها : عانيتها .
 (٣) تقعمت الردى : ربيت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرة وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكثر والقر فيها .
 (٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيدبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جمد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .
 (٦) البان : شجر سبط البقوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخباء (بالضمة) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبرأوصوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها خضبت من تقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعته لشدة وقسوته ، واستعالت من ظبى وادع إلى أسد قوى .
 (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حدة السيف أو السنان .

(١) أَخْدِمُ الْجَرَحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ * وَأُوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
 (٢) هَكَذَا (الْمِيكَادُ) قَدْ عَلِمْنَا * أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمًّا وَأَبَا
 مَلِكٍ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ * أَنَهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 (٣) وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ * حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قَلْبَا
 كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا * وَجَلَالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
 فَعَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا * وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا
 (٤) بَعَثَ الْأُمَمَ مِنْ مَرَقِيدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَّأَبَا
 (٥) فَسَمَتْ لِلْجِدِّ تَبْنِي شَأُوهُ * وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا

(٦) الحرب اليابانية الروسية

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

(٧) أَسَاحَةُ الْحَرْبِ أَمْ تَحْشَرُ * وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟
 (٨) وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى * أَرَبَائِهِمْ ، أَمْ نَعَمْ تَحْشَرُ؟

- (١) الوعى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب الملك اليابان .
 (٣) الحَوْل : الشدائد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .
 (٤) تدأب : تبحر في طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان
 والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسي في ميناء بورت آرثر
 في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت في سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان في كوريا ،
 وبجلاء الروس من منشوريا ، وبشروط أخرى في صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر في الجنة .
 شبه (في الشطر الأول) كثرة المتحاربين وأزدحامهم على القتال بازدهام الناس يوم المحشر ، وشبه في الشطر الثاني
 استعداد الناس للوئ بالموء باستعدادهم للكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاة والبقرة : يريد أن الأرواح قد رخصت
 في هذه الحرب وكثر القتل في الجنود حتى لم تبق إن كان هؤلاء بشرًا يجب حقن دماهم أو أنلأ ما تحمر .

لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأَلَى * قَامُوا بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَأَسْتَأْذِنُوا !
 (١)
 وَغَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ * فَأَمَعْنُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا
 (٢)
 قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ * لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يَنْصَرُوا
 (٣)
 وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتَانِهِمْ * لَا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَنْظَفِرُوا
 (٤)
 فَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا * حِينَ آلَتْقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ
 وَأَتَمَّتْهَا نَحْمَةً مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِهَا (الْمِيكَادُ) وَالْقَبْصَرُ
 (٥)
 وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أُخْتَهَا * إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ
 (٦)
 وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفَانَهَا * لَعَلَّهَا مِنْ رَجْسِهَا تَطْهَرُ
 (٧)
 أَشْبَعَتْ يَأْخَرُ ذِئَابَ الْفَلَا * وَغَضِبَتْ الْعِقَابُ وَالْأَنْسَرُ
 (٨)
 وَمِيرَتِ الْحَيْثَانُ فِي بَحْرِهَا * وَمَطْمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ
 (٩)
 إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَقِي * وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يُفْهَرُ

- (١) آمن : بالغ وأبعد . (٢) يريد « بالبيض » : الروس .
 (٣) يريد « بالصفير » : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض :
 بجبالها . (٥) الضمير في « أشبهت » للأرض . ويريد « بأختها » : السماء .
 (٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعري :
 والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من دون تغسل
 (٧) غصت : امتلأت وجمت . والعقaban : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع
 فسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أقي لها
 بالميرة ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحسد ولا يقتهى . (٩) التنين : الحية
 العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبيض لا ترضى بخذلانها * والصفر بعد اليوم لا تكسر^(١)
 فما لتلك الحرب قد شمرت * عن ساقها حتى قضى العسكر^(٢)
 سالت نفوس القوم فوق الطبا * فسالت البطحاء والانهر^(٣)
 وأصبحت (مكدن) ياقوتة * يغار منها الدر والجوهر^(٤)
 ياقوتة قد قومت بينهم * بأنفس كالقطر لا تحصر^(٥)
 أضحى رسول الموت ما بينها * حيرت لا يدري بما يؤمر^(٦)
 عزيريل، هل أبصرت فيما مضى * وأنت ذاك الكيس الأمهر^(٧)
 كذلك المدفع في بطشه * إذا تعالى صوته المنكر^(٨)
 ترأه إن أوفى على مهجة * لا الدرع يثنيه ولا المغفر^(٩)
 أمسى (كروبتكين) في غمرة * وبات (أوياما) له ينظر^(١٠)

- (١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعة والقوة ، وصممتا كاتهما على ألا تخذل ، فقيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون متصرو ومنهزم . (٢) الطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دفاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المنسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة في منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التي بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتل وجرح ، وأسرفها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء ترمى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأفنى » في هذا البيت : من قتل في هذه المدينة من الفريقين . (٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة . (٧) كروبتكين : قائد الروس في تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التي تنمر الناس ، أى تعبهم وتشلهم .

وظَلَّت (الرُّوسُ) عَلَى جَمْرَةٍ * وَالْمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلَا فَاصْبِرُوا
 وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ * حَتَّى عَمْرَاهُ الْقَزْعُ الْأَكْبَرُ^(١)؟
 أَكَلَهَا لَاحَ لَهُ سَائِحٌ * تَحْتَ الدُّجَى أَوْ قَارِبٌ يَخْمُرُ^(٢)
 ظَنُّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ * تَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبَرُ^(٣)؟
 تَحِيَّةً مِنْ وَاجِدٍ شَيْقٍ * أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَزْفِرُ^(٤)
 فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ * مَا تُعْلِنُ الْحَرْبُ وَمَا تُضْمِرُ^(٥)؟
 فَكَمْ قَتِيلَ بَاتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتَابُهُ الْأُظْفُورُ وَالْمَنْسَرُ^(٦)
 وَكَمْ جَرِيحٍ بَاسِطٍ كَفَّهُ * يَدْعُو أَخَاهُ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ
 وَكَمْ غَيْرِيٍّ رَاحَ فِي لُحَّةٍ * يَهْوِي بِهَا الطُّودُ فَلَا يَظْهَرُ^(٧)
 وَكَمْ أَسِيرٍ بَاتَ فِي أَسْرِهِ * وَنَفْسُهُ مِنْ حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
 إِنْ لَمْ تَرَوْا فِي الصُّلْحِ خَيْرًا لَكُمْ * فَالْدَّهْرُ مِنْ أَطَاعِكُمْ أَقْصَرُ

- (١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يخمر : يشق عباب الماء .
 (٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذي نسف أسطول بحر البلطيق
 الروسي في موقعة تسوشيا في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس في هذه الحرب .
 (٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛
 ولا يخفى ما في هذا من التهم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو ناعم مطمئن في قصره
 بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فيثنيه ذلك عن إثارته والاستمرار فيها . (٦) الأظفود :
 الظفر . والمنسر (كيجلس ومنبر) : منقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة
 والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر ، والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث
 لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوْنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصَبَحَتْ * تَدْعُو رِجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا
 أَتَى عَلَى الشَّرْقِ حَيْثُ إِذَا * مَا ذَكَرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ
 وَمَسَّرَ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا * يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَحْطُرُ
 حَتَّى أَعَادَ (الصُّفْرُ) أَيَّامَهُ * فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ
 فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أُمَّةٍ * يَرَوِي لَهَا التَّارِيخُ مَا يُؤَثِّرُ^(١)

الى الامبراطورة أوجيني^(٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لافتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظّموا في هذه الامبراطورة، وروازنوا بين مجيئها إلى مصر متكرة نزل في فندق سافواى ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا نفعا .

[نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يَوْمُ (القَنَالِ) يَا رَبَّةَ النَّا * ج وَيَا شَمْسَ ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ ؟^(٣)
 أَيْنَ مُجْرَى الْقَنَالِ أَيْنَ تُمِيتُ الـ * حَالِ أَيْنَ الْعَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ ؟^(٤)

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر، يحسر عليها ويندب ما ضياعها .

(٢) ولدت أوجيني في غرناطة في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفي ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث ؛ وكانت فيمن حضر إلى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد ألتقى الخديوى اسماعيل باشا في استقبالها الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا إلى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت في ١١ يولييه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى . وإمالة المال : تخاية عن الإسراف والالتساع في البذل .

- (١) أين هَارُونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشد * ببالِ رَبِّ القُصُورِ رَبِّ القِيَانِ؟
 (٢) أين لَيْثُ الْجَزِيرَةِ (ابنُ مَلِيٍّ) * واهِبُ الألفِ مُكْرِمُ الضَّيْفَانِ؟
 أين ذا القَصْرِ بِالْجَزِيرَةِ تَجْرِي * فيه أَرْزَاقُنَا وَتَجْبُو الأَمَانِي؟
 (٣) فيه لِلنَّحْسِ كَوَكَبٌ مُسْرِعُ السَّيِّ * يَرُو السَّعْدَ كَوَكَبٌ مُتَوَانِي
 (٤) قد جَرَى النِّيلُ تَحْتَهُ بِحُشُوعٍ * وَأَنْكَسَارٍ وَهَابَةٍ الْفَتَيَانِ
 كُنْتَ بِالْأُمَيْسِ جَنَّةَ الحُورِ يَا قَصْدَ * رُفَا ضَبَحْتَ جَنَّةَ الحَيَوَانِ
 (٥) خَطَرَ اللَّيْثُ فِي فِنَائِكَ يَا قَصْدَ * رُوقَدَ كُنْتَ مَسْرَحًا لِلْحَسَانِ
 (٦) وَعَوَى الذُّبُّ فِي نَوَاحِيكَ يَا قَصْدَ * رُوقَدَ كُنْتَ مَعْقِلًا لِلَّسَانِ
 (٧) وَحَبَاكَ الزُّوَارُ بِالْمَالِ يَا قَصْدَ * رُوقَدَ كُنْتَ مَصْدَرَ الإِحْسَانِ
 كُنْتَ تُعْطَى، فَمَالِكَ الْيَوْمَ تُعْطَى * أَيْنَ بَانِيكَ؟ أَيْنَ رَبُّ المَكَانِ؟
 إِنَّ أَطَافَتَ بِكَ الخُطُوبُ فَهَئِذِي * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

- (١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ، وشبه به إسماعيل في ترفه وجاهه وشمعة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والثناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات . (٢) يشير بقوله : « لَيْثُ الْجَزِيرَةِ » الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذي صار حديقة الحيوان ، كما يشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن علي ، لأنه حفيد محمد علي . (٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكانه في غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب ، وفي رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، بطيء السير . (٤) الفتیان : الليل والنهار؛ يريد الدهر . (٥) القناء : الساحة . (٦) معقل للسان ، أى حابس له عن الكلام هيئة لصاحب القصر وخوفاً من بطلته . (٧) حياء : أعطاه . يشير الى ما يدفنه كل داخل الى حديقة الحيوان .

(١)
رُبَّ بَائِسٍ نَأَى، وَرُبَّ بِنَاءٍ * أَسَلَّمَتْهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَائِسٍ
(٢)
تِلْكَ حَالُ الْإِيوَانِ يَا رَبَّةَ التَّاءِ * جِ فَا حَالُ صَاحِبِ الْإِيوَانِ؟
(٣)
قَدْ طَوَاهُ الرَّدَى وَلَوْ كَانَ حَيًّا * لَمَشَى فِي رِكَابِكَ الثَّقْلَانِ
(٤)
وَتَوَلَّتْ حِرَاسَةَ الْمَوْكِبِ الْأَسَدُ * نَحَى نَجْمُ السَّمَاءِ وَالنَّيِّرَانِ
إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنِّ جَبِينِكَ تَاجٌ * كَانَ بِالْغَرْبِ أَشْرَفَ التَّيْجَانِ
فَلَقَدْ زَانِكَ الْمَشِيبُ بِتَاجٍ * لَا يُدَانِيهِ فِي الْجَلَالِ مُدَانِي
ذَلِكَ مِنْ صَنْعَةِ الْأَنَامِ وَهَذَا * مِنْ صَنِيعِ الْمُهَيِّمِينَ الدِّيَانِ
(٥)
كُنْتُ بِالْأَمْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ * فَأَنْزِلِي الْيَوْمَ ضَيْفَةً فِي خَانٍ
(٦)
وَأَعِدِّيْنَا عَلَى الْقُصُورِ، كَلَانًا * غَيْرَتُهُ طَوَارِيُ الْحِدَنَانِ

- (١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب باني الدار ويخلفه عليها من لم يذهب .
(٢) يريد « بالإيوان » : القصر، وهو في الأصل الصفة العظيمة ؛ أجمعى معرب .
(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى ما كان أعدّه لها اسماعيل باشا حين حضرت إلى مصر سنة ١٨٦٩ م ، في مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الخفاوة والإكرام .
(٤) الأسنى ، من السناء ، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .
(٥) الخان : الخافوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل في قصر ملك أصبحت تنزل في الفنادق حيث ينزل عامة الناس .
(٦) القصور : التقصير . والحديثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النواشب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكوتننتال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُّحِي مَعَانِيكَ الْقَرِيضُ الْمُهْدَبُ * عَلَى أَنْ صَدَرَ الشَّعْرُ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لَقَدْ مَكَنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً * لِعُثْمَانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَنْشَعِبُ^(١)
 بَنَاهَا فَظَنَّتْهَا الدَّرَارِيُّ مَنَازِلًا * لِبَذْرِ الدَّبَجِ بُنَى وَلِلسَّعْدِ تَنْصَبُ^(٢)
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ * فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَنُوهَا^(٣)
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ * وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا يَرْجَى وَيَرْهَبُ^(٤)
 أَسْوَدُ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْمِي مِرِينَهَا * وَتَرَعَى نِيَامَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ يَرْقُبُ^(٥)
 لَهَا وَثَبَاتٌ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا * كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا أَنْقَضَ كَوْكَبُ^(٦)
 إِذَا رَاعَهَا مَسٌّ مِنَ الضَّمِيمِ خَلَّتْهَا * كَمَنْ رَاعَهُ بِالْمَسِّ سِلْكٌ مُكْهَرَبُ^(٧)
 وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهِلَالُ لِحَادِثٍ * رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ^(٨)
 إِذَا ضَاءَتِ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لَمُعَرِقٍ * فَعُثْمَانُ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ لَهُمْ أَبُ

- (١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ١٢٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٩٩ هـ ، وتوفي سنة ١٣٢٦ هـ . وتعفو : تندثر وتحى . وتنشعب : تنفزع .
 (٢) الدراري (بتشديد الاء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد دري .
 (٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه منة وقوة . وأصل التطينب : شد الخيمة بالأطناب ، وهي الخبال .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أقهرها . (٧) يشير بقوله « يمشي ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذي له عرق وأصل في الكرم .

(١) وإن تاه بالأبناء والبائس والد * فأولى الورى بالثيه ذاك المعصب
 (٢) فهذا سليمان وقانون عنده * على صفحات الدهر بالتبر يكتب
 (٣) وذلك الذى أجرى السفين على الثرى * وسار له فى البر والبحر مركب
 (٤) على بايه العالى هناك تألفت * سطور لأقلام الجلالة تنسب
 (٥) هنا فأخفصوا الأبصار عرش محمد * هنا الفاتح الفازى الكى المدرب
 (٦) وما كان من (عبد المجيد) إذ أحتى * بأكافه (كوشوط) والخطب غيب

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ١٥٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ١٥٢٠ هـ . ومات سنة ١٥٧٤ هـ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .
 (٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبى . (٤) تألفت : أضاءت ولعت . (٥) الكى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ١٤٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ١٤٥٥ هـ . وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ١٤٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ، وتوفى بخاءة سنة ١٤٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .
 (٦) الغيب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ . وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ . بعد وفاة أبيه السلطان محمد ، وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ . ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده الى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، مابين بولونيين ومجريين ، التجأوا الى البلاد العثمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشئ الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدى النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشئة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ، وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعرضه فى ذلك سفير بريطانيا . إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ، ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

يُنَادِيهِمْ : أَمَا نَزِيلِي فِدُونَهُ * حَيَاتِي ، وَأَمَا صَارِي مُشْطَبُ^(١)
 فَإِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاؤُهَا * وَإِنْ كَانَتْ الْآخَرَى فَشُدُّوا وَجَرُّوا
 كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقِرُّونَ فِي الدَّرَا * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ تَشَقَّى وَتُنْكَبُ^(٢)
 فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَاْمَنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسَرَّى وَمَسْرَبُ^(٣)
 فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقُ * فَأَخْجَى أَمْتِيزَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ^(٤)
 يَقُولُونَ : فِي هَذِي الرُّبُوعِ تَعَصَّبُ * وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصَّبُ ؟
 فَيَا شَرْقُ إِنَّ الْغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فَفِيهِ مِنَ الصُّبَهَاءِ طَبَعٌ مُدَوَّبُ^(٥)
 — نَخَفَ بِأَسْمَا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي * وَخَفَ ضَعْفَهَا فِي الْكَأْسِ وَالْكَأْسُ تُطْرَبُ
 وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْقَضَاءِ فَيَرْسِبُ^(٦)
 أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَمَّا * عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)^(٧)

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذي فيه شطب ، وهي الخطوط والطرائق التي في نعله .

(٢) الدرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهي المكان المرتفع .

(٣) الضعير في « طلبوا » يعود على قوله « أعداؤهم » في البيت السابق . ومنهم ، أي من آل عثمان .

والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين

آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم في بلاد الشدء ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل

في الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

(١) حادثة دنشواي

[نشرت في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ م]

(٢)
أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا * هَلْ نَسِيتُمْ وِلَاءَنَا وَالْوِدَادَا
(٣)
خَفَضُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا * وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
(٤)
وَإِذَا أَعْوَزَتْكُمْ ذَاتُ طَوْقٍ * بَيْنَ تِلْكَ الرِّبَا فِصِيدُوا الْعِبَادَا
(٥)
إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ * لَمْ تُفَادِرْ أَطْوَأُنَا الْأَجْيَادَا
(٦)
لَا تَتَطَنَّوْا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ * أَرِشِدُونَا إِذَا ضَلَلْنَا الرِّشَادَا
(٦)
لَا تُقِيدُوا مِنْ أُمَةٍ بِقَتِيلٍ * صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
جَاءَ جَهَائُنَا بِأَمْرِ وَجِئْتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفِهِ قَسْوَةً وَأَشْتِدَادَا

(١) في يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواي بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ، فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فنارت نائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومي فيها ابراهيم الهلباوي بك المحامي المعروف ، وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وجلس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد في نفس البلد على مرأى وسماع من أهله ، وكان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفاس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسمى وحسرة . (٢) الخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز . (٣) جاب البلاد : قطعها . (٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها . (٥) يريد « بالأطواق » في هذا البيت : أغلال الأمر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد . (٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضباط الإنجليز كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنِ ضَنْتُمْ يَعْفُو * أَقْصَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنِ ضَنْتُمْ يَعْفُو * أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ جَادَا؟
 لَيْتَ شِعْرِي أَيْلَكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْ * تَيْش) عَادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُون) عَادَا؟^(١)
 كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوَى التَّشْفَى * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا؟
 إِنَّمَا مُثَلَّةٌ تَشْفُ عَنْ الْغِي * نَظَرٍ وَلَبَسْنَا لَغِيظِكُمْ أَنْدَادَا^(٢)
 أَكْرِمُونَا بَارِضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ * إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا^(٣)
 إِنَّ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ خَمِيسٍ * عَلَمَتْنَا السُّكُونُ مَهْمَا تَمَادَى^(٤)
 أُمَّةُ النَّيْلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى * مِنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى^(٥)
 لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا * حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ تَهَادَى

* *

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضُ هَذَا فَقَدْ بَلَغَتْ الْمُرَادَا^(٥)
 قَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِصْرٍ * وَضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا^(٦)

(١) تعرف محاكم النفثيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحقاقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في أسبانيا في آنرا أيامهم؛ حتى تم جلاؤهم عنها في سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ وما ينسب إليه أنه أرق مدينة روما، وكان يوم إحقاقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظور كأنما ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم) : التنكيل. وتشف : تكشف وتبين. والأنداد : النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة : السنة. (٤) أشفقت : خشيت. (٥) المدعى العمومي : إبراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير إلى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز في هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ * عَهْدَ (مِصْرِ) فَقَدْ شَفَيْتَ الْفُؤَادَا
 (١)
 لَا جَرَى النَّيْلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مِصْرُ) * وَلَا جَادِكَ أَلْيَا حَيْثُ جَادَا
 (٢)
 أَنْتِ أَنْتَبَتْ ذَلِكَ النَّبْتَ يَا (مِصْرُ) * فَأَضْحَى عَلَيْكَ شَوْكًَا قَتَادَا
 (٣)
 أَنْتِ أَنْتَبَتْ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمِّ * سِيسَ فَأَذْمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
 (٤)
 إِيهِ يَا مِدرَهَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ * سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
 أَنْتَ جَلَدُنَا فَلَا تَنْسَ أَنَا * قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْخِدَادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي^(٥)

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(٦)
 (قَصْرُ الدُّبَارَةِ) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُنَا * فَالْشَّرْقُ رِيحَ لَهُ وَضَحَّ الْمَغْرِبُ
 (٧)
 أَهْلًا بِسَاكِنِكَ الْكَرِيمِ وَمَرْحَبًا * بَعْدَ التَّحِيَّةِ إِنِّي أَتَعَبُ
 نَقَلْتُ لَنَا الْأَسْلَاكَ عَنْكَ رِسَالَةً * بَانَتْ لَهَا أَحْشَاؤُنَا نَتَلَهَّبُ

(١) الحيا : المطر . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالتألق » : المدعى العسوى في هذه القضية . والتعيق (بالعين المهملة ، وفي كتب اللغة أنه بالعين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمنكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التي وقعت في هذا البلد (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالبناء للجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب في هذا البيت القصر مریدا صاحبه . (٧) التعب ، هو تواصف الموجهة ، ومخاطبة المدين أخلاهم طالين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ماكره بعضهم من بعض .

- (١) ماذا أقول وأنت أضدق ناقل * عنا ولكن السياسة تكذب
 (٢) صلتنا معنى الحياة فما لنا * لا نشتري لها وما لك تغضب
 (٣) أقيم من أن محس ؟ وأما * هذا الذي تدعو إليه وتندب
 (٤) أنت الذي يعزى إليه صلاحنا * فيما تفسره لديك وتكتب
 (٥) إن ضاق صدر النيل عما هاله * يوم الحمام فإك صدرك أرحب
 (٦) أوكلما باح الحزين بأنه * أمست إلى معنى التعصب تنسب !
 (٧) رققا عيّد الدولتين بأمة * ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
 رققا عيّد الدولتين بأمة * ليست بغير ولاها تتعذب
 (٨) إن أرهقوا صيادكم فلعلمهم * للقت لا للمسلمين تعصبوا
 (٩) ولربما ضن الفقير بقوته * وسخا بمهجته على من يغضب

- (١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يعرفون جليلا . (٢) تشترب لها : تتطلع إليها . والأشرباب (في الأصل) : مد العنق للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه . (٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر في تقاريره من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة . (٦) الأنة : من الأنين ، وهو التآثر . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين في مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى . (٧) عيّد الدولتين ، أى عيّد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . ويريد « بالصيد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هناك . (٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هناك .

فِي (دِنْشَوَايَ) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ * لَعِبَ الْقَضَاءُ بِنَا وَعَمَزَ الْمَهْرَبُ
 حَدًّا، أَلْثُقُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بِدِيلَةٍ * قَتَسَابَقُوا فِي صَيْدِهِنَّ وَصَوَّبُوا^(١)
 نَكَبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ * لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْكَبُوا
 حَلِيَّتَهُمُ وَالْقَاسِطُونَ بِمُرْصِدٍ * وَسَيَاطُهُمْ وَجِبَالُهُمْ تَنَاهَبُ^(٢)
 جُلِدُوا وَلَوْ مَنِيَّتَهُمْ لَتَعَلَّقُوا * بِجِبَالٍ مِّنْ شُنُقُوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا^(٣)
 شُنُقُوا وَلَوْ مَنَحُوا الْخِيَارَ لَأَهْلُوا * بَلْغَى سَيَاطِ الْجَالِدِينَ وَرَجَبُوا^(٤)
 يَتَحَسَّدُونَ عَلَى الْمَمَاتِ، وَكَأُسُهُ * يَبْنِ الشِّفَاهِ وَطَعْمُهُ لَا يَعْدُبُ
 مَوَاتِنَ : هَذَا عَاجِلٌ مُتَمَرِّدٌ * يَرْنُو، وَهَذَا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ^(٥)
 وَالْمُسْتَشَارُ مُكَائِرٌ بِرِجَالِهِ * وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُحْزَبٌ^(٦)
 يَخْتَالُ فِي أَنْحَائِهَا مُتَبَسِّمًا * وَالْدَّمْعُ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَبَّبُ

(١) يقال : صَوَّبَ السَّهْمَ نَحْوَ الرَّمِيَةِ (بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ) ، إِذَا سَدَّدَهُ .

(٢) الْقَاسِطُونَ : الظَّالِمُونَ الْجَائِرُونَ عَنِ الْحَقِّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) . وَالْمُرْصِدُ : الْمُرْقَبُ .

(٣) مَنِيَّتُهُمْ ، أَيَّ خَيْرَتِهِمْ فَمَا يَتَمَنَوْنَهُ مِنْ أَخْفَى أَنْوَاعِ الْعَذَابِ .

(٤) أَهْلُوا وَرَجَبُوا ، أَيَّ قَالُوا : أَهْلًا وَمَرْجَبًا . وَمَعْنَى الْبَيْنَتَيْنِ : أَنَّ كُلًّا مِنْ جِلْدٍ وَشَتَقٍ رَأَى فِي عَذَابِهِ مِنْ الشَّدَةِ مَا تَمَنَّى مَعَهُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ عَذَابَ أَخِيهِ . وَاللُّغِيُّ : النَّارُ ؛ وَقِيلَ : طَبِهَا . (٥) الْمُتَمَرِّدُ : الْمُنَاقِضُ ، تَشْبِيْهُهُ بِالْفَرَسِ ، لِأَنَّهُ مِنْ عَادَتِهِ أَلَّا يَأْقَازَكَ دَائِمًا إِلَّا مُتَنَكِّرًا غَضْبَانًا . وَيَرْنُو : يَنْظُرُ .

(٦) يُرِيدُ «بِالْمُسْتَشَارِ» هُنَا : الْمُسْتَرَبِوْدَ الْإِنْجِلِيزِيَّ ، وَهُوَ مِنْ قَضَاةِ الْحَكْمَةِ الَّتِي حَكَمَتْ عَلَى مَهْمَى دِنْشَوَايَ . وَالْمُعَاجِزُ : مَنْ عَاجَزَتِ الرَّجُلَ ، إِذَا آتَيْتَ بِمَا يَجْعَلُهُ حَاجِزًا . وَالْمُنَاجِزُ : الْمُقَاتِلُ الْمُبَارِزُ . وَمُحْزَبٌ ، أَيَّ مُفَرَّقُ أَعْوَانِهِ ، فَبَعْضُهُمْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْجِلْدِ ، وَبَعْضُ يَتَوَلَّى أَمْرَ الشَّقِّ ... الخ .

(١)
 طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرَدُوا خَامِسًا * هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُو الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
 حُبُّ يُحَاوِلُ غَرَسَهُ فِي أَنْفُسِ * يُخْنِي بِمَغْرِسِهَا الثَّنَاءُ الطَّيِّبُ
 كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا * لِلنُّشْثَارِ فَإِنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ
 وَأَفْضُ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلَّى الْقَضَا * رِفْقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرُبُ
 قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رِجَالِكَ نُجَبَةٌ * سَاسُوا الْأُمُورَ فَدَرَبُوا وَتَدَرَبُوا
 (٢)
 أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفِتْيَةٍ * طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
 فَاجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً * إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْسَبُ
 وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْكِبَانَةِ قُلْ لَهُمْ * هِيَ أُمَّةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
 (٣)
 وَأَسْتَبْقِ غَفْلَتَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَنَمَّ * فَالْنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قُلُوبُ

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧ م]

(٤)
 لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ قَوْضَى فَهَذَّبْتُ * حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنْظَمًا
 (٥)
 تَمَنَّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى * وَأَنْتَ أَصْبَحَ الْمِصْرَى حُرًّا مِنْهَا

(١) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم . وأردوا : أهلكوا . ويريد « بالخامس » : الحب المذكور في البيت الآتي . (٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب ، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم . (٣) قلب ، أى منقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب : صفة للفرد أى المتقلب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر : ولقد سممت من الحياة طولها * وسؤال هذا الناس كيف ليد ؟

(٤) الحواشى : النواحي . وتهذيبها : إصلاحها . (٥) تمنى : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقاريره من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز .

(١) أَعِدْ عَهْدَ (إِسْمَاعِيلَ) جَلْدًا وَسُخْرَةً * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ أَنكَى وَأَمَّا
 * عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجُمَادِ وَذُلِّنَا * فَأَغْلَيْتُمْ طِينَنَا وَأَرْخَضْتُمْ دَمًا
 (٢) إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا * فَلَا أَطْلَعْتَ نَبْتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءُ
 (٣) نَهَشَ إِلَى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى * بِهِ رَبُّهُ لِلْسُّوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمًا
 فَلَا تَحْسِبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ - لَمْ تُفِدْ * مَتَاعًا وَلَمْ تَعْصِمِ مِنَ الْفَقْرِ - مَغْنَمًا
 (٤) فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَفْضُ وَارِفٌ * قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخِيفًا

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمتها آراء الناس في سياسته

[نشرت في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

(٥) قَتَى الشَّعْرَ هَذَا مَوْطِنُ الصَّدْقِ وَالْهُدَى * فَلَا تَكْذِبِ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُنْشِدًا
 (٦) لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّا * حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْمُحِبِّينَ وَالْعِدَا

(١) يسير بهذا البيت الى ما كان يرثيه عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود ، ولا سيما عهد إسماعيل ، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم ، من تمخير الناس وجلد ظهورهم . (٢) جادها السماء أى نزل عليها المطر . (٣) هش اليه : ارتاح وبشر ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أنماطها ، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم في الشراء . (٤) الخفض : سعة العيش ورغده . والوارف : المتسع . يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا . (٥) قتى الشعر ، يريد نفسه . (٦) العميد ، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر ، وهو اللورد كرومر ، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما ، فقد حضر اليها في سبتمبر سنة ١٨٨٣ م وتركها في سنة ١٩٠٧ م وحقيق : جدير .

(١) فودّع لنا الطود الذى كان شاخًا * وشيّع لنا البحر الذى كان مُزبدًا
 وزوّده عنا بالكرامة كلّها * وإن لم يكن بالباقيات مُزوّدًا
 (٢) فلم لا نرى الأهرام يا نيل مُبدًا * وفرعون عن واديك مُرتحل غدا؟
 (٣) كأنك لم تجزع عليه ولم تكن * ترى فى حى فرعون أمنا ولا جدًا
 سلامٌ ولو أنا نسيء إلى الآلى * أساءوا إلينا ما مددنا لهم يدا
 (٤) سنطرى أياديك التى قد أفضتها * علينا فلسنا أمة تجحد أليدا
 أمنا فلم يسلك بنا الخوف مسلكًا * ونمنا فلم يطرق لنا الذعر مرقدًا
 وكنت رحيم القلب تحي ضيعتنا * وتدفع عنا حادى الدهر إن عدا
 (٥) ولولا أسي فى (دنشواى) ولوعة * وفاجعة أدمت قلوبًا وأكبدًا
 (٦) ورئيك شعبًا بالتعصب غافلًا * وتصويرك الشرقى غرا مُجرّدًا

- (١) الطود : الجبل العظيم . والشاخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجليل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .
- (٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت .
- (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نظرى : نمدح . والأبداى : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى ماثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .
- (٥) الأسي : الحزن . وانظر التعريف بمحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .
- (٦) ريمك ، أى آثامك . والفرد : الذى لا تجربه له بالأموال قصر نظره . ومجرّدًا ، أى غير مزوّد بأسباب النهوض والجد .

لَذَبْنَا أَسْنَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لَأَنْتَا * نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحَ الْمُتَوَدِّدَا
 تَشَعَّبَتِ الْآرَاءُ فِيكَ فَقَائِلٌ * أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
 (١) وكانت له في الْمُصْلِحِينَ سِيَاسَةٌ * تَرْخِصَ فِيهَا تَارَةً وَتَسَدُّدَا
 (٢) رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى * فَخَارَبَ جَيْشَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَدُّدَا
 (٣) وَأَمْتَعَكُمْ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مَبَارَكٌ * عَلَى أَهْلِهِ ، خِصْبًا وَرِيًّا وَمَوْرِدَا
 (٤) وَسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَةَ الْقَوْلِ عِنْدَ مَا * رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقِيدَا
 (٥) وَأَخْرَجْتُمْ يَقْصِرُ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ * يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهَدَى
 (٦) فَلَا يَتَحَدَّ الْإِثْرَاءَ حَتَّى يَزِينَهُ * بَعْلِيمٌ ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدَا
 (٧) يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا * وَلَمْ تُبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (رُدُّ) مَعْهَدَا
 وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْبِلَادَ تَعْمُدَا * وَأَجْدَبْتَ فِي مِصْرَ الْعُقُولَ تَعْمُدَا
 (٨) قَضَيْتَ عَلَى أُمَّ اللُّغَايَ وَإِنَّهُ * قَضَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلٌ إِلَى الرَّدَى

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت

فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنن : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآثر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يحبس . وهمه ،

أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية .

ويشير إلى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية .
 والردى : الهلاك .

- (١) ووافيت والقطران في ظل راية * فما زلت (بالسودان) حتى تمردا
(٢) فطاح كما طاحت (مصوغ) بعده * وضاعت مساعينا بأطاعكم سدى
(٣) حجبت ضياء الصحف عن ظلماته * ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)
(٤) وأودعت تقرير الوداع مغمرا * رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي وإننا * لنغضب إن أغضبت في القبر (أحمدا)
(٥) يناديك أين النايغون بعهدكم * وأى بناء شاخ قد تجددا
(٦) فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق * بأجذب من عهدكم سال عسجدا
(٧) يناديك ولئت الوزارة هيئة * من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
فليس بها عند التشاور من فتي * أئى إذا ما أصدر الأمر أوردنا ؟

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » :
الراية المصرية . وتمرد : عصى ونج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى
أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدي ، حتى استنفل أمره وانتشرت
دعوته ، وتآلبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى
فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوغ : نغم معروف على البحر الآخر ، وقد كان
فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة إنجلترا .
(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث
فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من
نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامر : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر
فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الآخر الذى
سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .
(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يجبه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

- (١) رَبِّكَ مَاذَا صَدَّنَا وَلَوَىٰ بِنَا * عَنِ الْقَصْدِ إِنْ كَانَ السَّبِيلُ مُمَهَّدًا؟
 (٢) أَشَرْتُ بِرَايٍ فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ * سَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ سَهْمًا مُسَدَّدًا
 (٣) وَحَاوَلْتُ إعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَةً * تَجُرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدًا
 (٤) فَيَا وَيْلَ مِصْرَ يَوْمَ تَشْقَىٰ بِنْدَوَةٍ * يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدًا
 (٥) أَلَمْ يَكْفِنَا أَنَّا سُؤْلُنَا ضِيَاعَنَا * عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
 (٦) وَزَاوَحْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ * خَيْرٍ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدًا
 وما الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * سِوَى شَرِكٍ يُلْقَى بِهِ مَنْ تَصَصَّدَا
 (٧) فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسُ السُّنَّةُ * إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مَفْنَدًا
 وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَلْتُ لِي رَأْيًا وَبُلَغْتُ مَقْصِدًا
 وَلَكِنِّي فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ * أَضَافَ إِلَى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدًا
 (٨) فَيَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ تَحِيَّةٌ * وَيَا أَيُّهَا الْقَصْرُ الْمُنِيفُ تَجَلَّدَا
 لَنْ غَابَ هَذَا اللَّيْثُ عَنْكَ لِعَلَّةٍ * لَقَدْ لَبِثْتُ أَنَا رُهُ فَيْكَ شُهَدَا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة في مصر ووليت أمورها أكفأها، فإلنا نخبر عن القصد ونسير في غير النهج .
 (٢) المسدّد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمّد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة . (٦) مارس الأمر : طالع وزاوله . يشير في هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن . (٧) مفندا : مكذبا مجهلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذي كان يسكنه العميد .

(١) استقبال السير غورست

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر

يثنى فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

(٢)
بَنَاتِ الشَّعْرِ بِالنَّفْعَاتِ جُودِي * فَهَذَا يَوْمٌ شَاعِرِكَ الْمُجِيدِ
(٣)
أَطْلَى وَأَسْفِرِي وَدَعِيهِ يُخَي * بِمَا تُوحِينِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ
إِذَا مَا جَلَّ قَدْرُكَ عَنْ هُبُوطِ * مُرِيهِ إِلَى سَمَائِكَ بِالصُّعُودِ
وَأَوَّلِي ذَلِكَ الْفَائِي بَيَانًا * يَتَبَهُ عَلَى أَهْلِ الْخُلُودِ
(٤)
وَحُلِّي عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرِيهِ * يَلْنُ لُطَائِفِهِ قَائِي الْحَدِيدِ
(٥)
هَـأ أَنَا وَاقِفٌ بِرُسُومِ دَارِ * أَسْأَلُهَا وَلَا كَلِفٌ بِرُودِ
وَلَا مُسْتَنْزِلٌ هِبَةً بِمَنْجِ * وَلَا مُسْتَجِزٌ حَرَّ الْوَعُودِ
وَلَكِنِّي وَقَفْتُ أَنْوَحُ نَوْحًا * عَلَى قَوْمِي وَأَهْتِفُ بِالنَّشِيدِ
(٦)
وَأَدْفَعُ عَنْهُمْ بِشَبَابِ يَرَاغِ * يَضُؤُلُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شُرُودِ

- (١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفي في يولييه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م إلى سنة ١٩٠٤ م. وفي سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.
- (٢) بنات الشعر: معانيه ونحوها. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه. (٣) سمرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان في زمرته من الشعراء المجيدين. (٤) الاصفهان: القلب واللسان.
- (٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشئ الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الثابتة الحسنة.
- (٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذائعة.

- (١) بَنَاتُ الشَّعْرِ إِنِّ هِيَ أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ
(٢) وَلَمْ أَجْحَدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ الْمَنَّ دَاعِيَةَ الْمُجُودِ
(٣) أَذِيقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِئْنَا * بَعْدَ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ
(٤) وَمُنُوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا * بِفَضْلِ وَجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ
(٥) إِذَا أَعْلَوَى الصَّيَاحُ فَلَا تَلْمُنَا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهِدٍ جَهِيدٍ
(٦) عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلو * صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ
(٧) حِرَاحٌ فِي النَّفُوسِ نَغْرَنَ نَغْرًا * وَكُنَّ قَدْ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ
(٨) إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدٌ * هَتَكَنَّ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ
(٩) أَلِي مَنْ نَشْتَكِي عَنْتَ اللَّيَالِي * أَلِي (الْعَبَّاسُ) أَمْ (عَبْدُ الْحَمِيدِ)؟
(١٠) وَدُونَ جَاهِمَا قَامَتِ رِجَالٌ * تُرَوِّعُنَا بِأَصْنَافِ الْوَعِيدِ

(١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمن به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب في «أذيقونا» للعتلين . وفي قوله : «بعد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلوى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نغرا بخرج : سال دمه . واندمل : التأم .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يستره الإنسان من أمره . والجلد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمثقة .

(٩) روعه : أخافه وأزعجه .

(١) فَمَجْنُنًا نَطَاوَلُكُمْ بِجَاهٍ * يُطَوِّلُكُمْ وَلَا رَمْنٍ شَدِيدٍ
 (٢) وَلَا بَنَّا نُمَاجِزُكُمْ بَعْلِمٍ * يَبِينُ بِهِ الْغَوِيُّ مِنَ الرَّشِيدِ
 (٣) وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقِّ * أَضْرَبَ أَهْلَهُ تَقْضُ الْعُهُودِ
 (٤) رَمَانَا صَاحِبُ التَّقْرِيرِ ظُلْمًا * بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ
 وَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ لَنَا نِدَاءً * وَلَوْ جِئْنَا بِقُرَآنٍ مَجِيدٍ
 (٥) وَبَشَرَاهْلٍ مِصْرٍ بِأَحْثَالٍ * يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَيِّدِ
 (٦) وَأَثَبَتْ فِي النَفُوسِ لَكُمْ جَفَاءً * تَعَهَّدَ بِمَنْهَلِ الصُّدُودِ
 (٧) فَأَمَرَ وَحْشَةً بَلَّغَتْ مَدَاهَا * وَزَكَّاهَا بِأَرْبَعَةِ شُهُودِ
 (٨) قَتِيلُ الشَّمْسِ أَوْرَثَنَا حَيَاةً * وَأَيَّقَظَ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ
 فَلَيْتَ (كُرُومَرَا) قَدْ دَامَ فِينَا * يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلَّ جِيدٍ

(١) طاوله بجأه : فآخره به . وطآله يطوله : علاه وارفع آليه . ويريد « بالركن الشديد » : العرة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نمآجزكم : فآنى بمآعجزكم . (٣) يريد « بالعهود » : وعود مآسة الإنجليز بالآلاء عن مصر .

(٤) صآحب التقرير ، هو اللورد كرومر ، وكان قد آتهم المصريين في آحد تقريرآته التى كان يرفعها لدولته بعدم الاعترآف بمجمل الدولة البريطآنية عليهم . والكفرون : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد ، أى أبد الدهر . (٦) المنهل : المطر يشند أنصبآبه .

(٧) يريد « بالشهود الأربعة » : من أعدموا في دنشواى ، فهم بمآ لقوا شهود عدول على ظلم العميد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزى الذى مآت في آادث دنشواى بضربة الشمس ، وآتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النآثم . يريد أن مآ أصآب النآس من العذاب بسبب هذا القتل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطآلبة بالحرية .

وَيُخَفِّفُ (مُضَرَّ) أَنَا بَعْدَ أَنْ * يَحْلُودُ وَمَقْتُولٍ شَهِيدٍ
لِنَنْزِعَ هَذِهِ الْأَكْفَانِ عَنَّا * وَنُبْعَثَ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدٍ
رَمَى (دَارَ الْمَعَارِفِ) بِالرَّزَايَا * وَجَاءَ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
يُدِلُّ بِحَوْلِهِ وَيَتِيَهُ تَيْهًا * وَيَعْبَثُ بِالنُّهَى عِبَثَ الْوَلِيدِ
فَبَدَّدَ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهَا * وَصَاحَ بِهَا : سَبِيلُكَ أَنْ تَبِيدِي
هَبُوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنَاتًا * وَأَقْدَرَكُمْ عَلَى تَرْجِ الْحُقُودِ
وَأَعْلَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَايَا * وَأَحْكَمَ مِنْ فَلَاسِفَةِ (الْهُنُودِ)
فَلِنَا لَا نَطِيقُ لَهُ جَوَارًا * وَقَدْ أَوْدَى بِنَا أَوْ كَادَ يُودِي
مَلْنَا طُولَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ * سَوَائِقُنَا مِنَ الْمَشْيِ الْوَلِيدِ
بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكُكُمْ كَبِيرٌ * وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَرْحَمَةٍ وَجُودِ
خُذُوهُ فَأَمْتِعُوا شَعْبًا سَوَانَا * بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ الْمُفِيدِ

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبید : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر

سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس

التقارب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفي في ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوايق : الخيل التي يجيىء سابقه في الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوليد من

المشي : البطيء منه .

(١)

إِذَا اسْتَوَزَرْتَ فَاسْتَوِزِرْ عَلَيْنَا * قَيِّ (كَالْفَضْلِ) أَوْ (كَابْنِ الْعَمِيدِ)

(٢)

وَلَا تُثْقِلْ مَطَاهُ بِمُسْتَشَارٍ * يَجِدُ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ الْحَمِيدِ

(٣)

وَفِي الشُّورَى يَنَادِئُ عَهِيدٌ * قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الطَّبِّ الْعَهِيدِ

(٤)

شُيُوخٌ كُلُّهَا هَمَّتْ بِأَمْرِ * زَارْتُمْ دُونَهُ زَارَ الْأَسُودِ

(٥)

لَحَى بَيْضَاءُ يَوْمَ الرَّأْيِ هَانَتْ * عَلَى حُمُرِ الْمَلَابِيسِ وَالْخُدُودِ

(٦)

أَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ - وَأَنْتَ حُرٌّ - * بِأَنَّكَ قَيْنٌ هَاتِيكَ الْقِيُودِ؟

(٧)

وَهَلْ فِي دَارِ نَدَوَتِكُمْ أَنْاسٌ * يَهْدِي الْمَوْتَ أَوْ هَذَا الْجُودِ؟

(٨)

فَنَحْ غَضَاضَةَ التَّامِيزِ عَنَّا * كَفَّانَا سَائِغُ النَّيْلِ السَّعِيدِ

(٩)

أَرَى أَحَدًا تَكُمُ مَلَكُوكُوا عَلَيْنَا * (بِمَصْرٍ) مَوَارِدَ الْعَيْشِ الرُّغِيدِ

- (١) الفضل ، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون في سنة ١٩٠ هـ . وكان وزيراً للرشد ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولاً يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل ، وزر لركن الدولة أبي علي بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، وما زال في وزارته محط رجال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظاهر . يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كدلوب) .
- (٣) العميد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوباً قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد « بالملحى البيضاء » : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و « بجمهر الملابس والحدود » : الانجليز . وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء . (٥) القين : الحداد . (٦) دارندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطاني . ويشير بهذا البيت والآيات الأربع إلى قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيها أو رده . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضيقنا بهم وأبيك ذرعا * وضاق بجهلهم ذرع البريد
 أكل موظف منكم قدير * على التشريع في ظل العبيد؟
 فضح حدا لهم وأنظر إلينا * إذا أنصفتنا نظر الودود^(١)
 وخبرهم وأنت بنا خير * بأن الدل شنشنة العبيد
 وأنت نفوس هذا الخلق تآبى * لغير إلهها ذل السجود^(٢)
 وول أمورنا الأخيار منا * تثب بهم إلى الشاؤ البعيد^(٣)
 وأشرنكا مع الأخيار منكم * إذا جلسوا لإيقام الحدود
 وأسعدنا بجامعة وشيد * لنا من مجد دولتك المشيد^(٤)
 وإن أنعمت بالإصلاح فابدأ * بتلك فإنها بيت القصيد
 وفرج أزمة الأموال عنا * بما أوتيت من رأي سيد
 وسل عنها (اليهود) ولا تسلنا * فقد ضاقت بها حيل (اليهود)
 إذا ما نأح في (أشوان) بالك * سمعت آنين شاك في (رشيد)
 جميع الناس في البلوى سواء * بأذن الثغر أو أعلى الصعيد^(٥)
 تدارك أمة بالشرق أمست * على الأيام عائرة الحدود

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشاؤ : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد
 في كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما في هذا البيت . والذي ورد « إقام » بدون ياء
 مصدر إقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .
 (٥) عائرة الحدود : أى تاعسة الحظوظ .

وَأَيْدٍ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَأَغْنَمَ * ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ^(١)
 وَمَا أَذْرِي وَقَدْ زَوَّدْتُ شِعْرِي * وَطَنِي فَيْلَكِ بِالْأَمَلِ الْوَطِيدِ^(٢)
 أَجِئْتُ تَحُوطُنَا وَتَرُدُّ عَنَّا * وَتَرْفَعُنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟^(٣)
 أَمِ اللُّرْدُ الَّذِي أَنَحَى عَلَيْنَا * أَتَى فِي ثَوْبٍ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟^(٤)

تحيّة العام الهجرى

[سنة ١٣٢٧ هـ - يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَّلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ * هِلَالُ رَأَى الْمُسْلِمُونَ فَكَبَرُوا^(١)
 تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا * عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهُا لَتَتَكَرَّرُ^(٢)
 وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَيْنِيهِ * وَغُرَّتِهِ وَالنَّاطِرِينَ مُبَشِّرُ^(٣)
 وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمًا أَغْرَ مُحَجَّلًا * بِهِ تَوَجَّجَ التَّارِخُ وَالسَّعْدُ مُسْفِرُ^(٤)
 وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَائِعٍ إِلَى الْهُدَى * يَحْفَ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ^(٥)
 يُمَاشِيهِ جَبْرِيلٌ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ * مَلَائِكَةٌ تَرْغَى خُطَاهُ وَتَتَخَفِرُ^(٦)

- (١) الوطيد : الثابت القوى . و « بالأمل » متعلق بـ « زودت » . (٢) حاطه يحوطه :
 حفظه وتعده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .
 (٤) تجلّى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهوراً . وأصل
 هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الليل ؛ الأغر منها : ما كان فى جبهته بياض . والمحجل : ما كان
 البياض فى قوائمه . والمسفر : المضى المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
 من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتتحفر : تحرس .

يُسْرَاهُ بُرْهَانٌ مِنْ اللَّهِ سَاطِعٌ * هُدًى، وَيُمْنَاهُ الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ
 فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْنُهُ * وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ^(١)
 مَضَى الْعَامُ مَيُّونَ الشُّهُورِ مُبَارَكًا * تُعَدُّ آثَارُهُ لَهُ وَتُسَطَّرُ^(٢)
 مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ * هَنَاتٍ فَطَبَعُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ^(٣)
 وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأُلُوفِ أَجَابَهُمْ * يُجِيبُ : لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَانْظُرُوا^(٤)
 إِذَا قَيْسَ إِحْسَانُ أَمْرِيَّ بِإِسَاءَةٍ * فَأَرْبَى عَلَيْهَا فَلِلْإِسَاءَةِ تُغْفَرُ^(٥)
 فَفِيهِ أَفَاقَ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَتَتْ * عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعْصُرُ^(٦)
 وَفِي عَالِمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ * لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مُعْطَرُ^(٧)
 سَلُّوا (التُّرْكَ) عَمَّا أَدْرَكُوا فِيهِ مِنْ مُنَى * وَمَا بَدَّلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرِوَا
 وَإِنْ لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ) * فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ)^(٨)
 تَوَاصَوْا بِصَبْرِ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الْحِجَا * سَيُوفًا وَجَدُّوا جِدَّهُمْ وَتَدَبَّرُوا^(٩)

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجير الماء .

(٢) الهنات : الحقوات اليسيرة التي تحتل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب

التي هبت في العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركي والفارسي والمصري ، كما يشير الشاعر إلى ذلك بعد .

فشبه سكونهم فيما مضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازي وأنور : بطلان معروفان من

أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد ألبيا بلاء حسنا في إعادة الدستور إلى أمتهما .

(٧) تواسوا ، أي الترك ، والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والحجا : العقل . وجدوا

جدهم ، أي اجتهدوا وثاروا .

فسادُوا وشادُوا لِلْهِلالِ مَنَازِلًا * على هامِها سَعَدُ الكواكِبِ يُنْثَرُ^(١)
 تَجَلَّى بها (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِوَجْهِهِ * على شَعْبِهِ وَالشَّاهُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ^(٢)
 سَلَامٌ على (عَبْدِ الْحَمِيدِ) وَجَيْشِهِ * وَأَتَمَّتْهُ ما قَامَ في الشَّرْقِ مِنْبَرُ^(٣)
 سَلُوا (الْقُرْسَ) عَنْ ذِكْرِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ * فَقَدْ كَانَ فِيهِ (الْقُرْسُ) عُيْمًا فَأَبْصَرُوا^(٤)
 جَلالَهُمْ وَجَهَ الحِياةِ فَشاقَهُمْ * فَباتُوا على أَبْوابِها وَتَجَمَّهَرُوا^(٥)
 يُنَادُونَ أَنِّ مُنَى عِلْبًا بِنَظَرَةٍ * وَأَحْيِ قُلُوبًا أَوْشَكَتْ لَتَفْطُرُ^(٦)
 كِلانًا مَشُوقٌ وَالسَّيْلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصِيلِ لولا ذَلِكَ الْمُتَغَشِّرُ^(٧)
 أَطْلَى عَلَيْنَا لا تَحافِ فَإِنَّا * بِسِرِّكَ أَوفَى مِنْهُ حَوْلًا وَأَقْدَرُ^(٨)
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أُمَّةَ (الْقُرْسِ) إِنَّا نَكُنْ * خَلِيقُونَ أَنَّنْ تَحْيَوُا كِرَامًا وَتَفْخَرُوا^(٩)
 ولا أَقْرِئُ (الشَّاهَ) السَّلَامَ فَإِنَّهُ * يُرِيقُ دِمَاءَ الْمُصْلِحِينَ وَيَهْدِرُ^(١٠)
 وفيه هَوَى (عَبْدُ الْعَزِيزِ) وَعَرْشُهُ * وَأَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَالْأَمْرُ مُدِيرُ^(١١)

(١) الهام : الروم ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أي أيادي ، أي أيادي العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما في هذا البيت استعمال شائع في كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا والصواب : « وتجمهروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أي تجمهروا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتفطر : تشقق . (٦) المتغشمر : المتنمر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدارتنا مراحل الحياة حين نألفها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذي يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصعبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أي في هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراكش . (١١) انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

(١) وَلَا تَعْجَبْ أَنْ تَلَّ عَرْشُ مُمْلِكٍ * قَوَائِمُهُ عُودٌ وَدُفٌّ وَمِنْهَرٌ
 (٢) فَأَلْقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيفِ) بَتَاجِهِ * وَمَبْرٌ عَلَى أَذْرَاجِهِ يَتَعَثَّرُ
 وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ * عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاحِشٌ) يَتَحَضَّرُ
 (٣) فِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانِ) كَانَتْ شُهُورُهُ * وَأَيَّامُهُ بِالسَّعِيدِ وَالْيَمْنِ تَزْهَرُ
 (٤) أَقَامَ بِهَا وَالْعُودُ رَيَّانٌ أَخْضَرٌ * وَفَارَقَهَا وَالْعُودُ فَيَنَانٌ مُثْمَرٌ
 (٥) وَعَوَّذَهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَائِعٍ * إِذَا مَا رَمَى (إِدْوَرْدُ) أَوْرَاشَ (قَيْصَرُ)
 (٦) وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْهِنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ * أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ
 (٧) فَتَجْرِي إِلَى الْعَلْيَاءِ وَالتَّجْدِ شَوْطَهَا * وَيُخِصَّبُ فِيهَا كُلُّ جَذْبٍ وَيَنْضُرُ
 (٨) وَفِيهِ بَدَتْ فِي أَفْقٍ (جَاوَةٌ) لَمْعَةٌ * أَضَاءَتْ لَأَهْلِهَا السَّيْلَ فَبَكَرُوا
 (٩) فَيَأْتِيَهُ أَوَّلَى (الْجَزَائِرِ) مِنَّةٌ * تُفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقَيْودُ وَتُكْسَرُ

- (١) تَلَّ : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر .
 (انظر الكلام على هذا في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطة
 مراکش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفي عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد
 في ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاي يوسف عن السلطنة في سنة ١٩١٢ م .
 (٣) تَزْهَرُ : تشرق وتضيء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد
 وكثرة الخير فيها . (٥) عَوَّذَهَا : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز .
 وراش السهم يريشه : ألصق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع في ذهابه نحو الغرض . وقصر : لقب
 ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام
 حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضر ،
 من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . (٨) لمعة ، أى لمعة من شعاع الأمل . وبكر فلان إلى الأمر :
 أتاه في أول وقته وبادر إليه . (٩) يريد « بالقيود » في هذا البيت : قيود الاستعباد والأسر
 التي قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفي (تونس) الخضرَاءِ يَأْتِيهِ بَنَى * له أَثَرًا فِي لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذَكِّرُ
 وفيه سَرَتْ فِي (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبَارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ
 خَبَتْ زَمَنًا حَتَّى تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا * تَجَافَتْ عَنِ الْإِيرَاءِ لَوْلَا (كُرُومُ)^(١)
 تَصْدَى فَأَوْرَاهَا وَهَيْهَاتَ أَنْ يَرَى * سَبِيلًا إِلَى إِنْخَادِهَا وَهِيَ تَزْفِرُ^(٢)
 مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يَانِيْلُ وَأَنْقَضَى * فَنِي (مِصْرَ) أَقْبَاطُ عَلَى (مِصْرَ) تَسْهَرُ
 وَقَدْ كَانَ "مُرْفِينُ" الدَّهَاءِ مُخَدَّرًا * فَأَصْبَحَ فِي أَعْصَابِنَا يَتَخَدَّرُ^(٣)
 شَعَرْنَا بِحَاجَاتِ الْحَيَاةِ فَإِنْ وَنَتْ * عَزَائِمُنَا عَنْ نَيْلِهَا كَيْفَ نُعَدِّرُ؟
 شَعَرْنَا وَأَحْسَسْنَا وَبَاتَتْ نُفُوسُنَا * مِنْ الْعَيْشِ إِلَّا فِي ذَرَا الْعِزِّ تَسْخَرُ^(٤)
 إِذَا اللَّهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّهَا * إِلَى الْمَوْتِ قَهَّارٌ وَلَا مُجَبَّرٌ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَى قَادَةِ تَبْنِي وَشَعْبٍ يُعَمَّرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَى عَالِمٍ يَدْعُو وَدَاعٍ يُذَكِّرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَى عَالِمٍ يَذِي وَعِلْمٍ يَقَرُّ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَى حِكْمَةٍ تُمَلِّي وَكَفٍّ تُحَرِّرُ

(١) خبت : سكنت ونحمت . وتجاافت : تباعدت . وإيراء النار : إشعلها .

(٢) تصدى : تعرض . وتزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة
 الإنجليزية تصدى لنار الوطنية في قلوب المصريين فأشعلها بعد انحودها بما صبه عليهم من المظالم والحقن .

(٣) المرفين : مخدوم معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (يفتح الذال) :

رِجَالُ الْغَيْدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَيْكُمْ فَسُدُّوا النَّقْصَ فِينَا وَشَمِّرُوا^(١)
 رِجَالُ الْغَيْدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمْرُورَ الْأَمْسِ وَالْعَيْشَ أَغْبَرُ
 رِجَالُ الْغَيْدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِإِلَادَتِكُمْ * تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا
 عَلَيْكُمْ حُقُوقُ الْبِلَادِ أَجَلُهَا * تَعْهَدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالرَّوْضُ مُقْفَرُ
 قُصَارَى مَنَى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدَا تَبْتَنِي بَجْدًا وَرَأْسًا يُفَكِّرُ^(٢)
 فَكُونُوا رِجَالًا حَامِلِينَ أَعِزَّةً * وَصُونُوا حِمَى أَوْطَانِكُمْ وَتَحَرَّرُوا
 وَيَا طَالِبِي الدُّسْتُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا * تَبِثُوا عَلَى يَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
 أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ فَإِنِّي * أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَنْقَطِرُ
 فَلَا تَنْطِقُوا إِلَّا صَوَابًا فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوَّرُوا^(٣)
 فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ * وَلَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُقْصَرُ
 لَقَدْ ظَفِيرَ الْأَثَرِكَ عَدَلًا بِسُؤْلِهِمْ * وَنَحْنُ عَلَى الْإِثَارِ لَا شَكَّ نَظْفَرُ
 هُمْ لَهُمُ الْعَامُ الْقَدِيمُ مُقَدَّرُ * وَنَحْنُ لَنَا الْعَامُ الْجَدِيدُ مُقَدَّرُ
 يُقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * يَكُنْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَذْرَى وَأَخْبَرُ^(٤)
 فَلَا زَالَ مَحْرُوسَ الْأَرِيكََةِ جَالِسًا * عَلَى عَرْشِ (وَادِي النَّيْلِ) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

(١) شمر للامر : استعد له . (٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصارك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغايتك وانرا أمرك .

(٣) تهوؤوا : وقعوا فى المكروه بقله مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تواخذهم به القوانين . (٤) الأمير ، هو عباس حلى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثماني

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد^(١) وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت في ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

(٢)
لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ جُدُودٍ * كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَا بَنَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ)
(٣)
مُشِيعَ الْحُوتِ مِنْ لُحُومِ الْبَرَايَا * وَجَمِيعَ الْجُنُودِ تَحْتَ الْبُنُودِ
كَنتُ أَبْكِي بِالْأَمْسِ مِنْكَ فَمَالِي * يَتُّ أَبْكِي عَلَيْكَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) ؟
فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى * فَيْكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ
شَمِتُوا كُلَّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهِمَّةِ أَنْ يَشْمَتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ
أَنْتَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) وَالتَّاجُ مَعْقُودٌ * دُو (عَبْدُ الْحَمِيدِ) رَهْنَ الْقِيُودِ
خَالِدٌ أَنْتَ رَغَمَ أَنْفِ اللَّيَالِي * فِي كِبَارِ الرِّجَالِ أَهْلِ الْخُلُودِ
لَكَ فِي الدَّهْرِ - وَالْكَأَلُ مُحَالٌ - * صَفَحَاتٌ مَا بَيْنَ بَيْضٍ وَسُودِ
(٤)
حَاوَلُوا طَمَسَ مَا صَنَعْتَ وَوَدُّوا * لَوْ يُطِيقُونَ طَمَسَ خَطِّ الْحَدِيدِ

(١) ولد السلطان عبد الحميد في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك في أغسطس سنة ١٨٧٦ م،
وخلع في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجندود : الخطوط؛
الواحد جد (بفتح الجيم وتشديد الدال) . (٣) يشير بقوله « مشيع الحوت » : الى من كان
ياحر السلطان عبد الحميد بإغراقهم في مضيق البسفور . والبندود : الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو
فارسي معرب . ويشير بقوله « وجميع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركي من شظف العيش
ومضيق ذات اليد . (٤) يريد الخط الحديدي الجبازي بين دمشق والمدينة الذي أنشأه السلطان
عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، واحتفل بافتتاحه في سنة ١٩٠٨ م .

ذَاكَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) ذُنُوكَ عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ إِنِّ ضَاعَ عِنْدَ الْعَبِيدِ
 (١) أَكْرَمُوهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الشَّيْءِ * خَجْ وَلَا تُرْهِقُوهُ بِالْتَّهْدِيدِ
 لَا تَخَافُوا أَذَاهُ فَالشَّيْخُ هَؤُلَاءِ * لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُّعُودِ
 وَلِيَّ الْأَمْرِ ثَلَاثَ قُرُونٍ يُنَادِي * بِأَسْمِهِ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي الْوُجُودِ
 (٢) كَلَّمَا قَامَتِ الصَّلَاةُ دَعَى الدَّاعِيَ * عَى (لَعْبَدِ الْحَمِيدِ) بِالتَّائِيْدِ
 فَاسْمُ هَذَا الْأَسِيرِ قَدْ كَانَ مَقْرُورًا * تَا بِذِكْرِ الرَّسُولِ وَالتَّوْحِيدِ
 (٣) بَيْتٌ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَقُولُوا * إِنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كَامِنَاتِ الْحُقُودِ
 (٤) كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِالْأَمْسِ قَرْدًا * فَعَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)
 (٥) يَا أَسِيرًا فِي (سَنْتِ هِيلَيْنَ) رَحْبٌ * بِأَسِيرٍ فِي (سَالْتِينِكَ) جَدِيدِ
 (٦) قُلْ لَهُ كَيْفَ زَالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعِدْ * بِصِمْمِكَ إَعْدَادُ عُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ
 لَمْ تَصْنَعْ الْجُنُودَ تَفْدِيكَ بِالْأَرْز * وَاجِ وَالْمَالِ يَا غَرَامَ الْجُنُودِ
 قُلْ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ؟ كَيْفَ امْتَلَكْتَ الْ * أَرْضَ؟ كَيْفَ أَنْفَرَدْتَ بِالْمُجِيدِ؟

(١) أَرْهَقَهُ : أَثْقَلَ عَلَيْهِ وَظَلَمَهُ . (٢) يَرِيدُ «بِالصَّلَاةِ» : صَلَاةُ الْجُمُعَةِ . وَيَرِيدُ «بِالدَّاعِي» :
 الْخَطِيبُ . (٣) أَثَارُهُ إِثَارَةٌ : هِجْجُهُ . وَكَامِنَاتِ الْحُقُودِ : مَا خَفِيَ مِنْهَا . (٤) يَقُولُ لِمَنْ
 وَلِي الْأَمْرِ مِنْ رِجَالِ تَرْكِهَا : إِذَا أَثَرْتُمْ دِفَاقِثَ الصُّدُورِ ، وَأَسَاتِمَ التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ ، تَضَاعَفَ الظُّلْمُ ، فَبَدَلُ
 أَنْ كَانَ يَسْتَبْدُ بِالْأَمْرِ وَيُظْلِمُ الرِّعِيَةَ فَرْدًا وَاحِدًا هُوَ عَبْدُ الْحَمِيدِ ، يَصْبِحُ مُسْتَبَدًّا بِأَمْرِكُمْ أَلْفَ عَبْدٍ الْحَمِيدِ .
 (٥) يَرِيدُ «بِالْأَسِيرِ فِي سَنْتِ هِيلَيْنَ» : نَابُلْيُونُ بُونَابَرْتِ امْبِرَاطُورُ فَرَنْسَا وَقَاتَلَهَا الْمَعْرُوفُ ، وَقَدْ أَمَرَ
 فِي جَزِيرَةِ سَانْتِ هِيلَانَةِ ، وَظَلَّ بِهَا أَسِيرًا حَتَّى مَاتَ ، وَنُقِلَتْ رَقَاتُهُ بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَى فَرَنْسَا . وَسَالُونِيكَ : مَدِينَةٌ
 مَعْرُوفَةٌ بِمَقْدُونِيَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَمْلَاقِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ ، وَهِيَ الْآنَ مِنْ أَمْلَاقِ الْيُونَانِ ؛ وَقَدْ اعْتَقَلَ فِيهَا
 السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدُ بَعْدَ خَلْعِهِ . (٦) لَمْ يَصْمُمْكَ : لَمْ يَحْفَظْكَ . وَالْعُدَّةُ : السِّلَاحُ . وَالْعَدِيدُ : الْكَثْرَةُ .

(١)
فَثَلَّتْ العُرُوشَ عَرَشًا فَعَرَشًا * وَصَبَّغَتْ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ
كَمَا نِلْتَ غَايَةَ لَمْ تَتَلَهَا * هِمَّةُ الدَّهْرِ قَلَتْ : هَلْ مِنْ مَنِيدٍ؟
(٢)
ضَاقَتِ الأَرْضُ عَنْ مَدَاكَ فَأَرْسَدَتْ * بَطَرْفٍ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ
قُلْ لَهُ : جَلَّ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ لَا مُدَّ * لَكَ لَغَيْرِ الْمُهَيَّمِينَ الْمُعْبُودِ
(٣)
أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا * مِنْ أَسِيرِ الْجَزِيرَةِ الْمَكْمُودِ
(٤)
وَأَسِيرُ الْأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشَقَى * لَوْ سَأَلْتَ الْأَسْفَارَ عَنْ (بَايَزِيدِ)
كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) فِي الْقَصْرِ أَشَقَى * مِنْهُ فِي الْأَسْرِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
(٥)
كَانَ لَا يَعْرِفُ الْقَرَارَ بَلِيلِ * لَا وَلَا يَسْتَلِدُّ طَعْمَ الْمُجُودِ
حَذِرًا يَرْهَبُ الظَّلَامَ وَيَخْشَى * خَطَرَةَ الرِّيحِ أَوْ بُكَاءِ الْوَلِيدِ
(٦)
نَفَقٌ تَحْتَ طَائِقِ الْأَرْضِ أَخْفَى * فِي تَدَجِيهِهِ مِنْ ضَمِيرِ الْكَنُودِ

- (١) ثلثت العروش ، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .
(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعتد المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة :
نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار :
الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ،
وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٨٧٦ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه
عام ٨٧٩ هـ . وتوفي في سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد في أسر تيمورلنك
ملك التار في موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ ؛ وبمجيئه إياه في قفص حتى مات كذا بعد بمجيئه بثمانية أشهر .
(٥) المجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب في الأرض له مخرج الى مكان .
ويشير الى المواضع الخفية التي كان يخبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيئه :
إغلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المسارب التي كان يخبئ فيها عبد الحميد بظلام قباب الكفور
لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

(١) يُعْجِزُ الْوَهْمَ عَنْ تَلَمُّسِ ذَاكَ أَلْ * بَابِ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْكُودِ
 أَصْحَحْ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ * مَا سَمِعْنَا مِنَ الرِّوَاةِ الشُّهُودِ
 أَكَّ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ * عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالٍ (الْوَلِيدِ)؟
 إِنْ بَرِئْنَا وَإِنْ أَثِمْنَا سَتُجْزَى * يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
 أَصْحَحْ بَكَتَ لَمَّا أَتَى الْوَفْدَ * دُ وَنَابَتْكَ رِعْشَةُ الرَّعِيدِ؟
 وَنَسِيتَ الْآبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالسُّؤْ * دَدَ وَالْعِزَّ يَا كَرِيمَ الْجُدُودِ؟
 مَا عَهِدْنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ * عَلَّهَا نَزْوَةُ الْفُؤَادِ الْجَلِيدِ
 عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لِذَاكَ أَلْ * حُلْمِكَ أَوْ ذِكْرُكَ لَيْلِكَ الْعُهُودِ
 غَسَلَ الدَّمْعَ عَنْكَ حَوْبَةً مَاضِي * لَكَ وَوَقَاكَ شَرَّ يَوْمِ الْوَعِيدِ
 شَفَعَ الدَّمْعَ فِيكَ عِنْدَ الْبَرَايَا * لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
 دَمْعُكَ الْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِالْأَمَّةِ * سِيسَ مُطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمُسُودِ
 كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ

- (١) يقول: إن هذا التفق خفى وضلت سبيله على طالبه، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه.
 (٢) أربى: زاد. والوليد، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهوانه بالدين. (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه. والرعيد: الجبان. (٤) السؤدد: السيادة والرفعة. (٥) الجليلد: المتجلد الصابر. (٦) الحوبة (بفتح الحاء): الخطيئة.
 (٧) يقول: إن دمعتك يوم الخلع قد بلغ من الأثر في رعينتك ما ردهم عن الانتقام منك، فكانه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش. (٨) عبد العزيز، هو أحد سلاطين آل عثمان، وهو الثاني والثلاثون منهم، وهو ابن السلطان محمود الثاني. ولد عام ١٢٤٥ هـ، وتولى الخلافة في سنة ١٢٧٧ هـ. وخلع في سنة ١٢٩٣ هـ، وتوفي في السنة نفسها. وهو الذي زار مصر في عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوي، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة.

- (١) خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارِ وَمَاتَ مَوْتَ الْأَسْوَدِ
 (٢) ضَمَّ مِقْرَاضَهُ إِلَيْهِ وَنَادَى * دُونَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ قَطَعَ الْوَرِيدَ
 (٣) حَتَّى عَهْدَ الرَّشَادِ يَا شَرْقُ وَابْلُغْ * مَا تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ
 قَدْ تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُدَّ * لَكَ فَاعْظِمْ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
 (٤) وَتَجَلَّى فِي مَهْرَجَانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمَانَ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
 (٥) وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّدَ * فَفَيْنَ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْحَبِيدِ
 (٦) طَاطِي بِالْجَلَالِ يَا أُمَمَ الْأَرْ * ضِ سُبُحُودًا، هَذَا مَقَامُ السُّجُودِ
 (٧) عَلَّمَ اللَّهُ أَنْ عَهْدَ (رَشَادٍ) * خَيْرُ قَالٍ يَرُدُّ عَهْدَ (الرَّشِيدِ)

(١) الصغار: الذل . يقول: إن هذا السلطان قد خاف في يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقرض: المقتص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك في سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان: عيد للفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التي تنسب إليه . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طاطا رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الإسلامية في أيامه من الرق أمصاه .

عيد الدستور العثماني

أنشدتها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٩ م

- (١) أَجَلٌ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاصِيُهُ * هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ سَاحِبُهُ
(٢) هَنِيئًا لَهُمْ فَالْكَوْنُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ * مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ
(٣) رَعَى اللَّهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَدْلَ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ
(٤) تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهَيْلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاخَاهُ - بَعْدَ الْخِلَافِ - وَرَاهِبُهُ
(٥) خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرِ مُقْبِلُ * فَإِنِّي أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ
(٦) وَرُدُّوا عَلَى الْمُلْكِ الشَّبَابَ الَّذِي دَوَى * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ
(٧) فَنَ يَطْلُبُ الدُّسْتُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَ مَا * حَمَّتْهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَاللَّهُ طَالِبُهُ
إِذَا (شَوَكَتُ الْفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِيًا * إِلَى الْحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَازِي) وَصَاحِبُهُ

(١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للآتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر .
(٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضوء (بفتح الواو وتخفيف الضاد) .
(٣) الرغائب : جمع رغبة ، وهى ما يرغب فيه .
(٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية .
(٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان .
(٦) دوى : ذبل . والذوائب : الضفائر؛ الواحدة ذوايبة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال .
(٧) شوكت ونيازي : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان لهؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور إلى الأمة التركية .

(١) ثَلَاثَةُ آسَادٍ يُجَانِبُهَا الرَّدَى * وَإِنْ هِيَ لَأَقَاهَا الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ
 (٢) يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمُنُونِ فَتَلْتَقِي * مُحَالِبُهَا فِيهِ وَتَنْبُو مُحَالِبُهُ
 رَوَتْ قَوْلَ (بَشَارٍ) فَتَارَتْ وَأَقْسَمَتْ * وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) تُحَاسِبُهُ
 (٣) إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ * مَشِينَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ
 (٤) وَسَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا كُلُّ سَائِحٍ * عَلَى مَتْنِهِ بَرْجٌ مَشِيدٌ يُدَاعِبُهُ
 يَصِيحُ بِهِ : لَا رَىَّ أَوْ نَبْلُغَ الْمُنَى * وَلَا شَيْعٌ أَوْ يَرْجِعَ الْحَقُّ غَاصِبُهُ
 (٥) هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَأَتَّخِذْ ثُمَّ مَرْبَطًا * (بِيلْدَز) وَأَحْمَدُ فِي الْوَعَى مَنْ تُصَاحِبُهُ
 (٦) رِجَالٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى نُفُوسَهُمْ * وَجَيْشٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ظَلَمَآى قَوَاضِيَهُ
 (٧) صَوَالِجُهُ شُمُرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ * رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ

- (١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتنبو : تكل وتترد .
 (٣) صعر خده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا . ويريد بقوله « نعاتبه » : نهده
 بالسيوف وننذره بالقتل . وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد
 يمدح بها عمر بن هبيرة . (٤) يريد « بالسائح » : الفرس الشديد الجري . والمتن : الظهر .
 ويريد « بالبرج » : الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من النهل
 (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . ويولدز : قصر الخلافة بالقسطنطينية . والوعى : الحرب . يعد
 الفارس فرسه بأنه سيلبغ ما يريد من النصر والظفر ، وأنه سيستريح من حمى القصر ما كان ممتنعا ، وهناك يمدح
 راكمه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظلمآى قواضيه » :
 « أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء » . (٧) الصوالج : العصي المعوجة الأطراف التي يلعبون بها
 الكرة ؛ الواحد صولجان ، فارسي معرب . والقنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . وقد شبه هذا الجيش في حربه
 بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاته بالموت فيها ، فجعل الرماح صوالجه ، ورؤوس الأعداء
 كراته ، والحصون مواضع اللعب .

- (١) إذا تَارَدُكْتَ أَجْبُلُ وَتَحْشَعْتَ * بِحَارٍ وَأَمْضَى اللَّهُ مَا هُوَ كَاتِبُهُ
 (٢) وَثَلَّثَ عُرُوشَ وَاسْتَقَرَّتْ مَمَالِكُ * وَلَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِيهَا يُنَاصِبُهُ
 (٣) فَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ (يَلْدِرَا) بَعْدَ رَبِّهَا * وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأَنْدَكَ جَانِبُهُ
 (٤) وَأَسْلَمَهُ أَحْبَابُهُ لِقُضَابَتِهِ * وَفَرَّ - وَلَمْ يَحْشَ الْمَعْرَةَ - كَاتِبُهُ
 (٥) وَقَلَّ مَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ * وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجَنُّ حَاجِبُهُ
 (٦) فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى * بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيمَنْ يُجَارِبُهُ
 (٧) أَيْبَحَ حِمَاهَا وَأَنْطَوَى مَجْدُ رَبِّهَا * وَقَامَتْ عَلَى الْبَيْتِ (الْحَمِيدِ) نَوَابِهُ
 (٨) وَلَمْ يُغْنِ عَنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) دَهَاؤُهُ * وَلَا عَصَمَتْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) تَجَارِبُهُ
 (٩) وَلَمْ يَحْصِ حِصْنٌ وَلَمْ تَرْمِ دُونَهُ * دَنَانِيرُهُ وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ حَارِبُهُ
 (١٠) وَلَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مُخَدَعٌ * وَلَا تَفَقَّ فِي الْأَرْضِ جَسْمٌ مَسَارِبُهُ

- (١) دكت : تهذمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .
 (٢) ثلث : هذبت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه .
 (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .
 (٤) يريد « بكاتبه » : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو قلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السرايب والألقاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه .
 (٦) فإ : جواب « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .
 (٧) أيبح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحي لكل داخل مهما قل شأنه .
 (٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنائره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه .
 فشبّه المال بحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرى السهام دفاعاً عن من يحتوى به . وحزبه الأمر : نابه وأشدتد عليه وضغطه .
 (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخائى والألقاق التى كان قد أعدّها عبد الحميد تحت الأرض ليجتئ فيها من أعدائه .

- (١) أَقَامَ عَلَيْهِ مَهْلَكًا عِنْدَ مَهْلَكٍ * يَمْرُبه رَوْحُ الصَّبَا فَيُؤَاثِبُهُ
تَحَامَاهُ حَتَّى الْوَهْمُ خَوْفَ آغْتِيَالِهِ * فَلَوْ مَسَّهُ طَيْفٌ لَدَارَتْ لَوَائِبُهُ
وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ لِحَاطِهَا * بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
(٢) فَنَى كُلَّ قُفْلٍ لِلنِّيَّةِ مَكْنً * وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَضَاءٌ يَرِاقِبُهُ
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمْتُ * لَمَّا شَكَّ فِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُحَاطِبُهُ
تَمَائِيلُ إِيهَامٍ أُنِيمَتْ وَأُقْعِدَتْ * تَرَأَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاكِبُهُ
تُمَثِّلُهُ فِي نَسْوَمِهِ وَجُلُوسِهِ * وَتُخَدِّعُ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا وَاحِدًا عَزَّ غَالِبُهُ
(٤) سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عَنْهُ فِي يَوْمٍ خَلِيهِ * عَجَائِبُهُ ؟ أَوْ أَحْرَزَتْهُ غَرَائِبُهُ ؟
(٥) وَقَدْ نَزَلَ الْمِقْدَارُ بِالْأَمْرِ صَادِقًا * فَضَاقَتْ عَلَى شَيْخِ الْمُلُوكِ مَذَاهِبُهُ
وَأَخْرَجَهُ مِنْ (يَلْدِزِ) رَبِّ (يَلْدِزِ) * وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ (عُثْمَانَ) وَاهِبُهُ
(٦) وَأَصْبَحَ فِي مَنَفَاهُ وَالْجَيْشُ دُونَهُ * يُغَالِبُ ذِكْرِي مُلْكِهِ وَتُغَالِبُهُ

- (١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ في المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .
(٢) يشير بهذا البيت إلى ما كان يروى من العجائب التي كان يتخذها السلطان عبد الحميد في الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت للحبائه ونزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .
(٣) تراءى ، أى تراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .
(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

- (١) يُنَادِيهِ صَوْتُ الْحَقِّ : ذُقْ مَا أَذَقْتَهُمْ * فِكُلْ أَمْرِي رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُهُ
(٢) هُمْ مَنَحَوْكَ الْيَوْمَ مَا أَنْتَ مُسْتَتِهِ * فَرُدَّ لَهُم بِالْأَمْسِ مَا أَنْتَ سَالِبُهُ
(٣) وَدَعْ عَنْكَ مَا أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا * فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ تُجَازِبُهُ
(٤) مَضَى عَهْدُ الْأَسْتِبْدَادِ وَأَنْدَكَ صَرْحُهُ * وَوَلَّتْ أَقَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ
(٥) لَكَ اللَّهُ يَا (تَمُوزُ) إِنَّكَ بَلَسَمٌ * لَجَرَحَى الْأَسَى وَالذَّهْرُ تَعْدُو نَوَائِبُهُ
(٦) فَكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وَأَرْهَقْتَ ظَالِمًا * وَأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوَالَتْ مَصَائِبُهُ
(٧) فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرِ أَغْرٍ مُحْجَلٍ * أَوَائِلُهُ مَيُّونَةٌ وَعَوَاقِبُهُ
(٨) تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا * تَجَلَّى هِلَالُ الشَّهْرِ أَوْ لَاحَ حَاجِبُهُ
(٩) فِيهِ الْغَرْبُ عِيدٌ يَنْظُمُ الْغَرْبُ حُسْنَهُ * فَتَهْتَرِمُ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَانِبُهُ
(١٠) وَفِي الشَّرْقِ عِيدٌ لَمْ يَرِ الشَّرْقُ مِثْلَهُ * تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَازِبُهُ

- (١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مستته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها . (٣) شبه « الآمال » بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيما موضع تمسكه بيدك وتجذبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد « بالأفاعى والعقارب » : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يولييه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفرغت . وأرهقت ظالما : حمله ما لا يطيق من العذاب . (٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، إذا كان مشهورا ؛ وأصلهما من الصفات المدروحة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر . (٩) يريد « بالعيد الذى فى الغرب » : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يولييه) . (١٠) يريد « بالعيد الذى فى الشرق » : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبته الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

(١) يُطِيفُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرَبُّهُ * تُطِيفُ بِهِمُ الْآلَاءُ وَمَنَاقِبُهُ
لَتَهْنِئَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا * خِلَافَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهُ
(٢) سَمَّيْتُكَ أَمْوَاجَ الْبَحَارِ سَفِينُهُ * كَمَا مَلَكَتْ شُمُّ الْجِبَالِ كَتَائِبُهُ
تَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتُغَوِّرُهُ * رَكَائِبُهُ مَنصُورَةٌ وَمَرَائِبُهُ

(٣) إلى البرنس حسين كامل باشا

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

(٤) لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ * أَهْمُ ذَادَ نَوْمَكَ أَمْ هِيَامُ
(٥) غَفَا الْمَحْزُونُ وَالشَّارِكِي وَأَغْفَى * أَخُو الْبَلَوَى وَنَامَ الْمُسْتَهَامُ
(٦) وَأَنْتَ تُقَلِّبُ الْكَفَّيْنِ أَنَا * وَأَوْنَةُ يُقَلِّبُكَ السَّقَامُ
(٧) تَحْدَرَتِ الْمَدَامِيعُ مِنْكَ حَتَّى * تَعْلَمَ مِنْ مَحَايِرِكَ الْغَنَامُ

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) شُمُّ الْجِبَالِ : أعاليها ، الواحد أشم . والكاتب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل في يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م .

وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : نرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المهاجر : جمع محجر (يفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغنام :

السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك .

(١) وَصَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الْحَشَايَا * وَأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلَامُ
 (٢) تَبَيَّتْ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سُهْدًا * وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَنَّقَهَا الْمَنَامُ
 وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى * أَذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
 (٣) بَرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيْسٍ * مِنْ الذِّكْرِى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
 (٤) وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَلِكَ سَيْفٌ * عَلَى فَوْدَيْكَ عُلِقَهُ الْجِمَامُ
 (٥) أَيْجُلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبٌ مِضِرٌ * بُكَاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ
 (٦) وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مِضِرٍ * وَمِضْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِي تَضَامُ؟
 (٧) عَدِمْتُ يَرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي * هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
 (٨) وَمَا أَنَا وَالْغَرَامَ وَشَابَ رَأْسِي * وَضَالَ شَبَابِي انْخَطَبُ الْجُسَامُ
 (٩) وَرَبَّانِي الَّذِي رَبِّي (لَيْدًا) * فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْأَنَامُ

- (١) الحشايا: الفرش المحشوة؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلak: سهدا، أى تشاركها في السهر وتناوبها فيه . ورنقها: خالطها . (٣) الرسيس: البقية والأثر .
 (٤) الفردان: ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء): الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتي الرأس»: الشيب، لأن كليهما قاتل .
 (٥) أرهقه: آذاه وآله . (٦) الباغى: الظالم . (٧) البراعة: القلم . ويريد بلاغته وأدبه، لأنهما يكتبان به . وضرام النار: اشتعلها . (٨) غاله: أفناه وأهلكه .
 والجسام والجسيم: العظيم . (٩) يريد ليد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف، صاحب المعلقة المشهورة، التي أولها: «عفت الديار محلها فرسومها» . وكان من المعمرين، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذي ربى ليدا»: الزمان وتطاوله . وبخصه بالذكر لأنه من المعمرين، ومن جربوا الحياة حتى مئمتوها، قال:

ولقد سمئت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف ليد؟

لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لَغَيْرِ مُصِيرٍ * وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ^(١)
 ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ * تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
 وَأَيَّامَ الرِّجَالُ بِهَا رِجَالٌ * وَأَيَّامَ الزَّمَانُ لَهَا غُلَامُ
 فَأَقْلَقَ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا * وَبَاتَتْ مُصْرُفِيهِ ، فَهَلْ أَلَامُ؟
 أَرَى شَعْبًا بِمَدْرَجَةِ الْعَوَادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ دَاءُ عُقَامُ^(٢)
 إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَاسَاءِ عَامٌ * أَطْلَّ عَلَيْهِ بِالْبَاسَاءِ عَامُ
 سَرَى دَاءُ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى * تَخْطَفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الرَّحَامُ^(٣)
 قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مِنَّا * كَمَا اسْتَعَصَى عَلَى الطُّبِّ الْجُدَامُ^(٤)
 هَلَاكَ الْفَرْدِ مَنْشَوُهُ تَوَانٍ * وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَوُهُ أَنْقِسَامُ
 وَإِنَّا قَدْ وَبَيْنَا وَأَنْقَسَمْنَا * فَلَا سَعْيَ هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
 فِسَاءَ مُقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصِيرٍ) * وَطَابَ لَغَيْرِنَا فِيهَا الْمَقَامُ
 فَلَا عَجَبٌ إِذَا مُلِكَتْ عَلَيْنَا * مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرْنَا نِيَامُ^(٥)
 (حُسَيْنٌ حُسَيْنٌ) أَنْتَ لَهَا فَبَيْتُهُ * رِجَالًا عَنْ طِلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
 وَكُنْ بِأَبْيِكَ لِابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نِعَمَ الْحُسَامِ^(٦)

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادي : النواشب .

وتمنخ العظم ، إذا أخرج منه . والداء العقام : الذي لا يرجى البرء منه . (٣) يريد « بالزحام » :

مزاحمة الأجانب للصريين . (٤) الضمير في « استعصى » : يعود على « التواكل » السابق .

(٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد « بابن أخيه » : عباس الثاني خديوي مصر السابق .

أَفِضْ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَثَامًا * فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِهَا الْخِصَامُ
 وَعَلَهُمْ مُصَادِمَةُ الْعَوَادِي * فَمِثْلُكَ لَا يَرُوعُهُ الصَّدَامُ^(١)
 فَفِي حِزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وَإِنْ قَالُوا فَإِنَّهُمْ كِرَامُ
 وَفِي حِزْبِ الشَّامِ لَدَيْكَ أَسَدٌ * كُفَاةٌ لَا يَطِيبُ لَهَا أَنْهَزَامُ^(٢)
 فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتَكُمُكُمْ * مِنَ التُّهَاتِ وَالْفُرَصِ آغْتِنَامُ^(٣)
 فَمَا سَادُوا بِمُعْجَزَةٍ عَلَيْنَا * وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ أَنْضَامُ^(٤)
 فَلَا تَتَّقُوا بَوْعِدِ الْقَوْمِ يَوْمًا * فَإِنَّ سَحَابَ سَائَتِهِمْ جَهَامُ^(٥)
 وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فِلَانِي * أَرَى السُّوَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ ذِمَامُ^(٦)
 فَكَمْ ضَحِكَ الْعَمِيدُ عَلَى لِحَانَا * وَغَرَّ سَرَاتِنَا مِنْهُ آتِسَامُ^(٧)
 أَبَا الْفَلَاحِ إِنْ الْأَمْرَ فَوَّضِي * وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْقَوْضَى لِرَامُ^(٨)
 فَاسْعِدْنَا بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَأَعْلَمُ * بَأَنَّ النَّقْصَ يَعْقُبُهُ التَّمَامُ

(١) العوادي : النوايب . ويروعه : يفزعه . (٢) الكفاة : الشجاعة ؛ الواحد كفى

(بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) التُّهَات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » :

ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهايم من السحب (بفتح الجيم) : الذي لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة

من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد مرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من

العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والقوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وَلَيْسَ الْعِلْمُ يُمْسِكُكَ وَحِيدًا * إِذَا لَمْ يَنْصُرِ الْعِلْمَ اعْتَرَامٌ
 (١) وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الدُّسْتُورُ (مِصْرًا) * فَمَا لِحَيَاتِهَا أَبَدًا قِوَامٌ
 (٢) حَمُونًا وَرَدَّ مَاءِ (النَّيْلِ) حَذْبًا * وَقَالُوا : إِنَّهُ مَوْتُ زُؤَامٍ
 وَمَا الْمَوْتُ الزُّؤَامُ إِذَا عَقَلْنَا * سِوَى الشَّرَكَاتِ حَلَّ لَهَا الْخَرَامُ
 لَقَدْ سَعِدَتْ بِغَفْلَتِنَا فَرَاخَتْ * بِثُرُوتِنَا وَأَوَّلَهَا (الْتَّرَامُ)
 (٣) فَيَاوَيْلَ الْقَنَاءِ إِذَا أَحْتَوَاهَا * (بُنُو التَّامِيزِ) وَأَنْحَسَرَ اللَّثَامُ
 (٤) لَقَدْ بَقِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا حُطَامًا * بِأَيْدِينَا وَقَدْ عَزَّ الْحُطَامُ
 (٥) وَقَدْ كُنَّا جَعَلْنَاهَا زِمَامًا * فَوَالْهَفَى إِذَا قُطِعَ الزِّمَامُ
 (فَيَا قَصَرَ الدُّبَارَةِ) لَسْتُ أَدْرِى * أَحَرَبٌ فِي حِرَايِكَ أَمْ سَلَامُ
 (٦) أَجِبْنَا ، هَلْ يُرَادُ بِنَا وَرَاءُ * فَتَقْضَى أَمْ يُرَادُ بِنَا أَمَامُ
 وَيَا حِزْبَ الْيَمِينِ إِلَيْكَ عَنَّا * لَقَدْ طَاشَتْ نِيَالُكَ وَالسَّهَامُ
 وَيَا حِزْبَ الشَّمَالِ عَلَيْكَ مِنَّا * وَمِنْ أُنْبَاءِ تَجَدَّتِكَ السَّلَامُ

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه . ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القنائة ، أى قناة السويس . وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القنائة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) نقضى : نموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة . وأبناء تاجدتك ، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والتجدة : الشجاعة والنصرة .

تحية العام الهجرى

[سنة ١٣٢٨ هـ - يناير سنة ١٩١٠ م]

- (١) لى فيك حينَ بداَ سنّاكَ وأشرقَا * أَمَلْتُ سَأَلْتُ اللهَ أَن يَحَقِّقَا
(٢) أَشْرِقَ عَلَيْنَا بالسُّعُودِ وَلَا تَكُنْ * كَأَخِيكَ مَشْتُومَ الْمَنَازِلِ أَحْرَقَا
(٣) قَدْ كَانَتْ جَرَّاحَ النَّفُوسِ قَدَاوَهَا * مِمَّا بِهَا وَكُنَ الطَّبِيبُ مُوقِّفَا
(٤) هَلَلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِهِ * وَرَجَوْتُ فِيهِ الْخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا
(٥) وَهَزَزْتُه بِقَصِيدَةٍ لَوْ أَنَّهَا * تُلِيَتْ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ لِأَغْدَقَا
(٦) فَنَأَى بِجَانِبِهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ * مِضْرًا وَأَسْرَفَ فِي النَّحُوسِ وَأَغْرَقَا
(٧) لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يُحِبُّهُ لَنَا * لَسَأَلْتُ رَبِّي ضَارِعًا أَن يُمَحِّقَا
(٨) أَوَّلَى الْأَعَاجِمِ مِنْهُ مَذْكُورَةٌ * وَأَعَادَ لِلْأَتْرَافِ ذَاكَ الرُّوْنَقَا
(٩) وَتَغَيَّرَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ بِفَارِسٍ * حَتَّى رَأَيْتُ الشَّاهَ يَخْشَى الْبَيْدَقَا

(١) السنة : الضوء . يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله « أخيك » : هلال العام الذى قبله .
والمنازل : البروج التى ينتقل فيها القمر . والأشراق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء) ،
وهو القسوة والحق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : إذا حركه
إليه وشوقه إلى عمله . وأغدق : تفجر بأماء الكثير . ويريد « بالقصيدة » : القصيدة السابقة التى أوتها :
أطل على الأكوام والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .
(٦) أوى : أعطى . ويريد أن الأعاجم ، وهم الفرس ، نالوا فيه الدستور ، وكذلك الترك .
(٧) الخطوب : الشئون ؛ الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق :
الجندي . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة
حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

(١) وأَدَالَ مِنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) لَشَعْبِهِ * فَهَوَى وَحَاوَلَ أَنْ يَعُودَ فَأَخْفَقَا

(٢) أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا مِنْ جُنْدِهِ * وَلَقَدْ يَكُونُ وَمَا يُبَالِي الْفَيْلَقَا

(٣) وَرَمَى عَلَى أَرْضِ الْكِنَانَةِ حَرَمَهُ * بِالنَّازِلَاتِ السُّودِ حَتَّى أَرْهَقَا

(٤) حَصَدَتْ مَنَاجِلُهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا * وَلَوْ أَنَّهَا أَبْقَتْ عَلَيْهِ لَأَوْرَقَا

(٥) فَتَقَيَّدَتْ فِيهِ الصَّحَافَةُ عَنُودَهُ * وَمَشَى أَلْهَوَى بَيْنَ الرَّعِيَةِ مُطْلَقَا

وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (الْقَنَازَةِ) خَدِيعَةً * وَلَوْ أَنَّهَا تَمَّتْ لَتَمَّ بِهَا الشُّقَا

(٦) إِنَّ الْبَلِيَّةَ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وَمَا فِيهَا وَلَا تَنْطَقَا

(٧) كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى الْإِمْنَا * صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأُطْبِقَا

فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمَعَ فَاسْتَعَصَى بَكَتْ * عَنَّا أَسَى حَتَّى تَغْصُ وَتَشْرَقَا

(٨) كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَسْهُمَا * نَزَمِي بِهَا وَسَوَاقًا يَوْمَ اللَّقَا

- (١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق في السعي : لم ينجح فيه . (٢) الضمير في «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الملل . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها العسر والظلم والطفانيان . (٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذي عمل به في عهد وزارة بطرس غالي باشا ، فقيده حرية الرأي والكتابة في الصحف . والعنود : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهي الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه . (٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى ما حدث في عهد نظارة بطرس غالي باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدى من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن في ذلك هبنا فاحشا قدر بمبلغ ١٣٠٥٩٨٠٠٠ جنيا ، وكان ذلك في ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية في هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيم وغطاهم . (٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت صدة لنا في الجهاد .

كانت صمًا لِلنُّفُوسِ إِذَا غَلَّتْ * فِيهَا الْهَمُومُ وَأَوْشَكَتُ أَنْ تَرْهَقَا
 كَمْ نَفَسْتُ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ وَاجِدٍ * لَوْلَا الصَّامُ مِنَ الْأَسَى لَتَمَزَّقَا ^(١)
 مَالِي أُنُوحُ عَلَى الصَّحَافَةِ جَارِمًا * مَاذَا أَلَمَ بِهَا وَمَاذَا أَحْدَقَا؟ ^(٢)
 قَصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ * أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَصْعَقَا ^(٣)
 وَأَتَوْا بِحَاذِقِهِمْ يَكِيدُ لَهَا يَمًا * يَتْنِي عَزَائِمَهَا فَكَانَتْ أَحْدَقَا ^(٤)
 أَهْلًا بِنَابِتَةِ الْبِلَادِ وَمَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا ^(٥)
 لَا تَيَاسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثُمَّ أَرْتَقَى ^(٦)
 مَدَّتْ لَهُ الْأَمَالُ مِنْ أَفْلَاكِهَا * خَيْطَ الرَّجَاءِ إِلَى الْعُلَا فَتَسَلَّقَا ^(٧)
 فَتَجَسَّمُوا لِلْجِدِّ كُلِّ عَظِيمَةٍ * إِنِّي رَأَيْتُ الْمَجْدَ صَعْبَ الْمُرْتَقَى ^(٨)
 مَنْ رَامَ وَضَلَ الشَّمْسَ حَاكٌ خُيُوطَهَا * سَبَبًا إِلَى آمَالِهِ وَتَعَلَّقَا ^(٩)
 عَارٌ عَلَى أَبْنِ النَّيْلِ سَبَاقِ الْوَرَى * - مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُهُ - أَنْ يُسَبِّقَا ^(١٠)
 أَوْ كُلَّمَا قَالُوا اتَّجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشَّقَاقُ بِمَجْمَعِنَا فَتَفَرَّقَا ^(١١)

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . و«من الأسى»

متعلق بقوله «لتمزقا» . (٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحدقا» :

أنها كانت تؤدي عملها في نقد الحكومة بمهارة ومدارة حتى لا تؤاخذ . (٤) نابتة البلاد : نشوها

وشبانها . وأخلق : بلى ورث . (٥) تسلق : صعد . (٦) تجسسوا : تكلفوا .

(٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالي الأمور تلبس الوسائل

لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها . (٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

- (١) فَتَدَفَّقُوا مُجْجًا وَحُوطُوا نَيْلَكُمْ * فَلَكُمْ أَفَاضَ عَلَيْكُمْ وَتَدَفَّقَا
 (٢) حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ * فَتَأَنَّقُوا فِي سَلِينَا وَتَأَنَّقَا
 (٣) هَزُّوا مَغَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْهُمٍ * يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
 فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعِلَا * لَمْ يَبْقِ بَابًا لِلْسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
 ثُمَّ أَسْتَيْدُوا مِنْهُ كُلَّ قُورَاكُمْ * إِنْ الْقَوَى بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَّقَى
 (٤) وَأَبْنُوا حَوَالِي حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وَخُطُوبًا مِنْ حِذَارٍ خُنْدَقَا
 (٥) وَزِنُوا الْكَلَامَ وَسَدِّدُوهُ فَلَانَهُمْ * خَبَأُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزَلَقَا
 (٦) وَأَمْشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ * وَعَرُّ أَطَافَ بِهِ الْهَلَاكُ وَحَلَقَا
 (٧) نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِخَاخَ وَأَرَصَدُوا * لِلْسَّالِكِينَ بِكُلِّ نَجْمٍ مَوْيِقَا
 (٨) الْمَوْتُ فِي غَشْيَانِهِ وَطُرُوقِهِ * وَالْمَوْتُ كُلُّ الْمَوْتِ إِلَّا يُطْرَقَا
 (٩) فَتَحِينُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً * وَتَعَجَّلُوا بِالْعَزَائِمِ وَالرُّقَى

- (١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المختلون بمحوادث الزمان ونوائبه . وتأثق في الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أدهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أم الشرق ما للإنجليز بين أم الغرب . (٤) المراد (بالخوض) هنا : الحى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .
 (٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .
 (٧) الفج : الطريق . والمويق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة إلى المجد والحرية عملوه بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استئانة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففي الإقدام موت ، وفي الإجمام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله في البيت الآتى .
 (٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد « بالعزائم والرقى » هنا : قوة الدماء والتلطف في الحيلة ، وحسن التأق إلى المقاصد .

أَوْ فَاخْلُقُوهَا قَادِرِينَ فَلَمَّا * فُرِصَ الْحَيَاةَ خَلِيقَةً أَنْ تُخْلَقَ
 وَتَفِيثُوا ظِلَّ الْأَرِيكَةِ وَأَقْصِدُوا * مَلِكًا بِأَمْتِهِ أَبَرَّ وَأَرْفَقًا^(١)
 لَا زَالَ تَأْجُ الْمَلِكِ فَوْقَ جَبِينِهِ * تَحْتَ الْهِلَالِ يَزِينُ ذَاكَ الْمَفْرِقًا^(٢)

تحية الأسطول العثماني

أنشدتها في حفل أقيم ببناتروعباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برئاسة رؤوف باشا المعتمد العثماني

بِالَّذِي أَجْرَاكَ يَا رِيحَ الْخُزَامَى * بَلَّغْنِي الْبُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا^(٣)
 وَأَقْطِنِي مِنْ كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ * وَأَجْعَلِيهَا لَتَحَايَانَا كِكَامَا^(٤)
 وَانْشُرِي رَيَّاكَ فِي ذَاكَ الْحَيَى * وَالثَّمِي الْأَرْضَ إِذَا جِثَّتِ الْإِمَامَا^(٥)
 مَلِكٌ لِلشُّرْقِ فِي أَيَّامِهِ * هِمَّةُ الْفَرْبِ نُهَوْضَا وَأَعْتَزَامَا
 أَيُّهَا الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ لَقَدْ * قُتَّتْ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتَ الْقِيَامَا
 جَرَّدَ الرَّأْيَ فَكُمُ رَأْيِي إِذَا * سُلَّ مِنْ غِمْدِ النَّهْيِ فَلَّ الْحُسَامَا^(٦)

(١) تفتثوا ظل الأريكة، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها ويستظلوا بها. والأريكة: سرير الملك.

(٢) مفرق الرأس: وسطه، وهو حيث يفرق فيه الشعر.

(٣) الخزامى: نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نفحة؛ وهذا النبات يقارب البنفسج، وزهره

إلى الزرقة واللازوردية. (٤) الكام: أغصان الزهر؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم).

يقول: حوطني يحايانا بأزهار الرياض. ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكر من

الأزهار ريحا، لأن الأزهار أذكر من أكامها وأطيب نفحة. (٥) الريا: الرائحة الطيبة. ويريد

«بالإمام»: خليفة المسلمين. (٦) النهى: العقول؛ الواحد نهية. وفل الحسام: ثلثه وكسره.

وَأَبَعَثَ الْأَسْطُولَ تَرْمِي دُونَهُ * قُوَّةُ اللَّهِ وَرَاءَ وَأَمَامًا
 يَكَلَّا الشَّرْقَ وَيَرْعَى بُقْعَةً * رَفَعَ اللَّهُ بِهَا (الْبَيْتَ الْحَرَامَا)^(١)
 وَتُغُورًا هِيَ أَبْهَى مَنَظَرًا * مِنْ تُغُورِ الْغَيْدِيَّيْنِ آبِتَسَامَا^(٢)
 نَخَصَهَا اللَّهُ بِأَفْقٍ مُشْرِقٍ * ضَمَّ فِي اللَّأْلَاءِ (مَضْرًا) وَ (الشَّامَا)^(٣)
 حَتَّى يَا مُشْرِقُ أَسْطُولَ الْأَلَى * ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فَاسْتَقَامَا^(٤)
 مَلَكُوا الْبَرَّ فَلَمَّا لَمْ يَسْعَ * مَجْدَهُمْ نَالُوا مِنْ الْبَحْرِ الْمَرَامَا^(٥)
 يَجْوَارِ مُنْشَأَتٍ كَالْدُمَى * أَيْتَمَا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا^(٦)
 كَلَّمَا أَوْفَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ * تَجَدَّ الْمَوْجُ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا^(٧)
 كَانَ بِالْبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا * وَعَجِيبٌ يَسْتَكِي الْبَحْرُ الْأَوَامَا^(٨)
 فَهِيَ فِي السَّلِيمِ جَوَارٍ تُجْتَلَى * تَبْهَرُ الْعَيْنُ رُوءَاءَ وَنِظَامَا^(٩)
 وَهِيَ فِي الْحَرْبِ قَضَاءٌ سَائِحٌ * يَدْعُ الْحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا

- (١) يَكَلَّا الشَّرْقَ : يحفظه ويصونه . ويريد «بالهبة» . : الحجاز . (٢) الْغَيْد : جمع غَادَة ، وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) اللَّأْلَاءُ : الضياء .
 (٤) «ضَرَبُوا الدَّهْرَ ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسلطوتهم وعزهم فاستقام لهم .
 (٥) الْجَوَارِي الْمُنْشَأَاتُ : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .
 (٦) أَوْفَتْ : أشرفت . والاحتشام : الحياء .
 (٧) الْأَوَامُ : شدة العطش .
 (٨) تَجْتَلَى : ينظر إليها الناس معجبين بحسنها وروعتها . والرؤاء (بضم الراء) : حسن المنظر .
 (٩) الرِّجَامُ : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

(١) ما نُجُومُ الرَّجِيمِ مِنْ أَجْرَاجِهَا * لَأَرْغِفِيَتْ مِنَ الْجَنِّ تَرَامِي
 (٢) مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكِ مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُمرَامَا
 وَهِيَ بُرْكَانٌ إِذَا مَا هَاجَهَا * هَائِجُ الشَّرِّ عِدَاءٌ وَخِصَامَا
 (٣) جَبَلِ النَّارِ لَقَدْ رُعْتَ الْوَرَى * أَنْتَ فِي حَالِيكَ لَا تَرَعَى ذِمَامَا
 (٤) أَنْتَ فِي الْبَرِّ بَلَاءٌ فَإِذَا * رَكِبَ الْبَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤَامَا
 (٥) فَاتَّقُوا الطُّودَ مَكِينًا رَاسِيًا * وَاتَّقُوا الطُّودَ إِذَا مَا الطُّودُ عَامَا
 (٦) حَمَلَتْ حَرْبًا فَكَانَتْ حَقَبَةً * نُذْرًا لِلَّوْتِ تَجْتَاحُ الْأَنَامَا
 (٧) خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامَا
 بُعِثَ الْمَشْرِقُ مِنْ مَرْقِيهِ * بَعْدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُنْجِي الْعِظَامَا
 أَيُّهَا الشَّرْقُ شَمَّرْ لَا تَمَّ * وَأَنْفِضِ الْعَجَزَ فَإِنَّ الْحَدَّ قَامَا

(١) ترمى ، أى ترمى وتتساقط . ويشير إلى أن الجن كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واستراق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة الجن . (٢) أنكى : خبر «لما» في قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب . (٣) رعت : أفرغت . والذمام : الحرمة والعهد . (٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : إلى البراكين المعروفة . وبقوله «فاذا ركب البحر» : إلى الأسطول ، تنبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيقى فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول . (٥) الطود : الجبل العظيم . (٦) الحقبة من الدهر : مدة لاحة لها . وتحتاج الأنام : تهلكهم . (٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلام معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت بعث سلم أيضا .

(١) وَاَمْتِطِ الْعَزْمَ جَوَادًا لِلْعُلَا * وَأَجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعَزْمِ زِمَامًا
 (٢) وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مُنَى * فَارْكَبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ النِّهَامَا
 لَا تَضِيقْ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعِدَا * رَبِّ ذِي لُبٍّ عَنْ الْحَقِّ تَعَامَى
 سَابِقِ الْعَرْبِيِّ وَأَسْبِقِ وَاعْتَصِمْ * بِالْمُرُوءَاتِ وَبِالْبَأْسِ اعْتِصِمَا
 جَانِبِ الْأَطْمَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ * وَأَجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالتَّقْوَى لِمَا
 (٣) طَلَبُوا مِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا * قَادِرِ الْمَوْتِ وَأَنْ يَثْنُوا الْجِمَامَا
 (٤) وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
 (٥) (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ) * طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى
 (٦) أَخْرَجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْ بَزَّهُ * سِرَّهُ بَزًّا وَلَمْ يَخْشَ آتِنَقَامَا
 قُسْوَةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِيًّا قُوَى * وَأَفِضْ فِي بَنِي الشَّرْقِ الْوِثَامَا
 أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرِ حَقْدَهُ * أَمَلِي السَّارِجَ وَالْذُّنْبَا كَلَامَا
 أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا * خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخَنَا وَغُلَامَا
 (٧) أَنْ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرْلِنَا * فِي الْوَغَى أَنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بط

النعام لا يصلح عطية للجد . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الروس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب .

وساماه مسامة : باراه في السدق . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب .

والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : فائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس

[في سنة ١٩١٢ م]

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا * فَاسْتَفِيقْ يَا شَرْقُ وَاحْذَرُ أَنْ تَنَامَا^(٢)
 وَأَحْيِلِي أَيُّهَا الشَّمْسُ إِلَى * كُلِّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
 وَأَشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا * فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا^(٣)
 مَا دَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتْ * مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحَرَامَا^(٤)
 عَجَزَ الطُّلِيَانُ عَنِ أَبْطَالِنَا * فَأَصْلَوْا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا^(٥)
 كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا * بِذَوَاتِ الْخَدْرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَى^(٦)
 ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمَنِي وَلَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يُقُوا غُلَامَا^(٧)
 أَحْرَقُوا الدُّورَ، أَسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا * حَرَّمَتْ (لَاهَاي) فِي الْعَهْدِ أَحْرَامَا^(٨)
 بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ * فَسَلُّوهُ بَارَكَ الْقَوْمَ عَلَامَا؟^(٩)

- (١) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط في اقتسام إفريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ في مصر وتونس ، قويت أطماعها في طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .
- (٢) اللثام (بالكسر) : الثقاب . أي إن أمم الغرب قد كشفوا غمما يضررون للشرق من اقتسامه بينهم .
- (٣) يوم التنادي : يوم القيامة . (٤) ماددت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت .
- (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السق . (٦) طلاح به : ذهب به وأهلكه .
- (٧) الزمنى : ذور العاهات ، الواحد : زمن (بفتح الأتول وكسر الشافى) .
- (٨) يشير إلى مؤتمر لاهاي الذى عقد في سنة ١٨٩٣ م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشا كل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول .
- (٩) المطران (بالفتح ويكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرك وفوق الأسقف .

أَيُّهَا جَاءَهُمْ لِيُجِيبَهُمْ * أَمِيرًا يُلْقِي عَلَى الْأَرْضِ سَلَامًا؟
 كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرِيبِ لَنَا * وَجَلَّوْا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظُّلَامَا
 فَقَرَأْنَاهَا سُطُورًا مِنْ دَمٍ * أَقْسَمْتَ تَلْتَهُمُ الشَّرْقَ الْتِهَامَا^(١)
 أَطْلَقُوا الْأَسْطُورَ فِي الْبَحْرِ كَمَا * يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فِي الْجَوِّ الْحَمَامَا^(٢)
 فَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى * تَجِئُ الْأَنْبَاءَ شُؤْمًا وَأَنْهَزَامَا^(٣)
 قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَائِهِمْ * فَدَعُوهُمْ يَمْلِكُوا الدُّنْيَا كَلَامَا^(٤)
 أَطْلَعُوا الْحَرْبَ وَاضْمَرْنَا لَهُمْ * أَيُّهَا حَلُّوا هَلَاكًا وَآخِرَامَا^(٥)
 خَبَرُوا (فِكْتُورَ) عَنَّا أَنَّهُ * أَذْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا^(٦)
 أَذْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْ رَأَوْا * جَيْشَهُ يَسِيرُ فِي الْبَحْرِى النَّعَامَا
 لَمْ يَقِفْ فِي السَّبْرِ إِلَّا رَيْثَمَا * يُسَلِّمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقِي الزَّهَامَا^(٧)
 حَاتِمَ الطُّلِيَانِ قَدْ قَلَدْتَا * مِنْهُ نَذْكُرُهَا عَامًا قَعَامَا^(٨)
 أَنْتَ أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا عُدَّةً * وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا^(٩)
 وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ * ذَا كَلَالٍ فَقَدَا يَفْرِى الْعِظَامَا^(١٠)

(١) الزاجل : الذى يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقياء الأجساد ؛ الواحد شلو .

(٣) اخترم القوم : استأصاهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما يخفى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعهد بجاتهم

الطائي الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .

(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويغرى : يشق .

أَكْثَرُوا الزَّهَةَ فِي أَحْيَانِنَا * وَرُبَانَا إِنَّمَا تَشْفِي السَّقَامَا
 وَأَقِيمُوا كُلَّ حَائِمٍ مَوْسِمًا * يُشْبِعُ الْإِيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامِي^(١)
 لَسْتُ أَذْرِي بَيْتَ تَرْعَى أُمَّةً * مِنْ بَنِي (التَّلِيَانِ) أُمُّ تَرْعَى سَوَامَا^(٢)
 مَا لَهُمْ - وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ - * لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَأَعْتَصَامَا^(٣)
 أَفْلَتُوا مِنْ نَارٍ (فِي زُوفٍ) إِلَى * نَارٍ حَرِيبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضِرَامَا
 لَمْ يَكُنْ (فِي زُوفٍ) أَذْهَى حُمَمًا * مِنْ كُرَاتٍ تَتَفَتُّ الْمَوْتَ الزُّؤَامَا^(٤)
 لَيْهٍ يَا (فِي زُوفٍ) نَمَّ عَنْهُمْ فَقَدْ * نَفَضْتُ إِفْرِيْقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا
 فَهِيَ بُرْكَانٌ لَهُمْ سَخَّرَهُ * مَالِكُ الْمُلْكِ لِحِزَاءٍ وَأَنْتِقَامَا
 لَوْ دَرَوْا مَا خَبَأَ الشَّرْقُ لَهُمْ * آثَرُوا (فِي زُوفٍ) وَأَخْتَارُوا الْمَقَامَا^(٥)
 تِلْكَ عُقْبَى أُمِّ غَادِرَةٍ * تَتَكُتُّ الْعَهْدَ وَلَا تَرْعَى الذَّمَامَا
 تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَغَى * أَوْ تَعَالَى أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 لَوْ دَرَّتْ (رُومَةٌ) مَا قَدْ نَابَهَا * فِي (طَرَابُلُسٍ) أَبَتْ إِلَّا أَنْفِيسَامَا
 وَأَبَى كُلُّ أَشْتَرَاكِىٍّ بِهَا * أَنْ يَرَى التَّاجَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
 أَعْلَنُوا ضَمَّ مَغَانِينَا إِلَى * مُلْكٍ (فِي كُتُورٍ) وَلَمْ يَخْشَوْا مَلَامَا^(٦)

(١) الأيامى : جمع أيام (بتشديد الياء)، وهى من لازوج لها . (٢) السوام : الإبل الراحية .
 (٣) فيزوف : بركان فى جنوب إيطاليا معروف . (٤) اللحم : جمع حمة ، وهى كل ما احترق
 من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد « بالكرات » : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .
 (٥) الذمام : الحق والحمة . (٦) المغانى : المنازل ؛ الواحد مغنى (يفتح فسكون) .

^(١) أَعْلَنُوا الضَّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا * قَيْدَ أَظْفُورٍ وَرَاءَ أَوَّامَا
^(٢) فَأَعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ ذِي مِرَّةٍ * يَحْسِبُ التُّهَّةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامَا
 وَيَرَى الْفَتْحَ آدَاءً بَاطِلًا * وَأَفْتِرَاءً وَاجْتِاجًا وَاجْتِكَامَا
 أَيُّهَا الْحَائِرُ فِي الْبَحْرِ اقْتَرِبْ * مِنْ حَيِّ (الْبُسْفُورِ) إِنْ كُنْتَ هُمَامَا
 كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرْقِ مَا * يُزْجِعُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ حَامَا
^(٣) عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحِ سِوَى * هُوَّةٍ فِيهَا الْمَلَايِينُ تَرَامِي
 دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا * وَرَمَوْا فِي إِثْرِهِ الْمَجْدَ غُلَامَا
^(٤) فَاطْمِئِنِّي أُمِّ الشَّرْقِ وَلَا * تَقْنِطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
^(٥) إِنْ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْئِدَةٌ * تَعَشَّقُ الْمَجْدَ وَتَأْبَى أَنْ تُضَامَا

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢ م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلي)، وطبيب، ورجل عربي

الجريح :

(لَيْلَى) مَا أَنَا حَيٌّ * يُرَجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ

^(٦) لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادِي * وَهَآنَا قَدْ قَضَيْتُ

- (١) قيد أظفُور (يفتح الفاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
 (٣) تَرَامِي : تَرَامَى . (٤) الجَد (بالفتح) : الحظ . والمراد « بقيامه » : انتماشه .
 (٥) تضام : تظلم . (٦) قضيت : مت .

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ آتَى * لَمَّا رُمِيتُ رَمِيتُ
 (يُروى) لَوْ أَنَّ خَصْمًا * مَشَى إِلَى مَشَيْتُ
 أَوْ دَاسَ أَرْضِكَ بَاغٍ * لَدُسْتُه وَبَغَيْتُ
 أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ * مُنَازِلٌ مَا أَتَقَيْتُ
 لَكِنْ رَمَاكِ جَبَانٌ * لَوْ بَانَ لِي لَأَشْتَفَيْتُ^(١)
 (لَيْلَى) لَا تُحْسِنِي * عَلَى الْحَيَاةِ بَكَتُ
 وَلَا تَقْطِنِي شَكَاتِي * مِنْ مَضَرَعِي إِنْ شَكُوتُ^(٢)
 وَلَا يُخَيِّفُنِيكَ ذِكْرِي * (يُروى) أَنِّي سَلَوْتُ^(٣)
 (يُروى) مَهْدُ غَرَامِي * فِيهَا وَفِيكَ صَبُوتُ^(٤)
 جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبَابِي * لَهَوًا وَفِيهَا جَرَيْتُ
 فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلًا * وَمِنْ هَوَاكِ أَنْشَيْتُ^(٥)
 وَمِنْ عُيُونِ رُبَاهَا * وَعَذِبَ فِيكَ أَرْتَوَيْتُ^(٦)
 فِيهَا (لَيْلَى) كِنَاسٌ * وَلِي مِنَ الْعِزِّ بَيْتُ^(٧)

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى باليلى من سلوقى إياك حينما أذكر بيروت ، فكلاهما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين

ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميل فىك وفيها .

(٥) انشئ : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب

فيك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظهى الذى يأوى إليه .

فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا * أَوَائِلِي وَبَنَيْتُ^(١)
 (لَيْلِي) سِرَاجُ حَيَاتِي * خَبَا فَمَا فِيهِ زَيْتُ^(٢)
 قَدْ أَطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ * مَا مِنْ لَظَاهُنْ قَوْتُ^(٣)
 رَمَى بِهِنَ بُغَاةٌ * أَصَبَنِي فَتَوَيْتُ^(٤)

ليلى :

لَوْ تَفْتَدَى بِحَيَاتِي * مِنْ الرَّدَى لَفَدَيْتُ
 وَلَوْ وَقَاكَ وَفِي * بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ^(٥)
 إِنْ عِشْتَ أَوْمِيتُ إِنِّي * كَمَا نَوَيْتَ نَوَيْتُ

الجريح :

(لَيْلَايَ) عَيْشِي وَقَرِّي * إِذَا الْحِمَامُ دَعَانِي
 (لَيْلَايَ) سَاعَاتُ عُمْرِي * مَعْدُودَةٌ بِالثَّوَانِي
 فَكَفِّكْنِي مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِى حُشَاشَةً فَإِنِّي^(٦)
 وَمَهْدِي لِي قَبْرًا * عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
 ثُمَّ أَكْتُبِي فَوْقَ لَوُجٍ * لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي

(١) خبا : نعد وطفئ . (٢) يريد « بالكرات » : قذائف المدافع المعروفة بالقنابل .
 واللفظي : النار ، أو لها . والقوت : الانفلات . (٣) نويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت
 نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة :
 بقية الروح فى المريض .

هنا الذي مات غدرا * هنا فتى الفتيان
(١) رمته أيدي جناة * من جيرة النيران
(٢) قرصان بحر تولوا * من حومة الميدان
لم يخرجوا قيد شبر * عن مشبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتا * في أوجه الفرسان
فشمروا لانتقام * من غافل في أمان
وسودوا وجه (روما) * بالكيد للجيران
(٣) تبا لهم من بغاث * فروا من العقبان
لو أنهم نازلونا * في الشام يوم طعان
رأوا طرابلس تبدو * لهم بكل مكان
يا ليتنى لم أعاجل * بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو * رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالا * له ورفعة شان
وليعلم الغرب أنا * كامة (اليابان)

(١) يريد « بحيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين في بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصومه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل في الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور

الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لَا نَرْتَضِي الْعَيْشَ يَجْرِي * فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ
 أَرَاهُمْ أَنزَلُونَا * مَنَازِلَ الْحَيَوَانِ
 وَأَخْرَجُونَا بِجَمِيعًا * عَن رُّتْبَةِ الْإِنْسَانِ
 وَسَوْفَ تَقْضَى عَلَيْهِمْ * طَبَائِعُ الْعُمَرَانِ^(١)
 فَيُضْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * وَيَسْتَوِي الْخَافِقَانِ^(٢)
 لَاهُمَّ جَدَّدُ قُورَانَا * لِحُدْمَةِ الْأَوْطَانِ^(٣)
 فَتَحْنُ فِي كُلِّ صُقْعٍ * تَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ^(٤)
 يَا قَوْمَ الْبُحَيْلِ (عَيْسَى) * وَأَمَّةَ الْقُرَآنِ
 لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا * فَالْمُكُّ لِلدِّيَارِ

ليسلى :

إِنِّي أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَمَاعَةً مُقْبِلِينَ
 لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فِيهِمْ مُعِينًا

العربي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ، تَمَاسَكَ * إِنِّي سَمِعْتُ أَنِينًا^(٥)
 أَظُنُّ هَذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الْأَسَى أَوْ طَعِينًا
 يَا اللَّهُ مَاذَا دَهَاهُ * يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟

(١) ير يد « طبائع العمران » : سنته في الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتي .

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .

(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تمالك .

ليلى :

لَقَدْ دَهَتْهُ الْمَنَايَا * مِنْ غَارَةِ الْخَائِنِينَ
صَبُّوا طِينًا الرِّزَايَا * لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِينَا
نَحَقُّقُوا مِنْ أَذَاهُ * إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

العربي :

لَا تَيَاسَى، وَتَجَلَّدْ * أُرَاكَ شَهْمًا رَكِينًا^(١)
أَبَشِّرْ فَلِمَاكَ نَاجٍ * وَأَصْبِرْ مَعَ الصَّابِرِينَ

الطبيب :

أَوَاهِ لِمَنِّي أَرَاهُ * بِالْمَوْتِ أَمْسَى رَهِينًا
يُرَاحُهُ بِالْغَاتِ * تُعْنِي الطَّبِيبَ الْفَطِينَا
وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَقْضَى * غَضَّ الشَّبَابِ حَزِينَا^(٢)

العربي :

أَفْ لَقَوْمٍ جِيَاعٍ * قَدْ أَزْجَعُوا الْعَالَمِينَ
قِرَاهُمْ أَيْنَ حَلُّوا * ضَرْبُ يَدٍ أَلْمُتُونَا^(٣)
عَقُّوا الْمُرُوءَةَ هَدُّوا * مَفَاخِرَ الْأَوَّلِينَ
عَاثُوا فَسَادًا وَفَرُّوا * يَسْتَعْجِلُونَ السُّفِينَا^(٤)

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القرى : ما يقدم للضيف . ويند : يقطع . والمتون : الظهور؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن؛ الواحدة سفينة .

وَأَلْبَسُوا الْغَرْبَ خِزْيًا * فِي قَرْنِهِ الْعِشْرِينَ
وَأَجْمَعُوا كُلَّ دَائِعٍ * وَأَحْرَجُوا الْمُضْلِعِينَ
فَيَا (أُرْبَةُ) مَهْلًا * أَيْنَ الَّذِي تَدْعِينَا
مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا * وَالْدَاءُ أَمْسَى دَفِينَا
أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا * بَعِثْنَا قَدْ رَضِينَا
لَمْ نُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا * وَلَمْ نُخَاتِلْ خَدِينَا^(١)
(مَسْرَّة) الشَّامِ إِنَّا * لِأَخْوَانِكُمْ مَا حَيِينَا^(٢)
ثَقُّوا فَلَنَا وَثَقْنَا * بِكُمْ وَجِئْنَا قَطِينَا^(٣)
إِنَّا نَرَى فِيكَ (عَيْسَى) * يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا^(٤)
قَرَّبَتْ بَيْنَ قُلُوبٍ * قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبِينَا
فَأَنْتَ نَحْرُ النَّصَارَى * وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ

الجريح :

رَأَيْتُ يَا سَ طَيْبِي * وَهَمَّسَهُ فِي فُرَادِي
لَا تَتَّذِرْنِي فَلَانِي * أَقْضِي وَتَحْيَا بِلَادِي

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المروغة ببيروت . وكان

يعني بالخرسى في هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين

والنصارى أهل وطن واحد في تلك البلاد . (٤) تبين : تنفصل .

العربي :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ شَهْمًا * نَذْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ^(١)
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ رُوحًا * كَانَتْ رَجَاءَ الْإِلَادِ
 فَيَا شَهِيدًا رَمْتُهُ * خَذَرًا كُرَاتِ الْأَعَادِ
 نَمَّ هَانِئًا مُطْمَئِنًّا * فَلَمْ تَنْمَ أَحْقَادِي
 فَسَوْفَ يُرْضِيكَ ثَارٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الْجَادِ

استقبال الطيار العثماني فتحى بك

نشرت في سنة ١٩١٤ م ولاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال
 الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ
 من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ * فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَلَا وَطَارُ
 النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فِيهِ * لَكَ تَجَادُّبَا ذَيْلِ الْقَحَارِ^(٢)
 يَوْمَ أَمْطَيْتَ بُرَاقَكَ إِلَ * حَيْمُونٌ وَاجْتَرَّتَ الْقِفَارُ^(٣)
 تَلْهَسُو وَتَعْبَثُ بِالرِّيَا * حِجَّ عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْبِحَارِ^(٤)

- (١) النذب : الذى اذا نذب الى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حائل السيف . وطول النجاد :
 كناية عن طول القامة . (٢) كنى « بالنيل والبسفور » عن مصر وتركيا . (٣) البراق : الدابة
 التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائره فتحى بك بها فى سرعتها ويمناها .
 (٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الغلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

(١) لو سَابَقْتُكَ سَوَائِقُ أَلْ * أَفْكَارٍ أَدْرَكَهَا الْعِشَارُ
 (٢) حَسَدَتْكَ فِي الْأَفْقِ الْبُرُ * قُ وَغَارَ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
 (٣) تَجْرِي بِسَائِحَةِ تَشْقُ * سَيْلَهَا شَقُّ الْإِزَارُ
 وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَيْدِ * مِرْفَيْسَتِحِيلُ إِلَى شَرَارُ
 (٤) مِثْلُ الشَّهَابِ أَنْقَصُ فِي * آثَارِ عَفْرِيتٍ وَثَارُ
 (٥) فَإِذَا عَلَتْ فَكَدَعُوهُ أَلْ * مُضْطَرٌّ تَحْتَرِقُ السَّتَارُ
 (٦) وَإِذَا هَوَتْ فَكَا هَوَتْ * أَنْثَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارُ
 (٧) وَتُسِفُ آوِنَةٌ وَأَ * وَنَةٌ يَمِيدُهَا أَزْوَارُ
 فَيَخَالُهَا الرُّؤُوسَ قَدْ * قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
 (٨) لَعِبَ الْجَوَادُ أَقْلَ لَيْ * شًا مِنْ قُضَاعَةٍ أَوْ نَزَارُ

(١) يصفه في هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيا يخطربه من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة في سرعتها بالشهاب الذي كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى في الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهي تحترق الآفاق

من غير أن يحول بينها وبين الصمود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت :

هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهازار (بالفتح) : عصفور صغير . متوقع

الصوت ؛ ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر

إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «لينا من قضاة أوزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه

الطائرة تلعب في سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربي . وقضاة وزار : قبيطان معروفان .

أو كاللُّبُوبِ مِنَ الْجَمَا * نِمْ فَوْقَ مَلْعَبِهِ اسْتَطَارَ
 وَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ حِيَا * ^(١) بِنَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ
 وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا * حُلَّ آحِرَارٍ وَأَصْفِرَارِ
 مَلِكٌ يُنْثَلُهُ لَنَا (السَّيْمَا) * فَيَاخُذُنَا أَنْهَارُ
 (فَتَحِي) بِرَبِّكَ مَا رَأَيْتَ * سَتَ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ
 أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا * ^(٢) نِيكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارِ
 أَمْ خِفْتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا * ^(٣) تِ هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارِ
 أَرَأَيْتَ سُكَّانَ النَّجْوِ * مِ وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْحَوَارِ
 أَهْنَاكَ فِي (الْمَرِيخِ) مَا * ^(٤) فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَلِ الشَّجَارِ
 أَهْنَاكَ يَسْتَعْدِي الضَّعِيءِ * ^(٥) تُفِ عَلَى الْقَوِيِّ فَلَا يُجَارِ
 مَا لِأَبْنِ آدَمَ زَادَ فِي * ^(٦) غُلَوَائِهِ فَطَنِي وَجَارِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَه * ^(٧) فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ ثَارِ

- (١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .
 (٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارته (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سار فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بصره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو الى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء . (٣) الراصدات : الشهب التي أعدها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء . قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .
 (٤) الشجار : النزاع والخصام . (٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعداني ، أى استعنت به عليه فأعداني وأنصفتني منه . (٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالى . والمراد هنا : التغالى في الأمل والطموح . (٧) الثار : الثار ، ومهلت الهزة للشعر .

أَمْ لَآذَ مُعْتَصِمًا بُكْرُ * سَيِّئِ الْمُهَيَّمِينَ وَأَسْتَجَارُ
 فَاسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا * ^(١) دِ الصُّلْبِ أَجْنَحَةً وَطَارُ
 وَتَسَلَّقَ الْأَجْوَاءَ مُدْم * تَطِيًّا عَوَاصِفَهَا وَسَارُ
 يَرْجُو النَّجَاءَ مِنَ الْمَظَا * ^(٢) لِيمِ وَالْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارُ
 يَا أَيُّهَا الطَّيَّارُ طِرْ * ^(٣) فَإِذَا بَلَغْتَ مَدَى الْمَطَارُ
 فَزُرِ السُّهَى وَالْفَرْقَدِي * ^(٤) بِنِ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ
 وَسَلِ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا * ^(٥) ةٍ فِي السُّؤَالِ لَكَ أَعْتِبَارُ
 هُمْ يُنَبِّئُونَكَ أَنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَسَوارِ * ^(٦)
 وَالظُّلْمُ مِنْ طَبِيعِ النَّظَا * ^(٧) مَ فَإِنْ ظَلِمْتَ فَلَا تُمَارُ
 إِنَّ الَّذِي بَرَّ السَّيِّدِ * ^(٨) مَ هُوَ الَّذِي بَرَّ الْغُبَارُ
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّ * ^(٩) فُلِّي أَحْكَامُ تُدَارُ
 خُلِقَ الضَّعِيفُ لِحُدْمَةِ الْ * ^(١٠) أَقْوَى وَلَيْسَ لَهُ خِيَارُ
 فَتَقَوَّ يَرْهَبُكَ الْقَوِيُّ * ^(١١) وَهُنَّ يُلَازِمُكَ الصَّغَارُ

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو في بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مارة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع

في ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فانك تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فِي الْأَرْضِ مَا تَبْغُونَ مِنْ * عِزٍّ وَأَمَالٍ كِبَارٍ
 فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأٌ * ^(١) سَ يَوْمَ يُمْتَحَنُ الدَّمَارُ
 فِيهَا الْكُنُوزُ الْخَافِلَا * تُلْمُنُ تَبْصَرَ وَاسْتَنَارُ
 مِنْهَا اسْتَمَدَّ قُوَاهُ مَنْ * ^(٢) قَهَرَ الْمَالِكِ وَاسْتَعَارُ
 وَبِهَا آخَتَوْتَ رَدَّ الْحَصِيدِ * ^(٣) فُ الرُّأْيِ ظَارَةُ مَنْ أَغَارُ
 فِي ذِمَّةِ الْآفَاقِ سِرٌّ * ^(٤) وَأَرْجِعْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ
 وَأَجْعَلْ تَحِيَّتَنَا إِلَى * ^(٥) بَلَدٍ بِهِ لِلْأُكْدِ دَارُ
 دَارٌ عَلَيْهَا لِلْخَلَا * فَةِ وَالْهُدَى رُفِعَ الْمَنَارُ
 دَارُ الْغُرَاةِ الْفَاتِحِي * ^(٦) مِنَ الصَّفْوَةِ الْغُرِّ الْخِيَارُ
 فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ لَهُمْ * غَزَوْ فَفَتَحَ فَأَنْتَصَارُ
 ضَرَبُوا الزَّمَانَ بِسَوْطِ عِزَّتِهِمْ فَلَانَ لَهُمْ فَدَارُ
 يَمْشُونَ فِي غَايِ الْقَنَا * ^(٧) مَشَى الْمُرْتَحُّ بِالْعُقَارِ

- (١) الدمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن في الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة تعز بها وتدفع كل من يحاول أن يعتدى علينا ويتهك من حرماننا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده وبحكمه وسديده . (٤) يريد « بالديار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة . (٦) دار ، أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالغاب في كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرتح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرًا ، شبه الجنود وقد مشوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترحم سكرًا .

- (١) مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ فَاتِيكِ * لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْغِرَارِ
(٢) ذِي مِرَّةٍ تُشْجِيهِ ذَا * تِ النَّقْعِ لَا ذَاتُ الْخِمَارِ
(٣) يَغْشَى الْمَعَامِيعَ ضَارِبًا * بِحَيَاتِهِ ضَرَبَ الْقِمَارِ
(٤) لَا يَتَنَبَّئِي أَوْ تَخْرُجَ الـ * أَبْجَامُ عَنْ فَلَكِ الْمَدَارِ
(٥) عَبَسْتُ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ * وَالْعَبَسُ يَعْقُبُهُ أَفْتَارُ
مَا عَابَهُمْ أَنْ الصُّعُورُ * دَ يَلِيهِ فِي الدَّهْرِ أَنْجِدَارُ
(٦) فَلِكُلِّ غَادٍ رَوْحَةٌ * وَلِكُلِّ وُضْءٍ سِرَارُ
(٧) وَلَسَوْفَ يَعْلَمُو تَجَهُمُ * وَيَسُودُ ذِيَاكَ الشُّعَارُ

- (١) الأروع : هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظاره . والفرار (بالكسر) : حد السهم والرمح والسيف .
(٢) المرة : قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدة واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تشبه من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطي به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن .
(٣) المعاميع : الحروب ؛ الواحدة : معمة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .
(٤) يصصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها في الدوران .

- (٥) العبس : العبوس . والافتزار : التسم والضحك الحسن .
(٦) الوضء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والمرار (بكسر الميم) : الليلة التى يستسرف فيها القمر ، أى يختفى ، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكفى بذلك عما ينتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب .
(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا في مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا ، وهو السير مكماهون

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥ م]

أَيُّ (مَكْمُوهُون) قَدِمْتَ بِالْ * نَقْصِدُ الْحَمِيدَ وَالرَّعَايَةَ
 (١) مَاذَا حَمَلَتْ لَنَا عَنْ أَلْ * حَمَلِكِ الْكَبِيرِ وَعَنْ (غَرَايَةِ)؟
 أَوْضَحْ (لِمَصْرَ) الْفَرْقَ مَا * بَيِّنِ السِّيَادَةَ وَالْحِمَايَةَ
 وَأَزِلْ شُكُوكَنَا بِالنُّفُوسِ * إِنْ تَعَلَّقَتْ مِنْذُ الْبِدَايَةِ
 وَدَعِ الْوَعُودَ فَلَيْسَ بِهَا * فِيمَا مَضَى كَانَتْ رِوَايَةَ
 أَصَحَّتْ رُبُوعُ النَّيْلِ سَدَّ * طَنَّةٌ وَقَدْ كَانَتْ وِلَايَةَ
 فَتَمَهَّدُوهَا بِالصَّلَا * جَ وَأَحْسِنُوا فِيهَا الْوَصَايَةَ
 (٢) إِنَّا لِلشُّكُوفِ وَائِقِي * بِنَ بَعْدِلٍ مَنْ يُشْكِي الشَّكَايَةَ
 تَرْجُو حَيَاةَ حُرَّةٍ * مَضْمُونَةً فِي ظِلِّ رَايَةِ
 وَزُرُومٍ تَعْلِيماً يَكُونُ * نُنْ لَهُ مِنَ الْفَوْضَى وَقَايَةَ
 وَنَوْدُ أَلَّا تَسْمَعُوا * فِينَا السَّعَايَةَ وَالْوِشَايَةَ
 أَنْتُمْ أَطِبَّاءُ الشُّعُوفِ * بِ وَأَنْبَلُ الْأَقْوَامِ غَايَةَ

(١) غرايه ، يريد السير إدوارد غراي ، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك .

(٢) يقال : أشكيت فلانا ، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته .

أَنْى حَلَلْتُمْ فِي الْبِلَا * دِلْكَمْ مِنْ الْإِصْلَاحِ آيَةٌ
 رَسَخَتْ بِنَايَةُ مَجْدِكُمْ * فَفَوْقَ الرَّوِيَّةِ وَالْهِدَايَةِ^(١)
 وَعَدَلْتُمْ فَلَمَّكُمْ الْإِدُّ * نِيَا فِي الْعَدْلِ الْكِفَايَةِ
 إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعِفِينَ * بِنَ فَتَحْنُ أَعْضَقَهُمْ نِكََايَةَ
 أَوْ تَعْمَلُوا لَصَلَاحِنَا * فَتَدَارِكُوهُ إِلَى النَّهَايَةِ
 إِنَّا بَلَّغْنَا رُشْدَنَا * وَالرُّشْدُ تَسْبِيْقُهُ الْغَوَايَةِ
 لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلا * بِمَ فَلَيْسَ فِي الشُّكُوى جِنَايَةِ
 هَذَا (حُسَيْنٍ) فَوْقَ عَمْرٍ * شِ (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةِ
 هُوَ خَيْرٌ مِنْ يَتْنِي لَنَا * فَدَعُوهُ يَنْهَضُ بِالْبِنَايَةِ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

فالها ينكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلَّهِ آثَارٌ هُنَاكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوَائِعَ حُسْنِهَا (زِيلِين)^(٢)
 طَاحَتْ بِهَا تِلْكَ الْمَدَافِعُ تَارَةً * لَمَّا أَمَرَتْ وَتَارَةً (زِيلِين)^(٣)

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التانى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثارات الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها ، أى محتها . وزيلين : يريد نوما من الطائرات سمى باسم مخترعه ، وهو الكونت

زيلين الألمانى .

(١) ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالَةِ وَالْعُلَا * فِي مَدْمِيهِنَّ وَكُلْهِنَّ عِيُونَُ
لو أَتَ فِي (بِرْلِينَ) عِنْدَكَ مِثْلَهَا * لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُجْلِّهَا وَتُصَوِّنُ
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمَسَ) فَإِنَّهُ * أَوْدَى يَجِدُكَ رُكْنُهَا الْمُوْهُونُ^(٢)
لَمْ يَغْنِ عَنْهَا مَعْبَدٌ نَحْرَبَتَهُ * ظُلُمًا وَلَمْ يُمِسَّكَ عِنَانُكَ دِينَ
لَا تَحْسَبَنَّ الْفَخْرَ مَا أَحْرَزْتَهُ * الْفَخْرُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ رَهِينُ
هَلْ شَدَّتْ فِي (بِرْلِينَ) غَيْرَ مَعْسَكِي * قَامَتْ عَلَيْهِ مَعَاقِلٌ وَحُصُونُ
وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ * إِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
نَظَمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى * (فَالنَّيْلُ) نَاءَ يَهَا وَنَاءَ (السَّيْنُ)^(٣)
فَبِكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُصْبَةٌ * وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
تَسِيرِي وَتَسْرُكَ آيْنُ حُنٍّ يُظِلُّهَا * لَا اللَّيْثُ يُزِجُّهَا وَلَا التَّنِينُ^(٤)
فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمَهْنَدُ مَهْمَدُ * وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرَى مَامُونُ^(٥)

(١) عدمهن ، أى فقدانهن وذهابهن . (٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية ، وقد نحر بها الألمان بمدافعهم في الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهاها . والموهون . الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتدائك على هذا البلد أظهرتك بمظهر المخزب فانهدم بذلك ما بنيت من مجد ونخر .

(٣) يقال : ناء بالجل ، إذا أنقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظلة براية دولها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهنت : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان في (برلين) شعبك وإدعاً * يستعمر الأسواق وهي سكوت^(١)
 فتحت له أبوابها فسبيلها * وقف عليه ورزقه مضمون
 فسلام أرهقت الورى وأثرتها * شعواء فيها للهلاك فنون^(٢)
 تالله لو نصرت جيوشك لأنطوى * أجل السلام وأقفر المسكون
 سبعون مليوناً إذا وزعتها * بين الحواضر نالنا مليون
 ويل لمن يستعمرون بلاده * القحط أيسر خطيه وأهون^(٣)
 أكثرت من ذكر الإله تورعاً * وزعمت أنك مرسل وأمين
 عجباً أتدكره وتملاً كونه * ويلاً لينعم شعبك المغبون
 وكذلك القصاب يذكر ربه * والنصل في عنق الذبيح دفين

(١) الوداع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذي وجدناه في كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفي التزويل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) ، أى أذن لكم في عمارتها . ولم نجد في كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالباء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء ، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحرب العظمى

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥ م]

- (١) لَاهُمْ إِنْ الْغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِهَا أُمُّ الصَّوَاعِقِ تَفْرُقُ
(٢) الْعِلْمُ يُذِكِّي نَارَهَا وَتُشِيرُهَا * مَدَنِيَّةٌ خَرَقَاءُ لَا تَتَرَفَّقُ
(٣) وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً * تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَتَدَفَّقُ
(٤) فَإِذَا بِنِعْمَتِهِ بَلَاءٌ مُرْهِقٌ * وَإِذَا بِرَحْمَتِهِ قَضَاءٌ مُطَبِّقٌ
(٥) عَجَزَ الرَّمَاةُ عَنِ الرَّمَاةِ فَأَرْسَلُوا * كِسْفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَانٌ يَخْنُقُ
(٦) تَتَعَوَّذُ الْآفَاقُ مِنْهُ وَتَنْثَنِي * عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَلَيْقُ
(٧) وَتَبَلَّوْا بِالْكَيمِيَاءِ فَأَسْرَفُوا * وَتَسَاجَلَوْا بِالْكَهْرَبَاءِ فَأَغْرَقُوا
(٨) وَتَنَازَلُوا فِي الْجَوَّحِينَ بَدَا لَهُمْ * أَنَّ الْبَيْسِطَةَ عَنْ مَدَاهِمُ أَضْيَقُ
(٩) نَفَسُوا عَلَى الْحَيَاتِينَ وَاسِعَ مُلْكِيهَا * فَتَفَنَّنُوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
(١٠) مَلَكُوا مَسَاجِحَهَا عَلَيْهَا بَعْدَ مَا * غَلَبُوا الثُّسُورَ عَلَى الْجَوَاءِ وَحَلَقُوا
إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ * فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(١) لاهم، أى اللهم . وتفرق : تخاف وتفرع . (٢) يدكي ناراها : يشعلها . والخرقاء : الحفقاء . ويشير الى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة في الحرب . (٣) تأسو الضعيف ، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت في الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفليق : الجيش العظيم . (٧) التنايل : الترامى بالنبل . يشير الى استعمال المواد الكيميائية وتسخير الكهرباء في الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشئ : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى استخدام الغواصات والطائرات في الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩ م
ونشرت إذ ذاك في منشورات وطنية ، وتأخر نشرها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الْغَوَايِ يَحْتَجِجُ * مِنْ وَرَحْتُ أَرْقُبُ جَمْعِهِنَّ
فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ * سُودِ الثِّبَابِ شِعَارَهُنَّ
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ * يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجَى^(١)
وَأَخَذْنَ يَحْتَرِزْنَ الطَّرِيهَ * قَى وَدَارُ (سَعْدٍ) قَصْدَهُنَّ
يَمْشِينَ فِي كَيْفِ الْوَقَا * رِ وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورَهُنَّ
وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلِ * وَالْحَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعْنَةِ
وَإِذَا بِالْجُنُودِ سَيُوفُهَا * قَدْ صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَا * دِقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسِنَّةُ^(٢)
وَالْحَيْلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْلَهُنَّ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي * ذَلِكَ النَّهَارِ سِلَاحَهُنَّ
فَتَطَاخَرْنَ بِالْجَيْشَانِ سَا * عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجِنَّةُ
فَتَضَعُغَنَّ النَّسْوَانُ وَالنَّسْوَانُ لَيْسَ لهنَّ مِنْهُ^(٣)
ثُمَّ أَنَّهُزَمْنَ مُشْتَتَا . تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ

(١) الدجّة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوة .

فَلَيْهِنَا الْجَيْشُ الْقَحْوَ * رُبَّصْرِهِ وَبَكْسِرِهِنَّ
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ * لَيْسُوا الْبَرَّاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا (هِنْدِنُورَج) مُحْ * سَفِيًّا بِمَصْرٍ يَفُودُهُنَّ^(١)
فَلِلدَّاءِ خَافُوا بِأَسْهُنْ * وَاشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

أياصوفيا^(٢)

قالها حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتزعمها من يد الأتراك
وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وأنشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصوفيا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَاذْكُرِي * عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلُّوا وَسَلَّمُوا^(٣)
أِذَا عُدَّتْ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ * وَحَلَّى نَوَاحِيكَ الْمَسِيحُ وَمَرِيمُ^(٤)
وَدُقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرٌ * مِنْ الرُّومِ فِي مَحَارِبِهِ يَتَرَنَّمُ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ لِأَنَّهُ * عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النَّوَاقِيسِ أَصْحَرُ

(١) هندنبرج ، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى .

(٢) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها ، لأن مراعاة ذلك
أجدي على مؤرخ الأدب .

(٣) أياصوفيا : أعظم مسجد في القسطنطينية ، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق
فجزلها العثمانيون مسجداً .

(٤) يريد صوري عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة .

تَبَارَكْتَ، (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَدْلَانُ آمِنٌ * وَلَا يَأْمَنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّمُ^(١)
 أَرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَلِيلَهُمْ * حِمَاكَ وَأَنْ يُمْنَى (الْحَطِيمُ) وَ(زَمْرَمُ)^(٢)؟
 وَكَيْفَ يَنْدِلُ الْمُسْلِمُونَ وَيَنْهَمُ * كِتَابُكَ يُشَلِّي كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرِمُ؟
 نَبِيَّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرَقٌ * حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا * وَحَكَمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوروبا
 قاطعا المفاوضة مع الانجليز ومستقبلا من الوزارة . نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م
 وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث من نفسها

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كَيْفَ أَبْنَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدَى
 وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ * يَرِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدَى
 أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ * قِي وَدُرَاتُهُ فَرَائِدُ عِقْدِي^(٣)
 أَيْ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ * سَ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

(١) كنى «بيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين . يقول : إن معابد النصارى
 في فرح وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفزع . (٢) سنايك الخليل : أطراف حوافرها ؛ الواحد
 سنيك . ويمنى : يتلى ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآسنة في يد الإنفوج
 خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء
 (بالفتح والمد) : الرفعة والشرف . والمفرق (كقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر
 التي لا توائم لها لنفسها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : بمالك الشرق التي كان لمصر الزمام عليها .

فُتْرَانِي تَبْرُونَهْرِي فُتْرَاتٍ * وَسَمَائِي مَصْقُولَةٌ كَالْفِرْنَدِ^(١)
 أَيْتَمًا سِرَتْ جَدَوَلٌ عِنْدَ كَرِيمٍ * عِنْدَ زَهْرٍ مُدْنَرٍ عِنْدَ رَنْدٍ^(٢)
 وَرِجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لَسَادُوا * مِنْ كُھُولٍ مِلءِ الْعُيُونِ وَمُرْدٍ^(٣)
 لَوْ أَصَابُوا لَهُمْ بَجَالًا لَا أَبَدُوا * مُعْجَزَاتِ الذِّكَاةِ فِي كُلِّ قَصْدٍ^(٤)
 لِمَنْهُمْ كَالظُّبَا أَلَحَّ عَلَيْهَا * صَدَأُ الدَّهْرِ مِنْ نَوَاءٍ وَغَمْدٍ^(٥)
 فَذَا صَيَقْلُ الْقَضَاءِ جَلَاها * كُنَّ كَالْمَوْتِ مَالَهُ مِنْ مَرْدٍ^(٥)
 أَنَا إِنِّي قَدَّرَ الْإِلَهُ مَمَاتِي * لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
 مَا رَمَانِي رَايِمَ وَرَاحَ سَلِيمًا * مِنْ قَدِيمِ عِنَايَةِ اللَّهِ جُنْدِي
 كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَى وَجَارَتْ * ثُمَّ زَالَتْ وَتَلَكَ عُقْبَى التَّعَدَّى
 إِنِّي حُرَّةٌ كَسَرْتُ قِيُودِي * رَغْمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَعْتُ قِدْيِي^(٦)
 وَتَمَائِلْتُ لِلشِّفَاءِ وَقَدَدَا * نَيْتُ حَيْنِي وَهَيَّا الْقَوْمَ لَحْدِي^(٧)
 قُلْ لِي أَنْكَرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي * مِثْلَ مَا أَنْكَرُوا مَا ثِرْوُلْدِي
 هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الْهَرَمِ الْأَكْ * بَرَّ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي؟^(٨)

(١) الفرات : العذب . والفرد : السيف . (٢) مدنر، أى مختلف الألوان ، أو مشرق متلألئ . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نيت شاربه ولم تنبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبة ؛ وهى حدة السيف والسنان ونحوهما . والنواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها ؛ والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا ، أى مراقبتهم لى . والقيد : القيد يقيد من جلده . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فرَيْتُمْ ، أى فرأَيْتُمْ .

- (١) هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ النَّقُوشَ اللَّوَاتِي * أَعْجَزَتْ طُوقَ صَنْعَةِ الْمُتَحَدِّى؟
 (٢) حَالٌ لَوْ أَنَّ النَّهَارَ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ * يَدُ وَمَا مَسَّ لَوْنَهَا طُولَ عَهْدِ
 (٣) هَلْ فَهِمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي * مِنْ عُلُومٍ مَجْبُوءَةٍ طَلَى بَرْدِي؟
 ذَاكَ قَدْ التَّحْنِيطُ قَدْ غَلَبَ الدَّهْ * رَوَّابِلَى الْبَلَى وَأَعْجَزَ نِدَى
 (٤) قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ * نَ فِي (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلَ عَقْدِ
 (٥) إِنْ مَجْدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيقٌ * مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوَّلِيَّاتِي وَمَجْدِي؟
 (٦) أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّو * مَا نَ عَنِّي الْأَصُولَ فِي كُلِّ حَدِّ
 (٧) وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ * فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
 (٨) وَشَدَا (بَنْتُشُور) قَبْلَ رُبُوعِي * قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (تَجْدِ)

- (١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعه الغلبة والفخر .
 (٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين إلى الأبد . وقد حددا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .
 (٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير إلى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرخ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .
 (٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتهلت بعلم الفلك ؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أمهم أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاورد : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . «قبل عهد اليونان» ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

- (١) وقديما بنى الأساطيل قنوى * ففرقن البحار يبحلن بنيدي
 (٢) قبل أسطول (نلسن) كان أسطو * لي سرياً وطالعي غير نكدي
 (٣) فسكوا البحر عن بلاء سفيني * وسكوا البر عن مواقع جردى
 أتراني وقد طويت حياتي * في مراس لم أبلغ اليوم رشيدي ؟
 (٤) أي شعب أحق مني بعيش * وإرف الظل أخضر اللون رغدي ؟
 آمن العدل أنهم يردون الـ * ماء صفوا وأن يكدر وردي ؟
 آمن الحق أنهم يطلقون الـ * أسد منهم وأن تقيد أسدي ؟
 نصف قرن إلا قليلا أعاني * ما يعاني هوانه كل عبد
 نظر الله لي فأرشد أبنا * ئي فشدوا إلى العلا أي شد
 (٥) إنما الحق قوة من قوى الد * إن أمضى من كل أبيض هندي
 قد وعدت العلا بكل آبي * من رجالي فأنجزوا اليوم وعدى
 (٦) أمهروها بالروح فهي عروس * تشأ المهر من عروض ونقدي

(١) فرقن البحار : شققها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخار من ملوك مصر القدماء ، كان قد أرسل عددا من الملاحين للبلواف بسفنهم حول إفريقيا ، فاتهموا سياحتهم في ثلاث سنين . (٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزي الذي أحرق أسطول نابليون بوناپرت في موقعة أبي قير المعروفة . والنكد : الشؤم . (٣) الجرد : الخيل . ويريد الجيوش البرية . (٤) الوارف من الظلال : الواسع المتمد . (٥) الأبيض الهندي : السيف . (٦) تشأ : تتركه . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شيء سوى الدراهم والدنانير .

- (١) وَرِدُّوا بِي مَنَاهِلَ الْعِزِّ حَتَّى * يَخْطُبَ النِّجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدَى
 (٢) وَأَرْفَعُوا دَوَلَّتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ : لَأَقِ فَاَلْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجِدِي
 (٣) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَآ * رَقَّ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
 (٤) خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ نَصَرَ الْقَوَى * مَ وَأَغْنَى عَنْ آخِرَتِاجٍ وَعَدَى
 (٥) شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعَى بِنُفُوسٍ * صَارِيَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رُيْدِ
 (٦) فَمِمَّا الصَّبْرُ آيَةُ الْعِلْمِ فِي الْحَرْبِ : بِ وَأَنْخَى عَلَى الْقَوَى الْأَشَدَّ
 (٧) إِنْ فِي الْغَرْبِ أَعَيْنَا رَاصِدَاتٍ : كَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فَيَكُمُ بَسْهَدِ
 (٨) فَوْقَهَا يَجْهَرُ رِيهَا خَفَايَا : كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلَّ بَعْدِ
 (٩) فَاتَّقُواهَا يُجَنِّةٍ مِنْ وِثَامٍ * غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعَى وَكَدِ
 (١٠) وَأَصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ : رَبِّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدِ

- (١) « يخطب النجم ... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدي : ينفع .
 (٣) من مسد ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وذلك لما
 اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوعى : الحرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها :
 ساحتها . ويرد : طابسة متجهمة ؛ الواحد أريد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم
 من أسلحة . وأنخى تليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .
 (٧) « كَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ ... الخ » ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لاتدرك النوم ، تخمين
 بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك في الحرب .
 والرت : البالى . ويريد « بالعرَا » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات :
 جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره
 فى ذلك الحين على رأسه المفاوضات الرسمية .

(١) نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعْتَرُّ الْآ * رَأً فِيهِ وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي
(٢) وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِنْ خِلَافٍ وَالْخُلْفُ كَالسَّلِّ يُعْدِي
(٣) وَنُشِيرُ الْقَوَاضِي عَلَى جَانِبَيْهِ * فَيُعِيدُ الْجَهْلُ فِيهَا وَيُبْدِي
وَيُظَنُّ النُّوْيُ أَنْ لَا نِظَامٌ * وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جَدِّي
فَقِفُوا فِيهِ وَقَفَّةَ الْحَزْمِ وَأَرْمُوا * جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
إِنَّا عِنْدَ بَغْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ * قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهَيْدٍ وَوَجْدٍ
(٤) عَمَرْتَنَا سُودُ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ * وَالْأَمَانِيُّ بَيْنَ بَزْرِ وَمَدِّ
(٥) وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَأْيٍ * وَهُوَ رَمَزٌ لِعَهْدِي الْمُسْتَرَدِّ
(٦) فَاسْتَيْبِنُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا * فَالْمَعَالَى مَخْطُوبَةٌ لِلْجِدِّ

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت في أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

(٧) مَالِي أَرَى الْأَكْمَامَ لَا تُفْتَحُ * وَالرُّؤُوسَ لَا يَذْكُو وَلَا يَنْفَحُ
(٨) وَالطَّيْرَ لَا تَلْهُو بِتَدْوِيمِهَا * فِي مُلْكِهَا الْوَاسِعِ أَوْ تَصْدَحُ

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكراً ، وهي أشد الحروب . (٣) الضمير في قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهوايل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . و يذكو : تسطع راحته . وينفح : يفوح طيبه . و يلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ، فقلل حافظاً رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر : تحليقه في الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

(١) وَالنَّيْلَ لَا تَرْقُصُ أَمْوَاهُ * فَرَحِي وَلَا يَجْرِي بِهَا الْأَبْطَحُ
 (٢) وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءَةً * تَجْلُوهُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
 (٣) وَالْبَذَرَ لَا يَتَدَوُّ عَلَى ثَغْرِهِ * مِنْ بَسَمَاتِ الْيَمِينِ مَا يَشْرَحُ
 (٤) وَالنَّجْمَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ * كَأَنَّهُ فِي غَمْرَةٍ يَنْسَجُ
 (٥) أَلَمْ يَجِئْهَا نَبَأُ جَاءَنَا * بِأَنْ مِصْرًا حُرَّةً تَمْرَحُ؟
 أَصَبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْنَحُ؟
 أَمَوْقِفٌ لِلْجِدِّ نَجْنَاؤُهُ * أَمْ ذَاكَ لِلِلَّهِ نَبَأُ مَسْرَحُ؟
 (٦) أَلَمْحُ لَا سِتْقِلَالِنَا لَمَعَةً * فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرَوْحُ
 (٧) وَتَطْمِسُ الظُّلُمَةُ آثَارَهَا * فَأَنْتَنِي أَنْكِرُ مَا أَلْمَحُ
 (٨) قَدْ حَارَتِ الْأَفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ * إِنْ لَمَحُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَحُوا
 (٩) فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا لَكُمْ * مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
 وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةً * وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
 وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ : * هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَأَقْرَحُوا

(١) الأموال : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاعة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابي منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من ماؤها حتى ينفذ أو يقل . (٣) يزهر : يضيء . ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشدبد السواد . واستروح إلى الشيء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير في «أمرهم» للإعجاز . (٧) لا تعجلوا : أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضاً بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالكم لم يغيرنا وماذا سرى .

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا * وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْجَحُوا
 وَأَسْسُوا دَارًا لِنَوَائِكُمْ * لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَمَا أَفْسَحُوا^(١)
 وَلِتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا * أَلَّا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ
 وَتَنْتَخِبُ صَفْوَةَ آبَائِهَا * فَمِنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ
 وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَمْرِهَا * أَنْ يُسَكِّتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يَرْفَحُوا^(٢)



أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَازِرُوا * وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا^(٣)
 إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسَلِّمُوا * أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يُسَجِّحُ^(٤)
 إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فَهُوَ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْذَحُ
 حَتَّامٌ — وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ — * لَغَيْرِنَا مِنْ يَثْرِنَا نَمْتَنَحُ^(٥)
 حَتَّامٌ — وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ — * نَمْتَنَحُ إِلَّا (مِصْرَ) مَا نَمْتَنَحُ^(٦)
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا * وَذَلِكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له في المكان (بالهمز في أوله) ، والذي وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .
 (٢) يريد بقوله « يرفحوا » : أنهم ينفون من خالفهم في سياستهم إلى رخ (بالتحريك) ، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أي غالبوهم في الصبر .

(٤) لا يسجح ، أي لا يفرج عن تقيد به ولا يفلته .

(٥) تمتح الماء من البئر يمتحه تمتح : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذي كثرت عليه الأيدي حتى استفد .

(١) أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ * ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
 (٢) فَاتَهَزَّتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسَنُّعُ
 فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ يُجْعَلُوا * فَلِئِمَّا إِنْجَاعُكُمْ أَرْجَحُ
 (٣) وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ * فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَلُحُ
 أَخْشَى إِذَا اسْتَكْثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الْآرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا
 فَلْتَقْصِدُوا مَا أَسْطَعْتُمْ فِيهِمْ * فَلِئِمَّا فِي الْقِلَّةِ الْمَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين اليقظة والمنام)]

(٤) أَشْرِقَ فَدَتْكَ مَشَارِقُ الْإِصْبَاحِ * وَأَمِطَ لِثَامَكَ عَنْ نَهَارٍ ضَاحِي
 بُورِكَتَ يَا يَوْمَ الْخَلَاصِ وَلَا وَنْتَ * عَنْكَ السُّعُودُ بِغُدْوَةٍ وَرَوَاجِ
 (٥) بِاللَّهِ كُنْ يُمْنًا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا * فِي رَدِّ مُقْتَرَبٍ وَفَكَ سَرَاجِ

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف .
 للعلم به ، أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن وآتهام بعضهم بعضا بالحياة .
 (٢) النهضة : الفرصة . وتسنع : تلوح . (٣) يقال : نطح في صخرة ، إذا صعب عليه
 ما يريد من صدع وأنشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنا * فلم يضرها وأوهى قرنه الوهل

(٤) أمط لثامك ، أى أكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .
 (٥) يشير بقوله « في رد مقترَب ... الخ » : إلى المغفور له سعد زغلول باشا وكان متفيا إذ ذاك
 في جبل طارق بعد أن كان مع صحبه في جزيرة سيشل .

أَقْبَلْتَ وَالْأَيَّامُ حَوْلَكَ مَثَلٌ * صَفَيْنِ تَحْطِرُ خَطَرَةَ الْمِيَاكِ (١)
 وَتَرَجَّتْ مِنْ حُجْبِ الْغُيُوبِ مُجَلًّا * فِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحٍ (٢)
 لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَسَاخُجٌ * لَرَأَيْتُ فِيكَ تَسَاخُجَ الْأَرْوَاحِ (٣)
 وَلَكُنْتُ يَوْمَ (اللابرت) بَعِينِهِ * فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاجٍ (٤)
 يَوْمٌ يُرِيكَ جَلَالَهُ وَرُؤُوءَهُ * فِي الْحُسْنِ قُدْرَةَ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ (٥)
 خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسْجِدٍ * وَحَبَاهُ (آذَارُ) أَرْقٍ وَشَاجٍ (٦)
 اللَّهُ أَتَبَّهَ لَنَا فِي تَوْحِيهِ * أَبَدَ الْأَيْدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَاجِي (٧)
 حَيَّهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَأَمَلْتِي * أَرْجَاءَهُ بِأَرْيَحِكَ الْفَوَاحِ (٨)
 وَأَفْقَعُهُ عَنَّا يَا رَيبِعُ بِكُلِّ مَا * أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَنُورٍ أَفَاجٍ (٩)
 يَهْ يَا (فُؤَادُ) فَخُولَ عَرْشِكَ أُمَّةً * عَقَدَتْ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْلَاحِ (١٠)
 أَبْنَاؤُنَا - وَهُمْ أَحَادِيثُ النَّدَى - * لَيْسُوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ بِشِحَاجِ
 صَبَرُوا عَلَى مُرِّ الْخَطُوبِ فَأَذَرُّوا * حُلُومُنِي مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاجِ

- (١) المياح : المتبخر في مشيته ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) مجللا : مضينا .
 وأصله من التعجيل في الليل ، وهو بياض في قوائمها . (٣) اللابرت : قصر أمنحطب الثاني الذي
 اشتهر في قديم الزمان بمظلمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمنحطب التي كانت كلها
 خيرا وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) المسجد : الذهب . وآذار :
 شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثرف فيه الأزهار . (٦) أبد الأبد : تخاية عن الدوام .
 (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأفاحى : جمع
 الأفوان ، وهونبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ، وتشبه به النور . (٩) عقد
 الخناصر على الأمر : تخاية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاج : بخلاء .

- (١) شاكي سلاح الصبر ليس بأعزل * يغزوه رب عوامل وصفاح
 الصبر - إن فكرت - أعظم مدة * والحق - لو يدرون - خير سلاح
 (٢) قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى * إنكار ذلك الحق في إصباح؟
 (٣) كم خدرت أعصاب مضر نوافح * لو عودهم كنوافح التفاح
 (٤) فتعلل المصيرى مغتبطا بها * أرايت طفلا علوه بداح؟
 (٥) وتأنقوا في الخلف حتى أصبحت * أقوالهم تدرى بغير رياح
 (٦) لما تنبه بالكنانة نائم * وأصات بالشكوى الأليمة صاحي
 (٧) وتكشفت تلك الفياهب وأنطوت * وبدت شمس الحق وهي ضواحي
 (٨) صلوا بحمد الله أن قرارنا * في ظل غير الله غير متاج
 فاليوم قرى يا كنانة وأهدنى * حرم الكنانة لم يكن بمباح
 من ذا يغير على الأسود وناها * أو من يعوم بمسبح التمساح؟

- (١) شاكي سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الراح مما يلى أستها ؛ الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذو الرمح والسيوف .
 (٢) الإصباح : من الأقسام التى تقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى تحاب سماوى ؟
 (٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شبه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به .
 (٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به .
 (٥) تأنقوا فى الخلف ، أى أتقنوه . وتدرى : تطير وتنتثر . (٦) أصات : صوت وصاح .
 (٧) الفياهب : الظلمات ؛ الواحد غيب . والضواحي : المشرقة . (٨) غير متاح : غير ممكن .

- (١) للنَّيْلِ مَجْدٌ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٌ * مِنْ عَهْدِ (أَمُونِ) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
 فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلِ آثَارَهُ * فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السَّيَاحِ
 يَا صَاحِبَ الْقَطْرَيْنِ غَيْرِ مُدَافِعِ * مَا مِثْلُ سَاحِكَ فِي الْعُلَا مِنْ سَاحِ
 لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى * كَالسَّاحِجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
 ذَكَرْتَ بَعْرِيكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيَّتِهِ * عَرْشِ (الْمُعِزِّ) بِهَا وَعَرْشِ (صَلَاحِ)
 فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعَةٌ * وَلِكُلِّ قُطْرٍ مِنْكَ ظِلٌّ جَنَاحِ
 لَكَ (مِصْرُ) وَ (السُّودَانُ) وَ النَّهْرُ الَّذِي * يَحْتَالُ بَيْنَ رَبِّي وَ بَيْنَ يَطَاحِ
 وَ بَوَاسِقُ (السُّودَانِ) تَشْهَدُ أَنَّهَا * غُرِسَتْ بِعَهْدِ جُدُودِكَ الْفُتَاحِ
 لَا غَرْوَ إِنْ غَنَى بِمَدْحِكَ صَاحِجٌ * أَوْ مُسَيِّجٌ فِي حَلْبَةِ الْمُدَاحِ
 حَسُنُ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّبَاحِ كُتْسِنِهِ * عِنْدَ الْخَلِيلِ بِهِ مَعَ الْإِنْجَاحِ

- (١) المؤتل : الموصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدعى في أسماء الملوك ، فيقال : أميتحتب . وفتاح : يريد به مفتاح بن رمسيس الثاني .
 (٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .
 (٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمي المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
 (٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .
 (٦) البراسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .
 (٧) مسيج ، الصواب فيها : ساج ، أى ساجع في غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل في هذا المعنى « مسيج » لا « أمسج » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله في هدوه ولين .
 (٨) يريد بالإسباح : السجع بالغناء ؛ وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه .

(١) أولم يكن لك مُلكٌ مِصرَ ونيلُها * يَنسَابُ بين مُرُوجِها الأَفْيَاحِ؟
 (٢) مَنصُورَةٌ الجَنَاتِ حَالِيَةَ الرُّبَا * مَطْلُولَةٌ السَّرَحَاتِ والأَرْوَاحِ
 (٣) قد قال (عَمْرُو) في ثَرَاها آيَةٌ * مَأْثُورَةٌ نُقِشَتْ عَلَى الأَلْوَاحِ:
 بَيْنَا تَرَاهُ لَآلِيًا وَكَأَنَّمَا * تُثَرِّثُ بِتَرْبَتِهِ عُقُودُ مِلَاحِ
 وإذا به للنَّاطِرِينَ زُمُودٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الأَتْرَاحِ
 (٤) وإذا به مِيسَكٌ تَشْقَى سَوَادَهُ * شَقَّ الأَدِيمَ حَمَارِثُ الفَلَاحِ
 البَرَلَانِ تَهَيَّأتْ أَسْبَابُهُ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتَاحِ
 هُوَ فِي يَدَيْكَ وَدِيعةٌ لِرَعِيَّةٍ * تُثْنِي بِأَلْسِنَةٍ عَلَيْكَ فِصَاحِ
 (٥) رُدِّ الودِيعَةَ يَا (فُؤَادُ) فَلِئِمَّا * رَدِّ الودِيعَةَ شِيَمَةُ المِصْبَاحِ
 (٦) وَأَنْهَضْ بِشَعْبِكَ يَا (فُؤَادُ) إِلَى العُلَا * وَإِلَى مَكَانٍ فِي الوُجُودِ بَرَاكِ

(١) المروج : الأراضى الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منصورة : حسنة بهيجة . وجالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "بعمرؤ" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : إلى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعاني التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى أحوال ثلاث : حال ثربة مصر أيام الفيضان والماء يغمسها ، ثم حالها وقد تكشففت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشيحها في الحالة الأولى بالؤلؤ في بياضه ، وفي الثانية بالزمرد في خضرته ، وفي الثالثة بالمسك في سواده . وقد وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر . (٥) المصباح : الكثير السباح . (٦) البراح : المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؟ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فالله يشهد والخالق أننا * طُلابُ حقٍّ في الحياةِ صراح
(٢) هذا منارُ البرهانِ أمامكم * لهُدى السَّيْلِ كِلاِبَةُ المَلاحِ
(٣) فَيَمِّمُوهُ مُخْلِصِينَ فَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبطَةٍ وفَلاحِ
(٤) القَصلُ للشورى وتلكَ هى التى * تَزَعُ الهوى وترُدُّ كلَّ حِجاجِ
هى لا تَصلُ سَيلَها فكأنما * خُلِقَ السَّيْلُ لها بغيرِ نواحِ
(٥) هى - لا بَراحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وتُفَلُّ غَرَبَ الغاصِبِ المُتَجاجِ
(٦) فَتَكْفُوا الشورى على أَسْتِقْلالِكُمْ * فى الرأى لا تُوجِبُهُ نَزْعَةُ وَاحِى
ويُدِّ إلَهِه مع الجَماعَةِ فَأَضِرُّوا * بَعْصًا الجَماعَةَ تَظْفَرُوا بِتَجاجِ
(٧) كُونُوا رِجالًا عامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصُّبْحُ أَلْبَجُّ ، حَامِلِ المِصباحِ
وَدَعُوا التَّخادُلَ فى الأُمُورِ فإِنما * شَبَحَ التَّخادُلِ أَنْكَرُ الأَشباحِ

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يَتَّيَن بها الجهات ويَهْتدى بها فى السير .

(٣) تيممه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزيمه .

(٥) لا براح ، أى لا ريب . وتفل : تثل وتكسر . والغرب : الخذل .

(٦) تكفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توجبه نزعة واحى » ، أى اصدروا

عن رأيكم ولا تملقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى

سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى راحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا

الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

(١) ^(١) وَاللّٰهُ مَا بَلَغَ الشَّقَاءُ نَبَا الْمَدَى * بِسَوَىٰ خِلَافٍ بَيْنَنَا وَتَلَاجِي
 قُمْ يَا بَنَ (مُضَرَ) فَأَنْتَ حُرٌّ وَاسْتَعِذْ * نَجِدَ الْجُدُودَ وَلَا تَعُدُّ لِمَرَاجِ ^(٢)
 شَمْرٍ وَكَافِجٍ فِي الْحَيَاةِ فَهَٰذِهِ * دُنْيَاكَ دَارُ تَنَاحٍ وَكِفَاجِ ^(٣)
 وَانْهَلْ مَعَ النَّهَالِ مِنْ صَدَبِ الْحَيَاةِ * فَإِذَا رَقَا فَاغْتَسَحْ مَعَ الْمَتَاجِ ^(٤)
 وَإِذَا أَلَحَّ عَلَيْكَ خَطْبٌ لَا تَهْنُ * وَاضْرِبْ عَلَى الْإِلْحَاجِ بِالْإِلْحَاجِ ^(٥)
 وَخُضْ الْحَيَاةَ وَإِنْ تَلَاطَمَ مَوْجُهَا * خَوْضُ الْبِحَارِ رِيَاضَةُ السَّبَاجِ ^(٦)
 وَاجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خَطْوِكَ رَائِدًا * لَا تَحْسَبَنَّ الْغَمْرَ كَالضُّحَضَاجِ ^(٧)
 وَإِذَا اجْتَوَيْتَ مَحَلَّةً وَتَنَكَّرْتَ * لَكَ فَاعْدُهَا وَانْزِجْ مَعَ التَّرَاجِ ^(٨)
 فِي الْبَحْرِ لَا تَثْبِيكَ نَارُ بَوَارِجِ * فِي الْبَرِّ لَا يَلُوكُ غَابُ رِمَاجِ ^(٩)
 وَانْظُرْ إِلَى الْغَرْبِيِّ كَيْفَ سَمَتْ بِهِ * بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الْكَدَاجِ ^(١٠)
 وَاللّٰهُ مَا بَلَغَتْ بَنُو الْغَرْبِ الْمُنَى * إِلَّا بِنِيَّاتٍ هُنَاكَ صِحَاجِ ^(١١)
 رَكِبُوا الْبِحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَأْوُهَا * وَاجْتَوَيْنَ تَنَاضُجَ الْأَرْوَاجِ ^(١٢)

(١) التلاحي : التخاصم . (٢) يريد « بالمراح » : الأخذ في أسباب الفرح واللهم .
 (٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من
 رقاً بالهمز) ، بمعنى جف واقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلاً
 وصعباً . (٤) لا تهن ، أى لا تذلل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح :
 الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعدرت عليك الإقامة به
 فاهجره إلى غيره وأرتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجأذ المجتهد في العمل .
 (٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مَـصْهُورَ الحَصَى مُتَاجِّجًا * يَرْمِي بِتَزَّاعِ الشَّوَى لَوَاحَ
(٢) يَلْتَقِي فَتِيهِمُ الزَّمَانِ بِهَمَّةٍ * عَجَبٍ وَوَجْهِ فِي الخُطُوبِ وَقَاحَ
(٣) وَيُشْقُ أَجْوَازَ القِفَارِ مُغَامِرًا * وَغُرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ
(٤) وَأَبْنُ الكِنَانَةِ فِي الكِنَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْنُو بَعَيْنٍ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ
(٥) لَا يَسْتَغِلُّ - كَمَا عَلِمْتَ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالخَاطِفِ اللَّاحِ
(٦) أَمْسَى كِلَاءِ النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي البَحْرِ يَنْبِجُ أَجَاخُهُ المُنْدَاحِ
(٧) فَانْهَضَ وَدَغَ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَسُحُ * فِي فَادِجِ البُؤْسَى مَعَ الأَنْوَاحِ
(٨) وَأَرْبَحَ لِمَصْرَ بَرَأْسٍ مَالِكِ عِزَّةٍ * لِمَنْ الذَّكَاءُ جُبَالَةُ الأَرْبَاحِ
(٩) وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسُجْ لَهَا * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ إِنْجَاحِ
(١٠) وَاشْرَبْ مِنَ المَاءِ القَرَّاحِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَتِ المَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ

- (١) المصهور : الذى أصابه الحزوحى عليه . والمتاجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان
وقف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بجزء شديد ينزع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنها
لفى نزاعة للشوى) . ولواح ، أى حرمينى للألوان . (٢) وقاح : مجترئ .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرنو : ينظر . والطاح : الطموح والتطلع إلى الجدد .
(٥) الخاطف اللاح : البرق .
(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أنقله وبهزله . والأنواح : النائمات .
(٨) جبالة الصائد : للشريك الذى يصيد به .
(٩) الإنجاح : حسن العفو .
(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالة إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نعرض منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِبِي الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِ الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)
ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ^(٢)؟
سُفِكَتْ مَوَدُّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأْنَا * أَنْتَ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
إِنَّ الْمَرَايِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْفَسَ تَكْرَهُتُ صِمَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ * بُوْدَادِكُمْ فُوْدَادُكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمُرُوءَةَ أَنَّنَا * نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا بَجَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمَوْتُ أَوْ نَحْبَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مَحْرَابِهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحْيَى ضَمِيرُهُ لِيَدُوقَهَا * غُصَصًا وَقَتِيسَفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله « وما جنى علام » : إلى ما كانوا يجربونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله « الحايذ » : إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قبلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياذ في الشؤون المصرية . (٣) المراجيل : القودور .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ^(١)
 فَمَا لِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا * وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ^(٢)
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
 أَضَعَمْتُ وَدَادًا لَوْ رَعَيْتُمْ عَهْدَهُ * لَمَا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
 أَبْعَدَ حَيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ * وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّاغِرَاتِ وَثَامٌ^(٣)
 إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْتُنَا * فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ^(٤)

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَادِ) * تَصِيدُ الْبَطْ بُوَسَ الْعَالَمِينَ؟^(٥)
 أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي * مِنْ الْبَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَيْلِينَ؟
 أَلَمْ تُخَيِّرْ بَنِي التَّامِيزِ عَنَّا * وَقَدْ بَعَثُوكَ مَنُذُوبًا أَمِينًا
 بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْفَدَرَ لَمَسًا * وَأَصْبَحَ ظَنُّنَا فِيكُمْ يَقِينًا؟

- (١) الذمام : الحق والحكمة . (٢) القرن : الذؤابة من الشعر .
 (٣) الناغرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب
 لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بالقليم
 الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

- (١) كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ * وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ مُحَايِدِينَ
(٢) سَتَجْمَعُ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَ مِنَّا * لَدَى الْجُلَى كِرَامًا صَابِرِينَ
(٣) وَنَأْخُذُ حَقًّا رَغَمَ الْعَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا وَرَغَمَ الْقَاسِطِينَ
(٤) ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ النَّيِّرَانِ يُعْيِي الدَّارِعِينَ
(٥) عَلَى رَغَمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ ظَفِرْتُمْ * وَلَكِنْ بِالْأُسُودِ مُصَفِّدِينَ

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد في الشؤون المصرية

[نشر في ٤ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

- (٦) لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حَيَادِكُمْ * فُصَابُكُمْ وَمُصَابُنَا سِيَانُ
(٧) حَارِبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَتَأَلَّمِ الشُّعْبَانِ

(١) لم نجد في كتب الفسة (النوايا) جمع نية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع في كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . وبرح الخفاء ، أى وضع الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارصون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد . (٦) يخاطب الإنجليز في هذا البيت ويقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرقتكم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدعوها لكم بعد ، فصابكم في الأخلاق بهذا الطمع والظلم كصابنا باحتلالكم . (٧) يشير (بالأخلاق) المضافة الى الإنجليز في هذا البيت الى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . وبالأخلاق المضافة إلينا ، الى ما أظهرناه في نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمسك بحقوق البلاد . يقول . إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر في سبيل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحيات

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحياتُ ولمْ تَكْفُوا * أما أرضاكُمْ ثمنُ الحياتِ ؟
أخذتُمْ كلَّ ما تَبْغُونَ مِنَّا * فما هذا التَّحَكُّمُ في العبادِ ؟
بلونا شِدَّةً مِنْكُمْ وَلِينًا * فكانَ كِلَاهُمَا ذرَّ الرَّمَادِ
وسالمتُمْ وعاديتُمْ زَمَانًا * فلمْ يُغْنِ الْمُسَالِمُ والمُعَادِي
فَلَيْسَ وراءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي * وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ

إلى الإنجليز

[نشرت في ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حوَّلُوا النَّيْلَ وَأَجْجَبُوا الضُّوءَ عَنَّا * وَأَطِمِسُوا النَّجْمَ وَأَحْرَمُونَا النَّسِيمَا
وَامْلَأُوا الْبَحْرَ إِنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا * وَاَمْلَأُوا الْجَوَّ إِنْ أَرَدْتُمْ رُجُومًا
وَأَقِيمُوا لِلْعَسِيفِ فِي كُلِّ شَبِيرٍ * (كُنْتُ بَلَاً) بالسُّوْطِ يَفْرِى الْأَدِيمَا^(١)
إِنَّا لَنْ نَحُولَ عَنْ عَهْدِ مُضِرٍ * أَوْ تَرَوْنَا فِي التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا
عَاصِفٌ صَانٌ مُلْكَكُمْ وَحَمَاتُكُمْ * وَكَفَاكُمْ بِالْأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويفرى الأديم : يشق الجلد .

(١) غَال (أَرْمَادَة) الْعَدُوُّ فُقِزْتُمْ * وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمًا
 فَمَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغَيْتُمْ * وَتَرَكْتُمْ فِي النَّيْلِ عَهْدًا ذَمِيمًا
 فَشَهِدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَدُّ * لَوْ وَدَّأَ يَسْقِي الْحَمِيمَ الْحَمِيمَا^(٢)
 فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي * قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَيَخِمَا

الحِيَادُ الْكَاذِبُ

[نشرت في سنة ١٩٣٢ م]

(قَصَرَ الدُّبَارَةَ) قَدْ تَقَضَّ * تَتَّعِدُ الْعَهْدَ تَقْضِ الْغَاصِبِ
 أَخْفَيْتَ مَا أَصْمَرْتَهُ * وَأَبْنَتْ وَدَّ الصَّاحِبِ
 الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنُّفُو * سِ مِنْ الْحِيَادِ الْكَاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكتاب فرنسي كان قد زعم أن جلاء الإنجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

كم حَدِّدُوا يَوْمَ الْجَلَاءِ الَّذِي * أَصْبَحَ فِي الْإِبْهَامِ كَالْمَحْشَرِ
 وَسَنَ قَوْمُ الطُّنِيشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كَذِبَةً (إِبْرِيلَ) لَأُكْتُوبَ

- (١) قال : أهلك . وأرمادة : هي الأسطول الأسباني الذي كان يريد مهاجمة الأسطول الإنجليزي في القرن السادس عشر ، فتحطم بمناصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذي قبله . ويشير بقوله « وبلغتم في الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الإنجليز فيه .
 (٢) يريد « بالحميم » الأول : الصديق . و « بالحميم » الثاني : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

- (١) سَكَتُ فَأَصْغُرُوا أَدَبِي * وَقُلْتُ فَأَكْبُرُوا أَرَبِي
وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضَاقَ الرَّحَاءُ وَيِي؟
وهل (في مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟
(٢) وَذِي إِرْثٍ يُكَاثِرُنَا * بِمَالٍ غَيْرِ مُحْتَسِبٍ
(٣) وَفِي الرُّومِيِّ مَوْعِظَةٌ * لِشَعْبٍ جَدٍّ فِي اللَّعِبِ
(٤) يُقَتِّلُنَا بِلا قَوْدٍ * وَلَا دِيَّةٍ وَلَا رَهْبٍ
(٥) وَيَمْشِي نَحْوَ رَأْيَتِهِ * فَتَحْمِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
فَقُلْ لِلْفَاحِرِينَ : أَمَا * لِهَذَا الْفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟
(٦) أَرُونِي بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا وَاصِحَّ الْحَسَبِ
(٧) أَرُونِي نِصْفَ مُحْتَرِعٍ * أَرُونِي رُبْعَ مُحْتَسِبِ؟
أَرُونِي نَادِيًا حَفَلًا * بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
وماذا فِي مَدَارِسِكُمْ * مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْكُتُبِ؟

(١) الأرب : العقل . (٢) كاثره بماله : فانه يكثره .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصري - ويجد في اللعب : أى استمر عليه وواظب .

(٤) القود : القضاة . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالمحتسب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها

على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا في مساجيدكم * من التبيان والخطيب؟

وماذا في صحائفكم * سوى التثويه والكذب؟

(١)

حصائد السن جرّت * إلى الولايات والحرب

فهبوا من مراقيدكم * فإن الوقت من ذهب

(٢)

فهذي أمة (الابا * ن) جازت دائرة الشهب

(٣)

فهائت بالعلل شققاً * وهنّا بأبنة العنب

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذي لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبهاً به " بما يحصد من الزرع إذا جد . وفي حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : النمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا.

قال حافظ هذين البيتين وكانت يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل
انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

وَرَابُّ حَطَى قَدْ أَفْرَغَتْهُ طَمَعًا * بَبَابِ أَسْتَاذِنَا (الشيمى) وَلَا عَجَبًا
فَمَادَلَى وَهُوَ تَمْلُوهُ فَقُلْتُ لَهُ : * مِمَّا؟ فَقَالَ مِنَ الْحَسَرَاتِ وَأَحْرَبًا^(١)

الى آدم أبى البشر

سَلِيلَ الطَّيْنِ كَمْ نَلْنَا شَقَاءً * وَكَمْ خَطَّتْ أُنَامِلُنَا ضَرِيحًا^(٢)
وَكَمْ أَزَرْتْ بَنَى الْأَيَّامِ حَتَّى * فَدَّتْ بِالْكَبْشِ (إِسْحَاقُ) الدَّيِّحًا^(٣)

- (١) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .
(٢) سليل الطين ، يريد آدم أبى البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت
بنك يعبث بهم الشقاء والفتاء . (٣) أزرت بنى الأيام ، أى تهاونت بنا ، ووضعت
من شأننا . وإسحاق الذبيح ، هو نبي الله لإسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ؛ وقد اختلف
العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبيح
والفداء مشهورة ؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى
قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

- (١) وَبَاعَتْ (يُوسُفًا) بَيْعَ الْمَوَالِي * وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ (الْمَسِيحًا)
- (٢) وَيَا (نُوحًا) جَنَيْتَ عَلَى الْبَرَايَا * وَلَمْ تَمْنَحْهُمْ الْوَدَّ الصَّحِيحًا
- عَلَامَ حَمَلَتَهُمْ فِي الْفُلِّ هَلًا * تَرَكْتَهُمْ فَكُنْتَ لَهُمْ مُرِيحًا
- (٣) أَصَابَ رِفَاقِي الْقِدْحَ الْمَعْلَى * وَصَادَفَ سَهْمِي الْقِدْحَ الْمُنِيحًا
- (٤) فَلَوْ سَأَقِ الْقَضَاءُ إِلَى نَفْعَا * لَقَامَ أَخُوهُ مُعْتَرِضًا شَنِيعًا

- (١) يوسف ، هو ابن يعقوب طههما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقائه في البئر ، والتقاط بعض السيارة له ، ويصحبهم إياه ببيع العبيد مشهور ، وقد قص الله ذلك في القرآن في سورة يوسف . والموالي : العبيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .
- (٢) يشير الى قصة نبي الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذي أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه في السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .
- (٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح ، وهي سهام الميسر . والقدح المعلى ، هو السهم السابع منها ، وهو أفضلها ، لأنه اذا خرج حاز سبعة أنصباء . والمنيح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التي ليس لها فرض ولا أنصباء .
- (٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة بيتان مترجمان عن (چان چاك روسو)^(١)

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لِي نَفْسًا فَأَرْصَدْتُهَا * لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ^(٢)
فَأَمَنْتُ بِنَفْسٍ لَمْ يَشْبَهَا الْأَسَى * لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْهَنَاءِ^(٣)

سعى بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإيأاه ، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَثْقِلُ الدَّمَ * وَعُدْتُ وَمَا أَعْقِبْتُ إِلَّا التَّندَمَ^(٤)
لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ * تَهْدَمُ مِنْ بُنْيَانِنَا مَا تَهْدَمُ^(٥)
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَكُ مُضِيرِيًّا وَلَا تَكُ مُسْلِمًا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِّعٌ * رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَغْنَمًا

- (١) روسو، هو الكاتب الفرنسي المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته في ٣ يولييه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تأليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهوري ، وكتاب إميل ، وقاموس في الموسيقى ، وآخر في علم النبات ، وغيرها .
(٢) أرصد : الحزن : حبستها عليه .
(٣) لم يشبها : لم يخالطها . أى آمن على بنفس أخرى لم تخالطها الأحرار .
(٤) يقول : إنه تقرحت قدماء من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالعمل لهما ، وما عاد يعد كل هذا إلا بالندم .
(٥) القاسطون : الجائرون المائلون عن الحق ، ويريد بهم المحتلين وصنائعهم .

- (١) أَضَرَّتْ بِهِ الْأُولَىٰ فَهَامَ بِأَخْتِهَا * فَإِنْ سَاءَتْ الْأُخْرَىٰ فَوَيْلَاهُ مِنْهَا
(٢) فَهِيَ رِيَّاحَ الْمَوْتِ نُكْبًا وَأَطْفَىٰ * سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَحْطَمَا
(٣) فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي * وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَعْصَمًا
(٤) فَيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ إِذَا عَصَبَكَ الْأَمْسَى * فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَلَا
(٥) وَيَا عَيْنُ قَدْ آَنَّ الْجُودَ لَدَمْعِي * فَلَا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكِينٍ وَلَا دَمًا
وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتُكَ الْبَسْطَ مَرَّةً * لَدَىٰ مِثْلِ أُولَى الْجَمِيلِ وَأَنْهَا
(٦) فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أُنْمُلِ الْبَلَى * وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَىٰ فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمًا
وَيَا قَدَمِي مَا سَرَّتَ بِي لِمَذَلَّةٍ * وَلَمْ تَرْتَقِ إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلَمًا
فَلَا تُبْطِئِي سَيْرًا إِلَى الْمَوْتِ وَأَعْلَى * بَأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمًا
(٧) وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا * وَجَشَمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعَلَّمًا
(٨) فَمَا أَسْطَعْتَ أَنْ تَسْتَمِرِّي مُرَّ طَعْمِهِ * وَمَا أَسْطَعْتَ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَا

- (١) يريد «بالأولى» : الدنيا . و «بالأخرى» : الآخرة ؛ فإن شق فيها كما شق في دنياء فويلاه .
(٢) النكبة : جمع نكباء ، وهي الريح إذا انحرقت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهي ريح مهلكة للزرع والمواشي ، حابسة للقطر . ويحطم : يتكسر . (٣) عصمتني : حفظتني .
(٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت . (٥) جود الدمع : انقطاعه أو قلته . قدّر الشاعر في هذا البيت أن ما تمناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجزية للدموع .
(٦) في أنمل البلى ، أى في يد الفناء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها . (٧) جشمتك : كافئك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره .
شبه المجده في وضوحه وظهوره . (٨) استمرّ الطعام : استطابه واستغناه . ويشير بالشرط الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين في البيت السابق . وبقوله «وما استطعت بين القوم ... اتلخ» إلى المجده ، في البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كلياً لم يستطع القيام بما كاف به .

(١) فهذا فراق بيننا فتَجَمَّلي * فإن الردى أحلى مذاقا ومطما
ويا صدرُكم حلت بذاتِك ضيقة * وكم جال في أنحالك الهم وأرتمي
(٢) فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة * تُغفَسُ عنك الكرب إن يت مُبرما؟
(٣) ويا قبرُ لا تبخل برْدَ تيمية * على صاحب أوفى علينا وسلما
وهيات يأتى الحى لليت زائرا * فإن رأى الود في الحى أسفا
(٤) وبأىها النجم الذى طال سُهُده * وقد أخذت منه السرى أين يما
(٥) لعلك لا تنسى عهدَ مُناديم * تعلم منك السهد والاین كُلمَا

الإخفاق بعد الكد

وفىها ينى مجد الترك والعرب، ويشير الى معان أخرى فى الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ - سنة ١٩٠٠ م]

(٦) ماذا أصبت من الأسفار والنصب * وطبك العمر بين ألوحيد والخبب؟
(٧) تراك تطلب لا هونا ولا كُتبا * ولا نرى لك من مال ولا تشب

(١) بجلى : لا تظهرى الجزع . (٢) المبرم : المنضجر . (٣) أوفى، أى أشرف
علينا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلًا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء .
وفى هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن
يذكر عهود أليف له فى سهره وسيره . وقوله « كُلمَا » ، أى كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى .
(٦) النصب (بالتحريك) : التعب . والوخد : الإصراع فى المشى . والخبب (بالتحريك) : أن ينقل
القرص أيامه جميعا وأيا سهره جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكُتب (بالتحريك) :
القرب . والهون والكُتب : صفتان لموصوف محذوف ، أى لا طلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأصيل .

(١) لَا تُطْعِمَانِي أَنْيَابَ الْمَسْلَامِ عَلَى * هَذَا الْعِثَارِ فَمَا نِي مَهِيْطُ الْعَجَبِ
 (٢) وَدِدْتُ لَوْ طَرَحُوا بِي يَوْمَ جِثَّتُهُمْ * فِي مَسْبَحِ الْخُوتِ أَوْ فِي مَسْرَحِ الْعَطَبِ
 (٣) لَعَلَّ (مَانِي) لَاقَى مَا أَكْبَدُهُ * فَوَدَّ تَعَجِّلَنَا مِنْ عَالَمِ الشَّجَبِ
 (٤) لَأَنِّي أَحْتَسِبْتُ شَبَابًا يَتُّ أَنْفُقُهُ * وَعَزَمَةَ شَابِتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَسِبْ
 (٥) كَمْ هِمَّتُ فِي أَلْيَدِ وَالْآرَامِ قَائِلَةً * وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
 (٦) وَكَمْ لَيْسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِسَةً * وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَائِشِي لَدَى النَّوْبِ
 (٧) وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسِبُنِي * لَدَى السَّرَى ثَامِنًا لِلْسَّبْعَةِ الشُّهْبِ
 (٨) لَكِنِّي غَيْرُ مُجْدُوْدٍ وَمَا قَتَلْتُ * يَدُ الْمَقَادِيرِ تُقْصِنِي عَنِ الْأَرَبِ

- (١) «لا تطعماني... الخ» أي لا تجعلاني طعمة . وقد شبه الملام ، بالاسد ذى الأنياب ؛ ونقسه بالفريسة . (٢) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أى طريق من طرق الهلاك . (٣) ماني ، هو ماني الثنوي صاحب مذهب المانوية المشهور . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه ماني من وجوب تسجيل الفناء للبشر بقطع النسل ، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أردشير ، وقتل في زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزيمته في أيام الحياة شيئاً ، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخر له من أجر وثواب . (٥) هام : ذهب على وجهه حائراً لا يدرى أين يتوجه . والآرام : الظباء ؛ الواحد : رثم ، وهو في الأصل مخصوص بالظبي الخالص البياض . والقائلة : المستكة وقت الظهيرة لشدة الحر ؛ وقال : إن الظباء لا تقيل إلا إذا اشتد القيظ . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) الترب (بضم فسكون) : جمع ترباء ، بمعنى التراب ؛ وهذا الجمع مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة ، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المأثرة بالمشى عليها . والجأش : النفس . وقيل : القلب . يصف في الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءاً من هدوء نفسه وأطمئنانها عند نواثب الدهر . (٧) الشهب السبعة ، هي السيارة ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . يقول : إنه مستقر على السرى استدار هذه الكواكب ، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجلود : المحظوظ .

(١) وقد غَدَوْتُ وأمالِي مُطَرَّحَةٌ * وفي أُمُورِي ما لِلضَّبِّ في الذَّنْبِ
 فلَمَّا تُكُنْ نِسْبَتِي لِلشَّرِيقِ مانِعَتِي * حَفَظًا فَوَاهَا لِمَجْدِ الشُّرْكِ والعَرَبِ
 (٢) وقاضِيَاتٍ لَهُمْ كَانَتْ إِذَا اخْتَرِطْتُ * تَدَثَّرَ الغَرْبُ في ثُوبٍ مِنَ الرَّهَبِ
 (٣) وَبَحْرَةٍ لَهُمْ في الشَّرِيقِ ما هَمَدَتْ * وَلَا عَلاهَا رِمَادُ الخُتْلِ والكَذِبِ
 متى آرى (النَّيْلَ) لَا تَحْلُو مَوَارِدُهُ * لغير مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
 (٤) فَقَدْ غَدَتْ (مِصْرُ) في حَالٍ إِذَا ذُكِرَتْ * جَادَتْ جُفُونِي لها بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
 (٥) كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي ما أَلَمَّ بها * قَسَمُ تَرَدَّدَ بَيْنَ المَوْتِ والمُحَرَّبِ
 (٦) إِذَا نَطَقْتُ فَقَاعُ السَّجَنِ مُتَكَاً * وَإِنْ سَكَتُ فَلَا تَ النَّفْسُ لَمْ تَطِبْ
 أَشْتَكِي الفَقْرَ غَادِيَا ورَائِحَنَا * وَنَحْنُ نَمِشِي على أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 (٧) والقَوْمُ في (مِصْرَ) كالإِسْفَنْجِ قد ظَفِرَتْ * بالماءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرَعًا مُخْتَلِبِ

- (١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفي أُمُورِي ... الخ » : أن أموره معقدة متعذرة الحِل ، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد .
- (٢) القاضيات : السيوف القواطع . واخترط السيف : استلّه من غمده . وتَدَثَّرَ : التف . والرهَب (بالتحريك) : الخوف والرعب . يَحْسِرُ على زمان كَانَتْ فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .
- (٣) استمار « البحرة » في هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع ، يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .
- (٤) الرطب (يسكون الطاء) معروف ، وتحريكها هنا لضرورة الوزن ؛ ويلاحظ أننا لم نجد ذلك في شعر آخر فإرجعنا . (٥) القرم : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول : إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، وإحجام يعقبه لدع الضمير .
- (٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء . والضرع للباشم بمنزلة الثدي للراة ، جمعه ضرع .

(١) (يَا آلَ عُثْمَانَ) مَا هَذَا الْجَفَاءُ لَنَا * وَنَحْنُ فِي اللَّهِ إِخْوَانٌ وَفِي الْكُتُبِ
تَرَكُّنَا لَأَقْوَامٍ مُخَالَفِنَا * فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت في يونيو سنة ١٩٠٢ م]

(٢) لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا * إِلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَاقِينَا
كَمَا قِلَادَةُ جِيدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ * وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
(٣) كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَاخِصَةً * لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
(٤) وَكَانَ أَقْصَى مَتَى نَهْرُ (الْحَجْرَةِ) لَوْ * مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِينَا
وَالشُّهْبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لِرَجِيمٍ مَنْ كَانَ يَبْئُودُ مِنْ أَعَادِينَا
(٥) فَلَمْ تَزَلْ وَصُورُفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا * شُرَّارًا وَتُخَدِّعُنَا الدُّنْيَا وَتُلهِينَا
(٦) حَتَّى غَلَبْنَا وَلَا جَاهٌ وَلَا تَسَبُّ * وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خَلٌّ يُوَسِّينَا

(١) آل عثمان : الترك .

(٢) المآق : جمع موق وماق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) الحجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فى كأنه بقعة بيضاء ، وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : غيره ونوابه . والنظر الشرذ : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله .

بورجهم معرضا عنه ، أو غاضبا عليه .

(٦) الشب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة في داروسط مزارع في الجزيرة قضى فيها بعض أيام شبابه ، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتمحكت في نفسه ذكريات ، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

(١)
 كم مرّ بي فيك عيشٌ لستُ أدكره * ومرّ بي فيك عيشٌ لستُ أنساهُ
 ودّعتُ فيك بقايا ما خلّقت به * من الشباب وما ودّعتُ ذكراهُ
 (٢)
 أهفو إليه على ما أفرحت كبدى * من التباريح أولاهُ وأخراهُ
 (٣)
 ليسته ودموع العين طيّعة * والنفس جياشة والقلب أوّاهُ
 فكان عوني على وجيد أكايده * ومرّ عيش على العلات ألقاهُ
 إن خان ودّي صديق كنتُ أصحبه * أو خان عهدي حبيب كنتُ أهواهُ
 (٤)
 قد أرخص الدمع ينبوع الفناء به * والنفسي ونضوب الشيب أغلاهُ
 (٥)
 كم روح الدمع عن قلبي وكم غسلت * منه السوايق حزناً في حناياهُ

(١) يقول : إنه مرّت به في هذا البيت شؤون وأحوال نمت بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو ، أى أميل . والتباريح : ما يعانیه الحب من شدّة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف العواطف . والأواه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصاً . والضمير في « به » يعود على الشباب . ونضوب الشيب ، أى ذبول

العود وجفافه في المشيب . يقول في الشطر الأول : إن غزارة الدمع في عهد الشباب قد جعلته رخيصاً يفيض لأقل الأشياء ؛ ويتلطف في الشطر الثاني على قلة هذا الدمع في عهد المشيب حتى غلا وعز ، فلا يجيبه

إذا دما . (٥) روح الدمع عن قلبي ، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوايق الدموع :

ما أسرع منها .

لَمْ أَذِرْ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ * فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأَفْنَاهُ^(١)
 قَالُوا تَحْرُزْتَ مِنْ قَيْدِ الْمَلَاكِ فِعْشُ * حُرًّا فَنِي الْأَمْرِ ذُلُّ كُنْتَ تَأْبَاهُ
 فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ * مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَحْنَاهُ^(٢)
 بَدَلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلَتُهُ * وَكَيْفَ أَفْلَتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ^(٣)
 أَسْرَى الصَّبَابَةَ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَهْدُوا * أَمَّا الْمَشِيبُ فَنِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ.

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويشتوق إلى مصر
 رَمَيْتُ بِهَا عَلَى هَذَا التَّبَابِ * وَمَا أَوْرَدْتُهَا غَيْرَ السَّرَابِ^(٤)
 وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا شَقَاءً * تُقَاضِيَنِي بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ^(٥)
 جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا نَفْسِي وَقَبْلِي * عَلَيْكَ جَنَى أَبِي فِدَعِي عِتَابِي^(٦)
 فَلَوْلَا أَنَّهُمْ وَأَدُّوا بَيَانِي * بَلَغْتُ بِكَ الْمُنَى وَشَفَيْتُ مَا بِي^(٧)

(١) يده ، أى نعمة الدمع عندي ؛ ويقال : ترشفه ، أى شربه قليلا قليلا .

(٢) ياليت ، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدته وإحكامه وتعذر الإفلات منه .

(٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا ؛ ولكن ورد في عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدلت الخاتم بالحلقة » : إذا أذيتته وسوئته حلقة ؛ وبدلت الحلقة بالخاتم : إذا أذيتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها ، أى بالنفس . والتباب : الخسران والتقص . والسراب : هو ما تراه

نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد ؛ ويشبه به الخداع . (٥) تقاضيني : تحاسبنى عليه .

(٦) جناية أبيه عليه أنه كان سببا في ولادته ، إشارة إلى قول المعزى :

هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

(٧) واده : دفنه حيا .

سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلِي أَدِيبٌ * قَابَ بِجَنِيَّةٍ بَعْدَ اغْتِرَابِ^(١)
 وَمَا أَعَذَّرْتُ حَتَّى كَانَ تَعْلِي * دَمًا وَوِسَادَتِي وَجَهَ التُّرَابِ^(٢)
 وَحَتَّى صَيَّرْتَنِي الشَّمْسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ مَا دَبَّغَتْ إِهَابِي^(٣)
 وَحَتَّى قَلَمَ الْإِمْلَاقُ ظُفْرِي * وَحَتَّى حَطَمَ الْمِقْدَارُ نَابِي^(٤)
 مَتَى أَنَا بِالْغُيِّ يَا (مُضَرُّ) أَرْضًا * أَشْمُ بِتُرْبِهَا رِيحَ الْمَلَابِ^(٥)
 رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا * يَمْرُكُكَّاهُ شَرُخَ الشَّبَابِ^(٦)
 كَأَنَّ بِجَوْفِهِ أَحْشَاءَ صَبَّ * يُؤَجِّجُ نَارَهَا شَوْقُ الْإِيَابِ^(٦)
 إِذَا مَا لَاحَ سَاءَلْنَا الدِّيَابِي * أَبْرَقَ الْأَرْضِ أَمَّ بَرَقَ السُّحَابِ^(٦)

وقال :

مَا لِهَذَا النُّجْمِ فِي السَّحْرِ * قَدْ سَهَا مِنْ شِدَّةِ السَّهْرِ؟^(٧)
 خِلْتُهُ يَا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي * إِنْ جَفَانِي مُؤْنِسُ السَّحْرِ
 يَا لِقَوْمِي إِنِّي رَجُلٌ * أَفْنَتِ الْآيَامُ مُصْطَبِرِي^(٨)
 أَشْهَرْتَنِي الْحَادِثَاتُ وَقَدْ * نَامَ حَتَّى هَاتَفَ الشَّجَرِ

- (١) ما أعذرت : ما قصرت . ويريد « يكون نعله دما » : كثرة السعى الى أن تقرحت قدماء فصار الدم لها كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلبه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد « بالظفر والناب » في هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسي ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار في السرعة . (٦) الديابي : الظلمات ، جمع داجية . (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المغترد .

(١) والدُّجَى يَخْطُو عَلَى مَهْلٍ * خَطْوَ ذِي عِزٍّ وَذِي خَفَرٍ
 فِيهِ شَخْصُ الْيَاسِ عَانَقِي * كَيْبِيبَ آبٍ مِنْ سَفَرٍ
 (٢) وَأَثَارَتْ بِي فَوَادِحُهُ * كَامِنَاتِ الْهَمِّ وَالْكَدْرِ
 وَكَانَ اللَّيْلُ أَقْسَمَ لَا * يَنْقِضِي أَوْ يَنْقِضِي عُمْرِي
 (٣) أَيُّهَا الزُّنْجِيُّ مَا لَكَ لَمْ * تَخْشَ فِينَا خَالِقَ الْبَشَرِ؟
 لِي حَيِّبٌ هَاجِرٌ وَلَهُ * صُورَةٌ مِنْ أَبْدَعِ الصُّورِ
 أَتَلَاشِي فِي مَحَبَّتِهِ * كَلَاشِي الظِّلَّ فِي الْقَمَرِ

شكوى الظلم

(٤) لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بَيْنَنَا * بِجَوْرِ (سَدُومَ) وَهُوَ مِنْ أَظْلَمِ الْبَشَرِ
 (٥) فَلَمَّا بَدَتْ فِي الْكَوْنِ آيَاتُ ظُلْمِهِمْ * إِذَا (بَسْدُومَ) فِي حُكُومَتِهِ (عُمَرُ)

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بتمهل الدجى في خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما ينقل حمله من الزواجب .

(٣) يريد «بالزنجي» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التي دمرها الله

لجور أهلها وكفرهم ، وكان لما قاض يضرب به المثل في النظم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر ، ذو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل في العدل .

ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا إذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال في مرض له :

(١) مَرَضْنَا فَا عَادَنَا عَائِدُ * وَلَا قِيلَ : أَيْنَ الْفَقَى الْأَلْمَى ؟
 (٢) وَلَا حَنَّ طِرْسٌ إِلَى كَاتِبٍ * وَلَا خَفَّ لَفْظٌ عَلَى مِسْمَعٍ
 سَكَنَتَا فَعَزَّ طَلِينَا السُّكُوتُ * وَهَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُدَّعَى
 (٣) فَيَا دَوْلَةً آذَنْتِ بِالزَّوَالِ * رَجَعْنَا لِعَهْدِ الْهَوَى فَا رَجَعِي
 (٤) وَلَا تَحْسِبِينَا سَلَوْنَا النَّسِيبَ * وَبَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادٍ يَبِى

سجنت الفضائل

(٥) نَعْمَنَ بِنَفْسِي وَأَشَقَيْتَنِي * فَيَا لَيْتَهُنَّ وَيَا لَيْتَنِي
 خِلَالَ تَزَلُّنَ يَخْضِبُ النُّفُوسَ * فَرَوَيْنَهُنَّ وَأَظْمَأْنِي
 تَعَوَّدَنَ مِنِّي إِبَاءَ الْكَرِيمِ * وَصَبَرَ الْحَلِيمَ وَتَبَهُ الْغَنَى
 وَعَوَّدْتَهُنَّ زِلَالَ الْخُطُوبِ * فَا يَنْتَنِينَ وَمَا أَنْتَنِي
 (٦) إِذَا مَا لَهَوْتُ بِلَيْلِ الشَّبَابِ * أَهْبَنَ بَعَزْمِي فَتَبَهَّنِي

- (١) الألمى : الذكى المتوقد ذكاء . (٢) العارس : الصحيفة يكتب فيها . والمسمع (بكسر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب . (٤) النسب : التشبيب بالنساء . كرحاسنهن في الشعر . ويصمى : يحفظ . (٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة في البيت الآتى . فياليتن وياليتنى ، أى ياليتن مانعمن وياليتنى ماشقبت . (٦) أهاب به : دعاه .

(١) فَمَا زِلْتُ أَمْرَحُ فِي قَدِّهِتْ * وَيَمْرَحَنَّ مِنِّي بِرَوْضِ جَنِّي
إِلَى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ * وَأَوْشَكَ عُودِي أَنْ يَنْفَعَنِي
(٢) فَيَا نَفْسُ إِنْ كُنْتَ لَا تُؤْقِنِينَ * بِمَعْقُودِ أَمْرِكَ فَاسْتَيْقِنِي
فَهَذِي الْقَضِيلَةُ يَجْنُ الثُّفُوسُ * وَأَنْتِ الْجَدِيرَةُ أَنْ تُسَجِّنِي
فَلَا تَسْأَلْنِي مَتَى تَنْقِضِي * لِيَأَيَّ الْإِسَارِ؟ وَلَا تَحْزَنِي

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

(٣) كِتَابِي إِلَى سَيِّدِي، وَأَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّلْسِيلِ، وَمِنْ تَيْهِي بِهِ فَوْقَ
النَّثَرَةِ وَالْإِكْلِيلِ؛ وَقَدْ تَعَجَّلْتُ الشُّرُورَ، وَتَسَلَّفْتُ الْجُبُورَ؛
(٤)

* وَقَطَّعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ *
(٥)

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ * فَمَا يَحْتَنِي إِلَّا لِيَالٍ قَلِيلُ
(٦) وَقُلْتُ لَهُمْ لِلشَّيْخِ فِينَا مَشِيئَةً * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا تُنَازِلُ

- (١) القَدِّ (بالكسر) : السير بقَدٍّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جنِّي (بتشديد الياء) وخففت للشعر) ، أى أدرك ثمره وصلاح الجنى . يقول : لئننى فى ضيق من هذه الخلال الحميدة ، وهن فى سعة من نفسي . (٢) بمعقود أمرك ، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه ، وهو الموت . (٣) السَّلْسِيل : اسم من ماء فى الجنة ؛ قال تعالى : « عينا فيها تسلسل » . (٤) النَّثَرَةُ : اسم كوكب تسميه العرب « نثرة الأسد » ، وهى من منازل القمر . وَالْإِكْلِيل : منزل من منازل القمر (أيضا) ، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلفت الجبور : طلبته مقدما قبل أوانه . (٦) نازل : تقاتل .

وَجَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ ثِقَةِ الزَّيْدِيِّ^(١) بِالصَّمْصَامَةِ ، وَالْحَارِثِ^(٢) بِالنَّعَامَةِ ؛ فَلَمْ أَقُلْ
 مَا قَالَ الْهَذَلِيُّ لِمُصَاحِبِهِ حِينَ نَسِيَ وَعْدَهُ ، وَحَجَبَ رِقْدَهُ^(٤) :
 * يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ^(٥) *

(١) الزبيدي ، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور ، وهو من بني زيد ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وله بلاء حسن في المصارعة التي شهداها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيرها .
 والصمصامة : اسم سيفه .

(٢) الحارث ، هو ابن عباد التغلبي ، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعامه :
 اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلي » أبا بكر . و « بصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المعروف .
 ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما ، وكان أبو بكر الهذلي هذا من جلساء المنصور وصحابته ،
 وكان قد تعود ألا يكلم المنصور إلا جوابا على سؤال إجلاله ، ورجة منه ، وقد وعده المنصور ذات يوم
 بجائزة ، ثم تناقل عن الوفاء بوعده ، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرا بدار عاتكة التي يشب بها
 الأيصوص ، فقال الهذلي للمنصور : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة التي يقول فيه الشاعر .
 * يا دار عاتكة التي أتعزل *

فغضب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته ، وفطن إلى ما يريد الهذلي بذكر هذه
 الأبيات ، وهو قول الشاعر فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذاق اللسان يقول ما لا يفعل

وتذكر وعده ، فقام بوفائه لساعته . والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصاري من قصيدة
 يمدح فيها عمرو بن عبد العزيز ، وأولها :

يا دار عاتكة التي أتعزل * حذر العدا وبك الفؤاد موكل

لاني لأمنحك الصدود وإني * قسما اليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام : انه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلي مع المنصور .

(٤) الرقد : العطاء والصلة .

(٥) أتعزل : أمتحج .

بل أنادي به نداء الأخيذة^(١) في عمورية، شجاع الدولة العباسية؛ وأمد صوتي بذكري
إحسانه، مد المؤذن صوته في أذنيه؛ وأعتمد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملايح
على نجمة القطب .

وقال أصيحابي وقد هالني النوى * وهالهم أمري: متى أنت قافل؟^(٢)
فقلت: إذا شاء الإمام فأوبتي * قريب ورببي بالسعادة أهل^(٣)

وهانا متماسك حتى تتحسر هذه الغمرة^(٤)، وينطوي أجل تلك الفترة؛ وينظر لي
سيدي نظرة ترفعني من ذات الصدع^(٥)، إلى ذات الرجع؛ وتردني إلى وكري الذي^(٦)
فيه درجت هد الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها .

(١) الأخيذة : الأسيرة ، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله
ثامن خلفاء بني العباس في سنة ٢٣ ٨٥٢ . ويريد «شجاع الدولة العباسية» : المعتصم بالله السابق ذكره .
ويشير بهذا الكلام الى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم في عمورية في عهد المعتصم ، وكان الروم
يعذبونها ، فصاحت : رامتصاه ، فقال لها بعض الحراس ساخا بها : سيأتيك المعتصم على جواد
أبلى وخلفه خيول بلق فينقذك من أيدينا . فبنى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم ، فأقسم أن يفتح
بلاد الروم ، ويعود بالأسيرة ؛ ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق ، وتقدمه هوزلى
جواد أبلى . فنكل بالروم وفتح عمورية ، ودخل على الأسيرة في سجنها واستخلصها وأعادها الى بلادها .
(٢) النوى : البعد . وقافل : راجع . (٣) قال : «قريب» ولم يقل : «قريبة» لأنه يستعمل
في الذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : «إن رحمة الله قريب من المحسنين» . وآهل بالسعادة : عامر بها .
(٤) تحسر هذه الغمرة ، أى تنكشف هذه المصيبة . (٥) الصدع : الشق . ويريد
« بذات الصدع » : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع ، أى السماء . قال تعالى :
(والسما ذات الرجع والأرض ذات الصدع) . (٦) الوكر : عش الطائر ؛ والمراد به هنا :
وطنه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة الى ماء المطر الذى
يسقط من السماء ، فتحوله الشمس بحجزها الى بخار ، ثم يعود الى أصله سحابا .

فَإِنْ شَاءَ فَالْقُرْبُ الَّذِي قَدْ رَجَوْتُهُ * وَإِنْ شَاءَ فَالْعِزُّ الَّذِي أَنَا أَمَلُّ
 وَلَا فَإِنِّي قَافٌ (رُؤْبَةٌ) ^(١) لَمْ أَزَلْ * بَقِيْدِ النَّوَى حَتَّى تَقُولَ الْغَوَائِلُ
 فَلَقَدْ حَلَلْتُ السُّودَانَ حُلُولَ الْكَلِمِ فِي التَّابُوتِ ، وَالْمُغَاضِبِ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ؛
 بَيْنَ الضِّيقِ وَالشَّدَةِ ، وَالْوَحْشَةِ وَالْوَحْدَةِ . لَا ، بَلْ حُلُولَ الْوَزِيرِ فِي تَنْوِيرِ الْعَذَابِ
 وَالْكَافِرِ فِي مَوْقِفِ يَوْمِ الْحِسَابِ ؛ بَيْنَ نَارَيْنِ : نَارِ الْقَيْظِ ، وَنَارِ الْغَيْظِ .
 فَنَادَيْتُ بِأَسْمِ الشَّيْخِ وَالْقَيْظُ جَمْرُهُ * يُذِيبُ دِمَاحَ الضَّبِّ وَالْعَقْلُ ذَاهِلُ
 فَصِرْتُ كَأَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ * تَدِبُّ الصَّبَا فِيهِ وَتَشْدُو الْبَلَابِلُ ^(٧)

(١) رؤبة ، هو ابن العجاج بن رؤبة ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . وكان هو وأبوه من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المتقدمين منهم . ومات رؤبة في أيام المنصور ، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة ، فحضر بقافه المثل في السكون وعدم الحركة ؛ والمراد هنا : إن لم يدركني الأستاذ الإمام بمساعيه ، فأني مستقر في هذه البلاد البعيدة لأبرحها ، كفاف رؤبة في سكنها ، حتى يأتي الأهل . وفي قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء :

مالى غدوت كفاف رؤبة قيدت * في الدهر لم يقدر له إجراؤها

والغوائل : الدواهي التي تأخذ الإنسان من حيث لا يدري . (٢) الكلم : نبي الله موسى عليه السلام ؛ وقصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهو وليد مشهورة ، وقد قصها الله تعالى في القرآن في غير موضع . (٣) يريد « بالمغاضب » : نبي الله يونس عليه السلام ، قال تعالى في سورة الأنبياء : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) الآية . وقصة التقام الحوت لإياه وخروجه من جوفه مشهورة ؛ وقد ذكرها الله تعالى في القرآن . (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو في شرح القاموس ضبطاً بالعبارة . (٥) يريد « بالوزير » : أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير الخلفيتين ، المعتصم بالله ، وابنه الواثق بالله . ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر يقتله مبالغة في تمذيبه ، فأراد الله أن يكون هو أزل من يعذب فيه حتى يموت ، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ . (٦) يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة الحر . والضب : حيوان قصير الذنب ، معقده ، خشن الجلد ، ولونه إلى غيرة مشربة بالسواد . (٧) الصبا : ريح الشمال . وتشدو ، أى تغرد .

واليومَ أَكْتُبُ إليه وقد قَعَدَتْ هِمَّةُ النَّجْمَيْنِ^(١)، وَقَصُرَتْ يَدُ الْجَدِيدَيْنِ^(٢)؛ عَنْ
إِزَالَةِ مَا فِي نَفْسٍ ذَلِكَ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ^(٣)، فَلَقَدْ نَمَى ضِيبٌ ضَغِينُهُ عَلَيَّ^(٤)، وَبَدَرْتُ^(٥)
بَوَادِرُ السُّوءِ مِنْهُ إِلَى^(٦)؛ فَأَصْبَحْتُ كَمَا سَرَّ الْعَدُوَّ وَسَاءَ الْحَمِيمَ^(٧)، وَالْأَمَى كَأَنَّهُا جُلُودُ
أَهْلِ الْحَمِيمِ^(٨)، كُلَّمَا نَضِجَ مِنْهَا أَدِيمٌ تَجَدَّدَ أَدِيمٌ^(٩)؛ وَأَمْسَيْتُ وَمُلْكُ أَمَالِي إِلَى الزَّوَالِ
أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ، وَدَوْلَةُ صَبْرِي إِلَى الْإِخْمِيلِ لَحْلَالِ أَحْثُ مِنْ حَبَابِ^(١٠)
الْمَاءِ؛ فَتَنَظَّرْتُ فِي وُجُوهِ تِلْكَ الْعِبَادِ^(١١)، وَإِنِّي لَفَارِسُ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ؛ فَلَمْ تَقِفْ
فِرَاسَتِي عَلَى غَيْرِ بَابِكَ .

(١) يريد «بالنجمين» : المشتري والزهرة ؛ وكان القدماء يعتقدون أن لها تأثيرا في نفوس البشر
يؤلفان منها ما فترق . ويقال : تمدت همة عن كذا ، أى عجزته .

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) يريد « بالجبار العنيد » : كتنشرباشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك ، وكان بينه وبين حافظ
نفور وجفوة ، حتى يقال : إنه لفضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرق ولا يرف .

(٤) نَمَى نَمَى وَيَنُو : زاد .

(٥) الضب : النبط والحقد الخفى .

(٦) بدرت : أسرعت . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يسدو من الإنسان عند حدته من خطأ
وسقطات ، والمراد « ببوادر السوء » : أرائله .

(٧) الحميم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار :
(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) .

(٩) أحث : أشد سرعة . وحباب الماء : فقاقبه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : اسم فاعل من الفراسة ، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وَأِنِّي أَهْدِيكَ سَلَامًا لَوْ آمَتَرَجَ بِالسَّحَابِ ، وَاخْتَلَطَ مِنْهُ بِاللُّعَابِ ؛ ^(٢) لَأَصْبَحَتْ
 تَهَادَى بِقَطْرِهِ الْأَكَاْسِرَ ، وَأَمْسَتْ تَدْنِيهِ الرُّهْبَانُ فِي الْأَدِيرَةِ ؛ ^(٣) وَلَا غَيَّ ذَاتَ
 الْحِجَابِ ، عَنِ الْغَالِيَةِ وَالْمَلَابِ ؛ ^(٥) وَلَا يَدْعُ ^(٦) إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بِالرَّدِّ ، فَقَدْ يُرَى وَجْهُ
 الْمَلِيكِ فِي أَلِرَاءِ ، وَخَيَالُ الْقَمَرِ فِي الْأَضَاةِ ؛ ^(٧) وَإِنْ حَالُ حَائِلٍ ، دُونَ أُمْنِيَّةٍ هَذَا
 السَّائِلِ ؛ فَهُوَ لَا يَدُومُ يَوْمَكَ ، وَلَا يَبْئَسُ مِنْ غَدِكَ ؛ فَأَنْتَ خَيْرٌ مَا تَكُونُ حِينَ لَا تَظُنُّ
 نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) صوابه «أهدي لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب :
 ماؤه الذي يقطر منه . والأكامرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هذا الجمع «الدير» في مدونات
 اللغة التي بين أيدينا ؛ والذي وجدناه أن جمعه : أديار ، كما في القاموس وغيره ؛ وديورة ، كما في المصباح ؛
 وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين ، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر المترج
 بسلامه بالخر المعققة عند الرهبان ، المحفوظة في أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب
 من أخلاط تغلى على النار . والملاب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) لا بدع ،
 أي ليس غريباً ولا أول شيء ، حدث . (٧) الأضائة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد) : الغدير ؛
 وجمعه أصوات (بالتحريك) .

المسراتي

رثاء عثمان السيد أباطه بك

سنة ١٨٩٦ م

رَدَا كُؤُوسُكُمَا عَنْ شِبْهِ مَفْؤُودٍ * فَلَيْسَ ذَلِكَ يَوْمَ الرَّاحِ وَالْعُودِ^(٢)
يَاسَاقِيَّ أَرَانِي قَدْ سَكَنْتُ إِلَى * مَاءِ الْمَدَامِجِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ^(٣)
وَيْتُ يَسْرَتَا حِينَ يَفْتَقُهُ * صَوْتُ النَّوَادِبِ لَا صَوْتُ الْأَغَارِيدِ^(٤)
فَأَمْسِكَ السَّرَاحَ إِنِّي لَا أَخَايُهَا * وَبَلَّغَا الْغَيْدَ عَنِّي سَلْوَةَ الْغَيْدِ^(٥)
ثُمَّ أَمِضِيَا وَدَعَانِي إِنِّي رَجُلٌ * قَدْ آلَ أَمْرِي إِلَى هَمٍّ وَتَشْيِيدِ
أَبْعَدَ (عُثْمَانَ) أَبْنِي مَارَبًا حَسَنًا * مِنْ الْحَيَاةِ وَحَظًّا غَيْرَ مَنْكُودٍ؟

(١) عثمان أباطه بك ، هو ابن السيد أباطه باشا ، ولد في سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الإدارة والألسن ، وهي مدرسة الحقوق في أول عهدنا ؛ وتولى بحلة مناصب ، فكان ناظر قسم ، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية ؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشا لتفتيش (الزككون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال عنها ، وأقام ببلده (الربعاية) بإقليم الشرقية ؛ وكان بيته ملتقى العطاء والأدباء والشعراء ، وكان حافظ إبراهيم بك كثير التردد عليه ، وتوفي سنة ١٨٩٦ م . وكان أبوه السيد أباطه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب . (٢) المفؤود : مصاب الفؤاد . والراح : الخمر . (٣) سكن إلى الشيء : استراح إليه وأنس به . ويريد بماء العناقيد : الخمر . (٤) يفتقه ، أى يشقه وينفذ فيه . والأغاريد : جمع أغردة ، وهي الأغنية . (٥) لا أخايرها ، أى لا أخالطها . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المثنية لبنا ونعمة .

- (١) إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ جَاءَ يَنْشُدُهُ * دَاعِيَ الْمُنُونِ وَإِنِّي غَيْرُ مَنُشُودٍ
 (٢) أَمَسْتُ تَنَافُسُ فَيْكَ الشُّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * أَرْضٌ تَوَارَيْتَ فِيهَا يَافَتَى الْجُودِ
 (٣) لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقَتَكَ الْأَنْبِيَاءُ لَهَا * قُلْنَا بِأَنَّكَ فِيهَا خَيْرٌ مَلْحُودِ
 (٤) وَوَدَّتِ الرِّيحُ لَوْ كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لِحِمْلِ نَعِيشِكَ عَنْ هَامِ الْأَمَاجِيدِ
 (٥) وَالشَّمْسُ لَوْ أَنَّهَا مِنْ أَفْقِهَا هَبَطَتْ * وَآثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى الْقَفْرِ وَالْيَدِ
 (٦) وَقَدْ تَمَنَّى الضُّحَى لَوْ أَنَّهُمْ دَرَجُوا * هَذَا الْفَقِيدَ بَنُوَيْ مِنْهُ مَقْدُودِ
 (٧) يَا رَاحِلًا أَكْبَرْتَكَ الْحَادِثَاتُ وَمَا * أَكْبَرَتْهَا عِنْدَ تَلَيْنٍ وَتَشْدِيدِ
 (٨) أَبَكَيْتَ حَتَّى الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ وَمَا * جَفَّتْ عَلَيْكَ مَا فِي الْخُرْدِ الْخُودِ
 (٩) وَبَاتَ آلُكَ وَالْأَصْحَابُ كُلُّهُمْ * طَلِكَ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمَعْمُودِ
 (١٠) يَتَكُونَنَّ فَقْدَ أَمْرِي لِلْخَيْرِ مُنْتَسِبٍ * بِالْبِشْرِ مُتَّقِبٍ فِي النَّاسِ تَحْمُودِ
 (١١) (بَنَى أَبَاظَةَ) لَا زَالَتْ دِيَارُكُمْ * أَفَقَ الْبُدُورِ وَغَابًا لِلصَّنَادِيدِ

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) « تنافس فيك الشهب » الخ ، أى تفاخرها بدفنك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الروس ، الواحدة هامة . (٤) درجوا : لفوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حساباً لصغرها عن همة . (٦) يريد بالمآق : العيون . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صممه . (٨) المتقّب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يدور على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباطة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بطن من طي (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق إلى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباطة لأن أهمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباطة ، فنسبوا إليها .

لَا قَدَّرَ اللَّهُ بَعْدَ الْيَوْمِ تَعْرِيةً * إِلَّا هَنَاءً عَلَى عِزٍّ وَتَحْلِيدَ
وَعَظَمَ اللَّهُ فِي (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ * فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أُمْنَى خَيْرَ مَغْمُودٍ

رثاء سليمان أباظه باشا^(١)

[قيلت في سنة ١٨٩٧ م]

(٢) أَيُّهَا الثَّرَى لِمَ لَمْ التَّمَادِي * بَعْدَ هَذَا أَنْتَ غَرْنَانُ صَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدْمَعِ كُلِّ يَوْمٍ * وَتُعْذِي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ * سِرٌّ وَقَدْ آذَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
(٣) فَالْتِمَسْ بَعْدَهُ الْمَجَرَّةَ وَرَدًّا * وَتَزَوَّدْ مِنَ النُّجُومِ بَزَادِ
(٤) لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ * بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجْيَادِ
(٥) بِمُحْدُودِ الْحِسَانِ ، بِالْأَحْيَيْنِ النُّجْ * لِي ، يَتْلِكَ الْقُلُوبِ وَالْأَنْجَادِ
(٦) لَمْ تَلِدْنَا (حَسَوَاءُ) إِلَّا لِنَشْقَى * لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
أَسَلَّمْتَنَا إِلَى صُرُوفِ زَمَانٍ * ثُمَّ لَمْ تُوصِهَا بِحِفْظِ آلِودَادِ

(١) انظر التمریف بسليمان أباظه باشا في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الغرنان : الجائع . والصادي : الظمان . يريد مداواة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء

الجسوم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها في السماء فترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القدود : جمع قد ، وهو القامة . والأجباد : جمع جبد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذي

بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجبادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فئيت فيه فصارت منه .

(٥) النجول : الواسمة . (٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

(١) أَيُّهَا الِّيمُ كَمَّ بِقَاعِكَ نَفْسٍ * فَيْكَ أَوْدَتَ مِنْ عَهْدِ ذِي الْأَوْتَادِ
 قَدْ تَحَالَفَتِ وَالثَّرَابَ عَلَيْنَا * وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
 (٢) خَبَرِينَا جُهَيْنَ لَا تَكْذِبِينَا * مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْبَلَى بِالْجَوَادِ؟
 (٣) كَيْفَ أَمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ * ذَلِكَ الْمُنْعِمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
 رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ لَفْظًا شَيْئًا * كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعَادِي
 (٤) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ طَرْفًا تَقِيًّا * وَيَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الْغَوَادِي
 (٥) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًّا * كَانَ مِلءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ نَادِي
 أَلْهَمَ اللَّهُ فِيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كُلُّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضَّادِ
 (٦) يَتَّ فِي حُلَّةِ النَّعِيمِ وَبِتَنَّا * فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَسَى وَالشُّهَادِ
 وَسَكَنْتَ الْقُصُورَ فِي بَيْتِ خُلْدٍ * وَسَكَّنَا عَلَيْكَ بَيْتَ الْحِدَادِ

(١) اليم: البحر. و«نفس» (بالجر) على قول بعض النحويين، والنصب أرجح، للفصل بين «كم» وتمييزها بالجار والمجرور. وأودت: هلكت. وذو الأوتاد: لقب لفرعون ورد ذكره في القرآن.

(٢) جهين، يريد جهينة، وهي قبيلة من قضاة. ويشير الشاعر إلى المثل المعروف: «وعند جهينة الخبر اليقين». يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها، وأصله من قول الشاعر:

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد: الكريم.

(٣) فيه، أي في «البلى» السابق في البيت الذي قبله. وكنى «بكثرة الرماد» عن سعة جوده، وكثرة إطعامه للناس. (٤) الغوادي: السحب تنشأ غدوة؛ الواحدة غادية.

(٥) ملء العيون، كثافة عن هبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه.

(٦) الأسى: الحزن.

وقال يرثيه أيضا :

(١) لا والأَسَى وتَلَهَّبَ الأَحْشَاءُ * ما باتَ بِعَدِكَ مُعْجَبٌ بِوَفَاءِ
أَنْى حَلَلْتُ أَرَى عَلَيْكَ مَاتِمًا * فَلَمَنْ أَوَّجَهُ فِيكَ حُسْنَ عَزَائِي؟
(٢) لَيْدِكَ ، أَمْ لِدَوِيكَ ، أَمْ لِلْكَوْنِ ، أَمْ * لِلدَّهْرِ ، أَمْ لِمَجَاعَةِ الْجَوَازِ؟
(٣) أَوْدَى (سُلَيْمَانُ) فَأَوْدَى بَعْدَهُ * جُسْنُ الْوَفَاءِ وَبَهْجَةُ الْعَلِيَاءِ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الرِّقَابِ فَقَدْ كَفَى * مَا حُمِلَتْ مِنْ مِثْلِهِ وَعَطَاءِ
(٤) وَذَرُّوا عَلَى نَهْرِ الْمَدَامِجِ نَعْشَهُ * يَسِيرُ بِهِ لِلرَّوَضَةِ الْفَيْحَاءِ
(٥) تَاللهِ لَوْ عَلِمْتُ بِهِ أَعْوَادُهُ * مُذْ لَامَسَتْهُ لَأَوْرَقْتُ لِلزَّوَالِ
مُخْلَقُ كَضْوَى الْبَدْرِ ، أَوْ كَالرَّوِضِ ، أَوْ * كَالزَّهْرِ ، أَوْ كَالنَّجْمِ ، أَوْ كَالْمَاءِ
(٦) وَشَمَائِلُ لَوْ مَا زَجَّتْ طَبَعَ الدُّجَى * مَا بَاتَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّ النَّائِ
وَحَمَامِدُ تَسَجَّتْ لَهُ أَكْصَفَانَهُ * مِنْ عِقَةِ ، وَسَمَاحَةِ ، وَبَابِ
(٧) وَمَنَاقِبُ لَوْلَا الْمَهَابَةُ وَالتَّقَى * قُلْنَا مَنَاقِبُ صَاحِبِ الْإِسْرَاءِ
(٨) وَعِزَائِمُ كَانَتْ تُفْلُ عِزَائِمُ الـ * لَأَحْدَاثِ ، وَالْأَيَّامِ ، وَالْأَعْدَاءِ

- (١) الأسى : الحزن . وقوله : « ما بات » انخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .
(٢) الجوزاء : برج في السماء معروف . ويريد « بمجاعة الجوزاء » : الكواكب التي يتألف منها هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) الفهحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله في الجنة .
(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه . (٦) النائي : البعيد . يريد أنه لو كان لليل أخلاقه وبجايه ماشكا العاشق طوله عليه وسهده فيه . (٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٨) نفل : تلم . والأحداث : حوادث الزمن وشدائده .

عَظَلْتَ فَنَ الشَّعْرِ بَعْدَكَ وَأَنْطَوَى * أَجَلُ الْقَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعْرَاءِ
 (١) وَاللُّؤْلُؤُ اسْتَعَصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ * بُسْمُوطٌ مَدِجٌ أَوْ سُمُوطٌ هَنَاءُ
 (٢) إِلَّا عَلَى طَرْفِ بَكَاءٍ وَشَاعِرٍ * أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَايِيَ الْخَنَسَاءِ
 (٣) شَوْقَتَنَا لِلتَّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى * فِيهِ الْإِقَامَةَ وَاحِدُ الْعَذْرَاءِ
 (٤) تَبَّتْ فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبُّرِي * وَأَشْرَحَ (لَالِ أَبَاطِلِي) بُرْحَانِي
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْقًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكُرَمَاءِ

رثاء الملكة فكتوريا^(٥)

[نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أَعَزَّى الْقَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي * وَأَعْلَنُ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي
 وَأَدْعُو الْإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِحُكْمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
 فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

- (١) السموط : جمع سمط (بالكسر) ، وهو خيط النظم مادام فيه الغلب ، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .
 (٢) الخنساء ، هي تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب غلب عليها ، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر ، فضرِبَ بها المثل في الحزن . وقد شَبَّهَتْ في الجاهلية ، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٥٢٤ هـ .
 (٣) واحد العذراء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة إلى أنه في السماء ، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها .
 (٤) البرحاء : شدة الحزن والعناء .
 (٥) الملكة فكتوريا ، هي الكسندرينا بنت ادمارد ، وهو الدوق كينت ، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش إنجلترا في سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشْمُسُ الْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ * هَوَتْ أَمْ تِلْكَ مَالِكَةُ الْبَحَارِ
 فَطَرَفُ الْغَرْبِ بِالْعَبْرَاتِ جَارِي * وَعَيْنُ السِّمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ^(١)
 بِنَظَرَةٍ وَاجِدٍ قَلِيلِ الرَّجَاءِ

أَمَّا لِكَةِ الْبَحَارِ وَلَا أُبَالِي * إِذَا قَالُوا تَغَالَى فِي الْمَقَالِ
 فَيُثَلُّ عَلَيْكَ لَمْ أَرْ فِي أَلْمَعَالِ * وَلَا تَأْجَأَ تَأْجِيكَ فِي الْجَلَالِ
 وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَاءِ

مَلَأَتْ الْأَرْضَ أَعْلَامًا وَجُنْدًا * وَشَدَّتْ لِأُمِّهِ (السَّكْسُونِ) جَمْدًا^(٢)
 وَكَنَيْتَ لِفَالِهَا يُنْمَا وَسَعْدًا * تَرَى فِي نُورِ وَجْهِكَ إِنْ تَبَدَّى^(٣)
 سُودَ الْبَذْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ

وَكَنَيْتَ إِذَا تَعَمَّدْتَ لِأَخْذِ نَارِ * أَسَلْتَ الْبَرَّ بِالْأَسْدِ الضُّوَارِي^(٤)
 وَسَيَّرْتَ الْمَدَائِنَ فِي الْبَحَارِ * وَأَمْطَرْتَ الْعُدُوَّ شِوَاظَ نَارِ^(٥)
 وَذَرَيْتَ الْمَعَاقِلَ فِي أَلْهَوَاءِ^(٦)

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجيل من الشرق ، من الدنمارك وشمالي ألمانيا الغربي ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا في الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى فز إلى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجيل والسكسون يعيشون أول الأمر في ولايات مستقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وأعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ، وهي ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها في أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدي ، أى بدا وظهر . (٤) «أسلت الخ» أى جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضواري : الجريئة التى تعودت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وفرقت أجزائها فى الهواء .

(١)
أُعَزَّى فِيكَ تَاجِكَ وَالسِّرِيرَا * أُعَزَّى فِيكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَا
(٢)
أُعَزَّى فِيكَ ذَا الْأَسَدِ الْهَاصُورَا * عَلَى الْعَلَمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَا
وَوَظَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَايَا

(٣)
أُعَزَّى فِيكَ أَبْطَالَ النَّزَالِ * وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
(٤)
وَأَلْقَوْا بِالْعَدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ * وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
(٥)
لَهَيْبُ الصَّيْفِ أَوْ قُرُ الشَّيْءِ

(٦)
بيتان كتبنا على قبر السيد عبد الرحمن الكواكبي

في سنة ١٩٠٢ م

هَنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هَنَا مَهِيْطُ الْتَقَى * هَنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هَنَا خَيْرُ كَاتِبٍ
(٧)
قُفُّوا وَأَقْرَءُوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَلِّمُوا * عَلَيْهِ فَهَذَا الْقَبْرُ قَبْرُ (الْكَوَاكِبِي)

- (١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .
(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والهاصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ،
بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين في هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الربال : الهلاك .
(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعا من تساق الجبال .
(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب
والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية
والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح في بلاد العرب وشرق أفريقيا وبعض بلاد الهند ، وألف
كتابه المشهور (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارح الاستبداد) ، وتوفي في سنة ١٩٠٢ م
(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامي البارودي^(١) باشا

[نشرت في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

- (٢) رُدُّوا عَلَى بَيَانِي بَعْدَ (محمود) * إِثْنِي عَشْرَ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي
 مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضْبِي لَا تُطَاوِعُنِي * وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟
 ظَنَنْتُ سُكُوتِي صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ * فَلَأَسْأَلَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
 وَلَوْ دَرْتُ أَنَّ هَذَا الْخَطْبَ أَخْمَنِي * لَا أَطْلُقْتُ مِنْ لِسَانِي كُلَّ مَعْقُودِ
 لَيْسَ يَا مُؤْنِسَ الْمَوْتَى وَمُوحِشَنَا * يَا فَارِسَ الشَّعْرِ وَالْهِجَاءِ وَالْجُودِ
 مُلْكُ الْقُلُوبِ - وَأَنْتَ الْمُسْتَقِيلُ بِهِ - * أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود)
 لَقَدْ تَزَحَّتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا تَزَحَّتْ * عَنْهَا لِيَا لَيْكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُودِ
 أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا * قَبْلَ الْمَاتِ وَلَمْ تَحْفَظْ بِمَوْجُودِ
 لَيْسَ يَا شَاعِرًا ضَنْ الزَّمَانِ بِهِ * عَلَى النَّهْيِ وَالْقَوَافِي وَالْأَنَاشِيدِ

- (١) انظر التعريف بالبارودي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بياني، أي أعيدوه إلى بعد أن عزب عني من هول المصائب . وعي يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .
 (٣) أي ظننت البلاغة سكوتي عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودته وتناسيا لصحبته فتركنتي أعذب بالهم والسهر .
 (٤) ألحمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .
 (٦) يريد « بابن داود » : نبي الله سليمان عليه السلام ، وبه يضرب المثل في سعة الملك .
 (٧) تزحمت : بعدت ، والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودي بالعز والجاه ، وأنشئ شق فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنهي . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك » إلى أن الفقيد كان قد كف بصره في آخر حياته فعاثر ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفظ : لم تبال . (٩) النهي : العقول ؛ الواحدة نهية (بالضم) .

- (١) تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ * تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَرَى الْمَاءُ فِي الْعُودِ
(٢) فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرْفُ بِهِ * تَغَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
لَوْ حَطَّوْكَ بِشَعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ * غَنَيْتَ عَنْ نَفَحَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
(٣) حَلِيَّتُهُ بَعْدَ أَنْ هَدَبْتَهُ بِسَنَا * عَقِيدَ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْضُودِ
(٤) كَفَاكَ زَادًا وَزَيْنًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلِكَ الْعَقْدُ فِي الْحِيدِ
لَبَّيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْبِرَاعَ، وَمَنْ * هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ نُودِيَ
(٥) إِنْ هَدَّ رُكْنُكَ مَنُكُوبًا فَقَدْ رَقَعْتَ * لَكَ الْفَضِيلَةُ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزَلٍ وَتَوَلَّيَ * غَيْرَ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ
(٦) أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمْرِ وَاحِدَةً * إِنْ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ
(٧) سَلُّوا الْجَاهِلَ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًا * دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيقا ، إذا كثرت ماؤه من النضرة والفضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودي في حسن روقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر . (٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودي التي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وبماها : (كشف الغمة في مدح خير الأمة) وأقولها :

ياسارى البرق يمم دائرة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) أبلج : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودي في حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد « بالزلة » اشتراك الفقيد في الثورة العرابية .

(٧) الجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

- (١) كنتَ الوزيرَ وكنتَ المُستعانَ به * وكان هَمُّكَ هَمُّ القَادَةِ الصَّيْدِ
(٢) كُمْ وَقَفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ * وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ
(٣) تَقُولُ لِلنَّفْسِ إِنْ جَاشَتْ إِلَيْكَ بِهَا * هَذَا بِجَالِكَ سُودَى فِيهِ أَوْ يَدَى
(٤) تَسَخَّتْ (يَوْمَ كَرِيدٍ) كُلُّ مَا تَقْلُوا * فِي يَوْمِ (ذِي قَارٍ) عَنْ (هَانِي بْنِ مَسْعُودٍ)
(٥) نَظَّمْتَ أَعْدَاكَ فِي سِلْكِ الْقَنَاءِ بِهِ * عَلَى رَوَى وَلَكِنْ غَيْرُ مَعَهُودِ
(٦) كَانَتْهُمْ كَلِمٌ وَالْمَوْتُ قَافِيَةٌ * يَرَى بِهِ عَرَبِيٌّ غَيْرُ رِعْدِيدِ
(٧) أَوْدَى (الْمَعْرَى) تَقِي الشَّعِيرَ مُؤْمِنُهُ * فَكَادَ صَرِيحُ الْمَعَالِي بَعْدَهُ يُودَى

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولى فى سرعة من الخوف والغزع . والصنديد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب . وباد يبد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديهم . وكان البارودى « رئيس ياور حرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبل الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخذها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعظمتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكرن رائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . رذر قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانى بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانى بن قبيصة ابن هانى بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الموقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائعهم ، وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى يوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتيلا بجانب قتيلا كآيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيده قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (٦) الرعيد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاتحادها فى جميع آيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يهدم وينقض .

وَأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ أَدَبٍ * وَأَقْفَرَ الرُّؤْيُ مِنْ شَدْوٍ وَتَغْرِيدٍ
 (١)
 وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَبِيدُهُ * كَأَنَّهُ دَسَمٌ فِي جَوْفٍ مَمْعُودٍ
 (٢)
 أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرَحَتْ أَعْيُنُهُ * فَرَّاحَ يَعْتَرُّ فِي حَشْوٍ وَتَعْقِيدٍ
 (٣)
 وَأَنْكَرْتُ لَسَمَاتِ الشُّوقِ مَرَبَعَهُ * تُثِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ
 (٤)
 لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَثَرِ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أَخْدُودِ
 (٥)
 وَكَفَّنُوهُ بِدَرَجٍ مِنْ صَحَائِفِهِ * أَوْ وَاضِحٍ مِنْ قَبِصِ الصُّبْحِ مَقْدُودِ
 (٦)
 وَأَنْزَلُوهُ بِأَفْصَقِ مِنْ مَطَالِيحِهِ * فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ
 (٧)
 وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مَحَاسِنَهُ * لِلشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْيَدِ
 (٨)
 أَقُولُ لِلْمَلَايِكَةِ الْغَادِي بِمَوْكِهِ * وَالنَّاسُ مَا يَبْنَ مَكْبُودٍ وَمَقْذُودِ
 (٩)
 غَضُّوا أَلْيُونَ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيمًا (لِحَمُودِ)

- (١) المَعْدُود : الذى اعتلت معدته فلا يستريح ما يأكله . (٢) أَلْوَى بِهِ : ذهب به .
 والأعنة : جمع عانة (بالكسر) ، وهو سير الجلام . وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة
 الفاظه ، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .
 (٣) مَرَبَعَهُ : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . والخرد : جمع خريدة ،
 وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل
 والنسيب فى الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .
 (٤) الْأَخْدُود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدَرَج (بالفتح) :
 ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الْجَلَامِيد : الصخور؛ الواحد جَلَمُود .
 (٧) الْيَسَد : الفلوات ؛ الواحدة يَسَدَاء . (٨) الْمَلَا : الجماعة . والمكبود : المصاب
 فى كبده . والمقزود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين ، وهو جبريل
 عليه السلام .

- (١) يَا وَيْحَ لِلْقَبْرِ قَدْ أَخْفَى سَنَا قَمَرٍ * مُقَسِّمِ الْوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجَالِيدِ
(٢) يَا وَيْحَهُ حَلَّ فِيهِ ذُو قَرِيحَتِهِ * لَمَّا يَحْذِرُ الْمَعَالِي أَلْفَ مَوْلُودِ
(٣) فَرَأَيْدُ نَعْدٍ لَوْ شَاءَ أَوْدَعَهَا * مُحْصَى الْجَدِيدِ سِحْلَاتِ الْمَوَالِيدِ
(٤) كَأَنَّهَا وَهَى بِالْأَلْفَاظِ كَاسِيَةً * وَحُسْنُهَا بَيْنَ مَشْهُودٍ وَمَحْسُودِ
(٥) لَأَلَيْ خَلْفَ بَلُورٍ قَدْ آتَسَقَتْ * فِي بَيْتٍ دِهْقَانٍ تَشْتَهَى نُهَى الْغَيْدِ
(٦) (مَحْمُودُ) إِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ فِي كَلِمَى * حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيدِي
(٧) فَاغْذِرْ قَرِيضَى وَأَعِزِّدْ فِيكَ قَائِلَهُ * كَلَامُهَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْدُودِ

(١) سنا القمر: ضوءه . ومقسم الوجه : جميل كله ، كان كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذر (هنا) : بمعنى الذى ، فى لغة طلي . والخدر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والخرد : اللآلى التى لم تقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه قصائده بالفرائد الخرد فى نفاسها وصياتها عن الابتدال . ومحصى الجديد : من يقيد المعانى الجديدة التى يتكرها الشعراء . ويريد بقوله : « لو شاء » الخ : أن له معانى مبتدعة جديدة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالية متجملة كما يلجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : الناجر ؛ فارسى معرب . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المنثنية لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر الفقيده بالآلى ، والألفاظ بالبلور فى أنها تشفى عما تضمنت من المعانى كما يشفى البلور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالضميف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضميف . والمحدود : المحروم والمنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجابة

فى رثاء الفقيده .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

[نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

- (٢) سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضْرَاتِ
 عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِجَا * عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، عَلَى الْحَسَنَاتِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى حَادِيَ الْمَوْتِ قَبْلَهُ * فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
 فَوَالْهَنَى - وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - * عَلَى نَظَرَةٍ مِنْ تِلْكَ النُّظَرَاتِ^(٣)
 وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا * كَأَنِّي حَيَالُ الْقَبْرِ فِي عَرَافَاتِ^(٤)
 لَقَدْ جَهِلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا * تَجَالِيدَهُ فِي مُوْحِشٍ بِفَلَاةِ^(٥)
 وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لَأَنْزَلُوا * بِخَيْرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرُ رَفَاتِ^(٦)
 تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينَ مُحَمَّدٍ * أَيْتَرَكُ فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ حُمَاةٍ ؟
 تَبَارَكْتَ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى * وَلَانتَ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْغَمَزَاتِ^(٧)

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .

(٢) النضرات : ذوات الحسن والرونق . (٣) والهنى : كلمة يخسر بها على ما فات .

(٤) حاسر الرأس : عار به . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه

وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضرح لبيت : حفله ضريحاً . ويريد « بالمسجدين » :

المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : ما يلي وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا

بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حراً بذلك ، لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى : مات . والقناة : الریح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد « بالغمزات » :

المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَخْرَجَ شَطَاهُ * وَبَنَتْ وَلَمَّا تَجْتَنِي الشَّمَرَاتِ^(١)
 فَوَاهَا لَهُ إِلَّا يُصِيبَ مُوَفَّقًا * يُشَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتٍ^(٢)
 مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاحَنَا * فَرُدَّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتِ^(٣)
 وَجَالَتْ بِنَا تَبْغِي سِوَاكَ عُيُونُنَا * فَعُذْنَ وَأَثَرَتْ الْعَمَى شِرْقَاتِ^(٤)
 وَأَدْوَلَكِ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكُرُوا * مَكَانَكَ حَتَّى سَوَدُّوا الصَّفَحَاتِ^(٥)
 رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةً * وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُ لَهُ بِشَكَاةٍ^(٦)
 لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوَكْبًا فِي غَيَاطٍ * وَمَعْرِفَةٌ فِي أَنْفُسِ نَصِرَاتِ^(٧)
 أَبْنَتْ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً * وَفَرَّقَتْ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ^(٨)
 وَوَقَفْتَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْجَمَا * فَأَطْلَعْتَ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ^(٩)
 وَوَقَفْتَ (لَهَا نُتُو) وَ(رَيْنَان) وَفَقَّةً * أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالنَّفَحَاتِ^(١٠)

- (١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبنت : بعدت .
- (٢) الضمير في « له » يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجلبة التي لا تنبت . يخشى ألا يجدد الزرع من يتبعه بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يفرس فيها .
- (٣) يريد « بالأعلام » : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهي الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أى خاليات .
- (٤) شرقات ، أى محمرات من البكاء .
- (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يوجهها أعداء الفقيد إليه ، وينشرونها في بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه .
- (٦) الفياهب : الظلمات .
- (٧) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقيها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن .
- (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسي المؤرخ الفرنسي . ولد في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات في الطعن على الاسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسي ، ولد في ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ، وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفي رينان في سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

- (١) وَخِفتَ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ * خَفَاكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالزُّرُفَاتِ
(٢) وَكَمْ لَكَ فِي إِغْفَاءِ الْفَجْرِ يَقْظَةً * نَقَضْتَ عَلَيْهَا لَذَّةَ الْمَجَاعَاتِ
(٣) وَوَلَّيْتَ شَطْرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيًا * تُنَاجِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي الْخَلَوَاتِ
(٤) وَكَمْ لَيْلَةٍ طَانَدْتَ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى * وَنَبَّهْتَ فِيهَا صَادِقَ الْعَزِمَاتِ
(٥) وَأَرْصَدْتَ لِلْبَاغِي عَلَى دِينِ أَحَدٍ * شَبَابَةَ رِاعٍ سَاحِرِ النَّفَثَاتِ
(٦) إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرِيسِ فَاضَ جَبِينُهُ * بِأَسْطَارِ نُورٍ بَاهِرِ اللَّعَاتِ
(٧) كَأَنَّ قَرَارَ الْكَهْرَبَاءِ بِشِقِّهِ * يُرِيكَ سَنَاهُ أَيَّسَرِ اللَّسَاتِ
فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعِيشِهِ * لَأَنْتِ عَلَيْنَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ
(٨) حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِنْبَرًا * وَأَذْوَيْتِ رَوْضًا نَاضِرَ الزَّهْرَاتِ
(٩) وَأَطْفَأْتَ نِيرَاسًا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسًا * عَلَى جَحَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

(١) الزُّرُفَاتُ : الوسواس .

(٢) الإغْفَاءُ : النوم . « نَقَضْتَ عَلَيْهَا » أى أنه خلغ على اليقظة لذة الهجمة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجمة ، أى النوم .

(٣) الْبَيْتُ : الكعبة .

(٤) الْكَرَى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزيمة الصادقة .

(٥) أَرْصَدْتَ : أعددت وهيات . واليراع : القلم . وشبابته : سته . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبها لها بما ينفثه الساحر في العقد .

(٦) الطَّرِيسُ (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سَنَاهُ : ضوؤه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، فجرد اللمس بظهور نوره .

(٨) حَطَمْتَ : كسرت . وأذويت : أذهبت .

(٩) النِّيرَاسُ : المصباح .

(١) رَأَى فِي لَيْلِكَ الْمُتَجِّمُ مَا رَأَى * فَأَنْذَرَنَا بِالْوَيْلِ وَالْعَثَاتِ
 وَنَبَّأَهُ عِلْمُ النُّجُومِ بِحَادِثٍ * تَبَيَّنَتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
 (٢) رَمَى السَّرَطَانُ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ * وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرِّمَاتِ
 (٣) فَأَوْدَى بِهِ خَتَلًا فَمَالَ إِلَى الثَّرَى * وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنَحَرِفَاتِ
 وَشَاعَتْ تَعَازِي الشُّهْبِ بِاللَّجِّ بَيْنَهَا * عَنِ النَّيْرِ الْهَاسِي إِلَى الْفَلَوَاتِ
 (٤) مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عُجْبًا بِرَبِّهِ * وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّيْسِ وَالْقُبُلَاتِ
 (٥) تَكَادُ الدُّمُوعُ الْحَارِيَاتُ تُقْلَهُ * وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِرَاتِ
 بَكَى الشَّرْقُ فَأَرْجَحَتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً * وَضَاقَتْ عُيُونُ الْكَوْنِ بِالْعَبَرَاتِ
 فِيهِ الْهِنْدُ مَحْزُونٌ وَفِي الصِّينِ جَارِعٌ * وَفِي (مِصْرَ) بَاكِ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ
 وَفِي الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وَفِي الْفُرْسِ نَادِبٌ * وَفِي ثُوْنِيسَ مَا شِئَتْ مِنْ زَفَرَاتِ
 (٦) بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ * سِرَاجَ الدِّيَاغِي هَادِمَ الشُّبُهَاتِ

- (١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام في السنة التي توفي فيها ، وكتب ذلك في تقويمه السنوي .
 (٢) رمى السرطان ...
 انخ ، إشارة إلى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هذا الداء المعروف . والليث خادر ، أي والأسد في أجمته . ويطلق السرطان أيضا على برج في السماء يقابله برج الأسد الذي أطلق الشاعر عليه لفظ الليث . واستعمل الشطر الأول في المعنيين ، كما يدل عليه سياق الكلام في الأبيات التالية .
 (٣) أودى به : ذهب به . واختل : الخلداع . والأجرام : الأفلاك .
 (٤) ربه : صاحبه .
 (٥) ثقله : محمله . ومستمرات : مشتعلات من الحزن .
 (٦) الدياغي : الظلمات .

(١) مَلَاذَ عَيَّالٍ ثِمَالٍ أَرَامِلٍ * غِيَاثَ ذَوِي عُدْمٍ إِمَامَ هُدَاةٍ
 فَلَا تَتَّصِبُوا لِلنَّاسِ تِمْنَالٍ (عَبْدِهِ) * وَإِنْ كَانَ ذِي كَرَى حِكْمَةٍ وَثَبَاتٍ
 فَلَأَنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِتُوا * إِلَى نُورِ هَذَا الْوَجْهِ بِالسَّجْدَاتِ (٢)
 فَيَا وَنِجَ لِلشُّورَى إِذَا جَدَّ جَدُّهَا * وَطَاشَتْ بِهَا الْآرَاءُ مُشْتَجِرَاتٍ (٣)
 وَيَا وَنِجَ لِلْفُتَيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * وَيَا وَنِجَ لِلْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
 بِكَيْنَا عَلَى فَرْدٍ وَإِنْ بُكَاءَنَا * عَلَى أَنْفُسٍ لِلَّهِ مُنْقَطِعَاتِ (٤)
 تَعَهَّدَهَا فَضْلُ الْإِمَامِ وَحَاطَهَا * بِإِحْسَانِهِ وَالذَّهْرِ غَيْرُ مُوَاقِي (٥)
 فَيَا مَنَزِلًا فِي (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنِي * وَأَرْغَمَ حُسَادِي وَغَمَّ عُدَاتِي (٦)
 دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَأَسَاسُهُ الْهُدَى * وَفِيهِ الْأَيْدِي مَوْضِعُ اللَّبَنَاتِ (٧)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَالِكَ مُوحِشًا * عَبُوسَ أَلْمَغَانِي مُقْفِرَ الْعَرَصَاتِ

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيال : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمان الأراميل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المنقذ والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يؤمّتوا : بشروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبات لا يتميز فيها الحق من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواق : الموافق المساعد . (٥) عين شمس : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دعائم البيت : عمده . والأيدى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ؛ الواحدة لبنة . (٧) الموحش : الخالي الذي ليس به ساكن . ومغانيه : منازل التي كان ينزل بها ساكنوه ؛ الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

(١) لقد كنت مقصوداً لجوانب أهلاً * تطوف بك الآمال مبهلات
(٢) مثابة أرزاق، ومهبط حكمة * ومطلع أنوار، وكثرة عظام

(٣) رثاء مصطفى كامل باشا

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

(٤) أيا قبر هذا الضيف آمل أمة * فكبر وهل وألق ضيفك جاثياً
(٥) عزيز علينا أن ترى فيك (مصطفى) * شهيد العلاء في زهرة العمر ذاوياً
(٦) أيا قبر لو أنا فقدناه وحده * لكان التأسي من جوى الحزن شافياً
ولكن فقدنا كل شيء بفقده * وهيات أن يأتي به الدهر ثانياً
فيا سائلي أين المروءة والوفا * وأين الجحى والرأى؟ ويحك هاهيا
(٧) ههنا لهم فليأمنوا كل صائح * فقد أسكت الصوت الذي كان عالياً

(١) منزل أهل : طامر بأهله . ومبهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت في طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية في وقت واحد ، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية في سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسى في ٤ يونية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية في مصر ، الى أن توفى في سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى . (٤) جثا الرجل

يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الذارى : الذابل .

(٦) التأسي : اقتدائك بمن سواك فى الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير فى « لهم » : للإنجليز .

(١) ومات الذى أحيا. الشعور وساقه * الى المجد فاستجيا النفوس البواليا
 مدحك لما كنت حيا فلم أجذ * وإني أجيد اليوم فيك المراثيا
 (٢) عليك، وإلا ما لدا الحزن شاملا * وفيك، وإلا ما لدا الشغب بايا
 يموت المداوى للنفوس ولا يرى * لما فيه من داء النفوس مداويا
 (٣) وكنا نياما حينما كنت ساهدا * فأشهدتنا حزنا وأمست غافيا
 (٤) شهيد العلاء، لا زال صوتك بيننا * يرت كما قد كان بالأمس داويا
 (٥) يهيب بنا : هذا بناء أقتنه * فلا تهيدوا بالله ما كنتم بانيا
 (٦) يصيح بنا : لا تشعروا الناس أثنى * قضيت وأن الحى قد بات خاليا
 ينشدنا بالله ألا تفرقوا * وكونوا رجالا لا تسروا الأعاديا
 (٧) فروجى من هذا المقام مطلة * تشارفكم عنى وإن كنت باليا
 فلا تحزنوها بالخلاف فإنى * أخاف عليكم فى الخلاف الدوايا
 (٨) أجل، أيها الداعى الى الخير إننا * على العهد ما دئنا فم أنت هانيا
 بناؤك محفوظ، وطيفك مائل * وصوتك مسموع، وإن كنت نائيا

(١) استجيا، أى أحيا . والاستجيا (لغة) : الاستبقاء ؛ يقال : استجيا فلان فلانا ، إذا أبقاه حيا .

(٢) عليك ، أى عليك الحزن . وفيك ، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والغافى : النائم . (٤) المعروف (دوى) بتشديد الواو ، واسم الفاعل منه : مدثر . وأما (دوى) بالتحفيف ، فهو استعمال شائع فى كلام أهل المصر ،

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه . (٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو . (٨) أجل ، كلمة يقال فى الجواب بمعنى « نعم » .

عَيْدُكَ لَا تَبْكِي وَتُكْرِ أَنْ يُرَى * أَخُو الْبَاسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بِأَيِّكَ
 (١)
 فَرَّخَصَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَيْدٍ * تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
 فَيَا نَيْلُ إِنْ لَمْ تَجْزِ بَعْدَ وَفَاتِهِ * دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نَيْلُ جَارِيَا
 وَيَا (مُضِرُّ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ * إِلَى الْحَشْرِ لَا زَالَ أَنْحِلَا لَكَ بَاقِيَا
 وَيَا أَهْلَ (مُضِرِّ) إِنْ جَهِلْتُمْ مُصَابِكُمْ * ثِقُوا أَنْ تَجْمَعَ السَّعْدُ قَدَ غَارَ هَاوِيَا
 (٢)
 ثَلَاثُونَ عَامًا بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً * بِحَيْدِ اللَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
 (٣)
 سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ * قَتَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا مُغَازِيَا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدتها في حفل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

(٤)
 نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ * وَأَتَيْتُ أَنْثَرُ بَيْنَهُمْ أَشْعَارِي
 زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَاقِ الْعُلَا * هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
 (٥)
 غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمَرْصِدٍ * وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وَإِسَارِ

- (١) الذي وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصته في كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهي عنه .
 ولم نجد في كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «في» كما استعمله الشاعر في هذا البيت ،
 إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، لحذف الفاء . والرواى: الرواسخ .
 (٢) توفي مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون في هذا البيت مدد تقريبي .
 (٣) تشهد ، أى الثلاثون عاما .
 (٤) نوادى الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى . (٥) برصد ، أى أن الحوادث ترقبنا وتحنين
 الفرص لمدامتنا . والمرصد ، هو مكان الرصد ، أى المراقبة .

- (١) مَا كَانَ أَحْوَجَنَا إِلَيْكَ إِذَا عَدَا * حَادٍ وَصَاحَ الصَّائِحُونَ : بَدَارِ
 أَيْنَ الْخَطِيبُ وَأَيْنَ خَلَابُ الثَّهَى ؟ * طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
 (٢) بِاللَّهِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا * مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمُنْشَوَارِ
 (٣) قُمْ وَانْحُ مَا خَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومِي) * جَهْلًا بَيْنَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
 (٤) قَدْ كُنْتَ تَفْضُبُ لِلْكَانَةِ كَلِمًا * هَمَّتْ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بَعِثَارِ
 (٥) غَضَبَ التَّقَى لِرَبِّهِ وَكَتَابِهِ * أَوْ غَضَبَةَ (الْفَارُوقِ) لِلْخُتَارِ
 (٦) قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِقْ * صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ
 (٧) أَوْدَى بِهِ ذَاكَ الْجِهَادُ وَهَدَّه * عَزَمَ يَهُدُّ جَلَائِلَ الْأَخْطَارِ
 (٨) لَعِبْتَ يَمِينَكَ بِالْيَرَّاحِ فَأَعْجَزَتْ * لَعِبَ الْفَوَارِسَ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ
 (٩) وَجَرَيْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَبْنِي شَاوَهَا * بَفَرَى الْقَضَاءِ وَأَنْتَ فِي الْمَضَامِرِ

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الفارات على الأعداء .
 ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبى المنشوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية في مصر من طعن على الدين
 الإسلامى . (٤) العثار : الكبو والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه . والمختار : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطلع إليه من المعالي . (٧) أودى به : ذهب . « وهده
 عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرماح .
 والخطار : من صفات الرمح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشاؤ : الفاية . ويريد
 « بالقضاء » : الموت .

(١) أَوْكَلَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهْنَدًا * بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلُ الْأَقْدَارِ
(٢) عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيهِ * وَشَهِدْتُ مَوَكِبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
(٣) وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النُّعَاةُ فَطَائِرٌ * بِالْكَهْرَبَاءِ ، وَطَائِرٌ يُخَارِ
(٤) شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفَى الشُّعُوبُ رِجَالَهَا * حَقَّ الْوَلَاءِ وَوَاجِبَ الْإِنْبَارِ
(٥) تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِيشِكَ خُشَّعَ * يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَائِكَ) السَّيَّارِ
خَطُّوا بِأَذْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى * لِلْحُزْنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَأَنَّهُمْ * رَكِبُ الْحَجِيجِ بِكَمْبَةِ الزُّوَارِ
وَتَحَالُمُ أَنَا لَقَرِطٍ خُشُوعِهِمْ * عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنِصِتُونَ لِقَارِي
(٦) ظَلَبَ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فِدْمُوعُهُمْ * تَجْرِي بِلاَ كُلِّحٍ وَلَا أَسْتِنْتَارِ
قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ * مَا بَيْنَ سَيْلٍ دَافِقٍ وَشَرَارِ
أَسْعَى فَيَاخُذُنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتَنِي * فَيَصُدُّنِي مُتَدَفِّقُ التِّيَّارِ

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : « وشهدت »
انح : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد في جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد « بالطائر بالكهرباء » :
الرسائل البرقية . « وبالطائر البخار » : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف
تنزل الأمة عظامها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى
كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطع . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيها) . والاستنثار
من الأنف معروف . ويريد « بتجرى بلا كلح ولا استنثار » : أن الدموع تجري بطبيعتها بلا عبوس
ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

(١) لَوَلَمْ أَلِدْ بِالنَّعِشِ أَوْ يَظْلَلِ * لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَايِلٍ وَبِحَارِ
 كَمْ ذَاتٍ يَخْذِرُ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدى * هَتَكَتْ عَلَيْكَ حَرَائِرَ الْأَسْتَارِ
 سَفَرْتُ تُودِّعُ أُمَّةً مَحْمُولَةً * فِي النَّعِشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 (٢) أَمِنَتْ عُيُونَ النَّاطِرِينَ فَزَقَّتْ * وَجْهَ الْجَمَارِ فَلَمْ تَلِدْ بِجَمَارِ
 قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا * سِتْرٌ مِنَ الْأَخْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
 (٣) أُدْرِجَتْ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ * مِنْكَ الْوِدَادَ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ
 (٤) حَلَمَانِ مِنْ قَوْقِ الرُّؤُوسِ كِلَاهُمَا * فِي طَبِّهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
 (٥) نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسَيَا * يَتَعَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي
 (٦) تَاللهِ مَا بَزَعَ الْحُبُّ وَلَا بَكَى * لِنَوَى مُرَوَّعَةٍ وَبُعْدِ مَزَارِ
 (٧) بَزَعَ (الْهَلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ * مَا بَيْنَ حَرَّاسِي وَحَرَّ أَوَارِ
 مُتَلَفَّتَا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا * رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ نَحَارِ

- (١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القصور ؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد « بالمرجل والبحار » : ما أشار إليه في البيت الأسبق من الزفريات والدموع .
 (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها .
 (٣) يقال : أدرجه في الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد « بالعلم » : علم مصر .
 (٤) يريد « بالعلمين » : الفقيده ، تشبيها له بالعلم في ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذي لف فيه النعش .
 (٥) شفير كل شيء : حرقه . والهارى : المنهار .
 (٦) النوى : البعد .
 (٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظلم ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه .

(١) إن الثلاثين التى بك فأنحرت * بأتت تُقاس بأطول الأعمار
 صمّت الى التاريخ يضع صحائف * بيضاء مثل صحائف الأبرار
 شبيهت بنقطة عطرية * وسعت محصل روضة معطار^(٢)
 خلقتها كالمشي تحلو حذوها * راجى الوصول ومقتنى الآثار^(٣)
 ماذا على السارى - وهن منائر - * لو سار بين نجاهيل وقفار^(٤)
 ما زلت تختار المواقف وعمره * حتى وقفت لذلك الجبار^(٥)
 وهدمت سورا قد أجاد بناءه * فرعون ذو الأوتاد والأنهار^(٦)
 ووصلت بين شكاتنا ومشايخ * فى (البرلمان) أعزّة أخيار^(٧)
 كشفوا الغطاء عن الميون فأبصروا * ما فى الكانة من أذى وضار^(٨)
 نبذوا كلام (اللرد) حين تبينوا * حنق المغيظ ولمحة الثرار^(٩)
 ورماهم يجلدين رموهم * فى رتبة الأصفار لا الأسفار

- (١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مراثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدّمنا أن الفقيّد قد توفى عن اثنتين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبي . (٢) الروضة المعطار : الكثيرة الزهور والرياحين . ومحصلها : ما يحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى موافقه معه فى حادثة دنشواى وغيرها . (٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغي ؛ شبه اللورد كرومر به . (٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى . (٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرار : الذى يكثر الكلام تكلفا ونرجوا عن الحق . (٩) يشير «بالجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

(١)

وَاهَا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاقِفِ لَهَا * كَانَتْ مَوَاقِفَ لَيْثٍ غَابِ ضَارِي

(٢)

لَمْ يَلَوْهَ عَنْهَا الْوَعِيدُ وَلَا ثَنَى * مِنْ عَزَمِهِ قَوْلُ الْمُرَيْبِ : حَذَارِ

فَاهِنًا بِمَنْزِلِكَ الْجَدِيدِ وَنَمَّ بِهِ * فِي غِبْطَةٍ وَانْتَمَّ بِخَيْرِ جَوَارِ

(٣)

وَأَسْتَقْبِلِ الْأَجَرَ الْكَبِيرَ جَزَاءَ مَا * صَفَّيْتَ لِلْأَوْطَانِ مِنْ أَوْطَارِ

(٤)

نِعَمَ الْجَزَاءِ وَنِعَمَ مَا بُلِّغْتَهُ * فِي مَنَزِلَيْكَ وَنِعَمَ عَقْبِي الدَّارِ

رثاء قاسم أمين بك^(٥)

[نشرت في ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

(٦)

لِلَّهِ دَرَكٌ كُنْتَ مِنْ رَجُلٍ * لَوْ أَمَهَلَتْكَ غَوَائِلُ الْأَجَلِ

(٧)

خُلِقَ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ إِذَا * اسْتَحَرَّنَ غَبَّ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ

(١) الضاري : الجريء المتوعد على الصيد . (٢) لم يلوّه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة .

يريد به هنا : المهتم في وطنيته ، المشكوك في إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطرء ،

وهو البغية والحاجة . (٤) في منزلك ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حفظه من التعلم في مصر سافر الى فرنسا حيث

درس الحقوق ، وعاد في سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف

الأهلية ، وهو أول من نادى ببحرير المرأة المصرية ، وله في ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) .

واشترك أيضا في الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ، وتوفي رحمه الله

في ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهي المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسبحر : صار في السحر . والعارض : السحاب المعترض في الأفق . والمهطل : المتتابع المطر ،

العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفي السحر .

(١) وشمائل لو أنها مَرَجَتْ * بطبائع الأيام لم تحل
(٢) جَمُ المحاميد غير مُتَّهِم * جَمُ التواضع غير مُبْتَذِل
(٣) يا دَوْلَةَ الأخلاق رافِلَةٌ * مِنْ (قائِم) في أبهى الحُلل
كيف أنطَوَيْتَ به على عَجَل * أكذا تكونُ مصارعُ الدُّولِ؟
(٤) يا طالعاً للشرق لَجَّ به * نحسُّ النُّحُوسَ فقرَّ في (زُحَل)
هَلَّا وَصَلْتَ سُورَكَ مُتَّقِلًا * علَّ السُّعُودَ تكونُ في الثُّقَلِ
(٥) مالى أرى الأجداثَ حَالِيَةً * وأرى رُبُوعَ النِّيلِ في عَطَلِ
(٦) فاذا الكُفَّةُ أَطْلَعَتْ رَجُلًا * طاحَ القَضَاءُ بذلك الرَّجُلِ
أو كلما أَرَسَلْتُ مَرِيَّةً * مِنْ أَدْمَعِي في إثرِ مُرْتَحِلِ
(٧) حاجتُ بى الأُخْرَى دَفِينِ أَسَى * فَوَصَلْتُ بَيْنَ مَدَامِجِ الْمُقِلِ
إنَّ خاتِنِي فيما لَحِقْتُ به * شِعْرِي فهِذا الدَّمْعُ يَسْفَعُ لِي
(٨) ولقد أَقُولُ وما يُطالِنِي * عندَ البَدِيهَةِ قَوْلُ مُرْتَحِلِ:
يا مُرْسِلَ الأمثالِ يَضِرُّهَا * قد عَزَّ بَعْدَكَ مُرْسِلُ المَثَلِ

- (١) لم تحل، أى لم تحول ولم تتغير. والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مَرَجَتْ بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتاً على ما يحب الناس. (٢) المبتذل: المتهن. (٣) رافلة: تجر الذيل متبخرّة. (٤) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من (الخمسة)، وهو عند المنجمين كوكب نحس. (٥) الأجداث: القبور؛ الواحد جدث (بالتحريك). وحالية: مزدانة. والعطل: التجرد عن الزينة. (٦) طاح به: ذهب به. (٧) «حاجت بى الأُخْرَى» إلخ، أى أثارت المرئية الأخرى ما خفى من حزن. (٨) طاوله: غالبه.

- (١) يا رائِش الآراءِ صائِبَةً * يَرْمِي بِهِنَّ مَقَاتِلَ الْخَطَلِ
 (٢) لِلَّهِ آراءٌ شَاوَتْ بِهَا * فِي الْخَالِدِينَ نَوَائِغَ الْأَوَّلِ
 (٣) قَد كُنْتَ أَشْقَانَا بِنَا وَكَلَا * يَشْقَى الْأَبْيُّ بِصُحْبَةِ الْوَكَلِ
 (٤) لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلًا * لَمْ تَشْكُ ، لَمْ تَسْتَوْصِ ، لَمْ تَقُلْ
 (٥) غَلَّ الْقَضَاءُ يَدَ الْقَضَاءِ فَذَا * يَبْكِي عَلَيْكَ وَذَاكَ فِي جَذَلِ
 شَغَلْتِكَ عَنْ دُنْيَاكَ أَرْبَعَةً * وَالْمَرْءُ مِنْ دُنْيَاهُ فِي شُغْلٍ :
 (٦) حَقُّ تَنَاصُرِهِ وَمَقْخَرَةٍ * تَمْشِي إِلَيْهَا غَيْرَ مُتَحِيلِ
 (٧) وَحَقَائِقُ الْعِلْمِ تَنْشُدُهَا * مَا لِلْحَكِيمِ بِهِنَّ مِنْ قَبَلِ
 (٨) وَقِضِيلَةٌ أَعَيْتُ سِوَاكَ فَلَمْ * تَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا وَلَمْ يَصِلْ
 (٩) إِنِّي رَأَيْتُ رَأْيًا فِي الْحِجَابِ وَلَمْ * تُعَصِّمَ ، فِتْلَكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ

(١) الرائش : الذى يلزق الريش على المسمم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذى يكل أمره إلى غيره . ويشير بهذا البيت إلى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والظلم الجارح حين أخرج كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلا ، أى مت من غير علة ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت . (٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجذل (بالتحريك) : الفرج . (٦) المتحيل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أى لم تمدد الفضيلة إلى سواك يدا ولم يصل إلى نواها . (٩) ريت : رأيت ، غدق الحمزة للوزن . ويشير بهذا البيت إلى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرْجِعُهُ * فَيَا رَأَيْتَ فَنَمَ وَلَا تَسِيلُ
 (١) وَكَذَا طُهَاءُ الرَّأْيِ تَزْكُمُهُ * لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
 فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَنْتَ خَيْرُفَتَى * وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَالِ
 أَوَّلًا ، لِحَسْبِكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ * وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ
 (٢) وَاهَا عَلَى دَارٍ مَرَزْتُ بِهَا * قَفَرًا وَكَانَتْ مُلْتَقَى السُّبُلِ
 (٣) أَرْخَضْتُ فِيهَا كُلَّ غَالِيَةٍ * وَذَكَرْتُ فِيهَا وَقْفَةَ الطَّلَلِ
 (٤) سَاءَ لُثْمًا عَنْ (فَاسِمٍ) فَأَبَتْ * رَدًّا الْجَوَابِ فُرُحْتُ فِي خَبَلٍ
 (٥) مُتَعَثِّرًا يَنْتَابُنِي وَهَرٌّ * مُتَرَمِّحًا كَالشَّارِبِ الثِّمَلِ
 (٦) مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإمام) بِهِ * يَوْمَ أَتَّوَيْتُ بِذَلِكَ الْبَطْلِ
 (٧) يَوْمَ أَحْتَسَبْتُ - وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ - * تَحْتَ التَّرَابِ بَقِيَّةَ الْأَمَلِ
 جَاوِزًا حَبَّتَكَ الْأُلَى ذَهَبُوا * بِالْعَزِيمِ وَالْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ
 (٨) وَأَذْكُرُ لَهُمْ حَاجَ الْبِلَادِ إِلَى * تِلْكَ النَّهْيِ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

- (١) شبه في هذا البيت صاحب الرأي يرسله في الناس ويركه ينفذ الى عقولهم شيئاً فشيئاً حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النار تنضجه شيئاً فشيئاً حتى يتم نضجه ، ويصير صالحاً لتناوله .
- (٢) يريد « بالدار » دار الفقيد . وملق السبل ، أى مجمع الوافدين من كل طريق . ونصب « قفراً » على الحال .
- (٣) الغالية ، أى الدفعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشد المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار .
- (٤) الخبل : الجنون . (٥) الوهن : الضعف . والمترنح : المتمايل سكرًا . والنمل : النشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم اتتويت به ، أى يوم رماني فيه الزمان وقصصني بمكرهه .
- (٧) احسبه : قدّمه واعتدّه فيما يدخره عند الله .
- (٨) الحاج : جمع حاجة .

قُلْ (للإمام) إِذَا التَّقَيَّتْ بِهِ * فِي الْجَنَّتَيْنِ بِأَكْرَمِ التُّزُلِ :
 إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَصْبَحَتْ هَدَفًا * لِلرَّاكِبِينَ مَرَائِبَ الزُّلُلِ
 اللَّهُ أَنَارَ لَكُمْ خَلَدَتْ * صَاحَ الزَّوَالِ بِهَا فَلَمْ تَزُلْ
 اللَّهُ أَيَّامٌ لَكُمْ دَرَجَتْ * طَالَتْ عَوَارِفُهَا وَلَمْ تَقُلْ^(١)
 نَعَمْ الظَّلَالُ لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ * أَوْ أَنَّ ظِلًّا غَيْرُ مُتَقِيلِ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدتها في الحفل الذي أقيم عند قبره لإحياء ذكره الأول

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بَارَكَانِ هَذَا الْقَبْرِ وَاسْتَلِمُوا * وَأَقْضُوا هُنَا لِكَ مَا تَقْضِي بِهِ الدُّمُ^(٢)
 هُنَا جَنَاتُ تَعَالَى اللَّهِ بَارِئُهُ * ضَاقَتْ بِأَمَالِهِ الْأَقْدَارُ وَالْهِمَمُ
 هُنَا فَمٌ وَبَنَانٌ لَاحَ بَيْنَهُمَا * فِي الشَّرْقِ بِفَرْشِي صَوَّءِ الْأُمَمِ
 هُنَا فَمٌ وَبَنَانٌ طَالَمَا نَثَرَا * نَثْرًا تَسِيرُ بِهِ الْأَمْثَالُ وَالْحِكَمُ
 هُنَا الْكَيُّ الَّذِي شَادَتْ عَزَائِمُهُ * لَطَالِبِ الْحَقِّ رُكْنًا لَيْسَ يَنْهِي^(٣)
 هُنَا الشَّهِيدُ، هُنَا رَبُّ اللَّوَاءِ، هُنَا * حَامِي الدِّمَارِ، هُنَا الشَّهْمُ الَّذِي صَلِمُوا^(٤)

(١) درجت : مضت وذهبت . والعوارف : جمع عارفة ، وهي العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة .

(٢) استلم القبر : قبله أو لمسه بيده . (٣) الكي : الشجاع . (٤) اللواء :

الصحيفة التي كان يصدرها الفقيد . والدِّمار : كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفاع عنه .

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجَعِهِ * لِيَهْنِكَ النَّوْمُ لَا هَمَّ وَلَا سَقَمَ
 بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ * عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرَطَاسُ وَالْقَلَمُ
 تَرَكْتَ فِيْنَا فَرَاغًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ * إِلَّا أَيُّ ذِكِّ الْقَلْبِ مُضْطَرِمٌ^(١)
 مُنْفَرُّ النَّوْمِ سَبَّاقٌ لِغَايَتِهِ * آثَارُهُ عَمَمٌ أَمَالُهُ أَمَمٌ^(٢)
 إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي * رُوحًا يُخْفِ بِهَا الْإِنْبَارُ وَالْعِظَمُ^(٣)
 أَرَى جَلَالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى مُحِيًا يُحْيِينَا وَيُنْشِسُنَا
 اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْوَجْهُ أَعْرِفُهُ * هَذَا قَتَى النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ^(٤)
 غَضُّوا الْعُيُونَ وَحَيُّوهُ تَحِيَّتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الْكَلِمُ^(٥)
 وَأَقْسِمُوا أَنْ تَدُودُوا عَنْ مَبَادِيهِ * فَتَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُو بِهِ الْقَسَمُ^(٦)
 لَيْبِكَ نَحْنُ الْأَلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَدَمُ^(٧)
 جِئْنَا نُؤَدِّي حِسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا * وَنُسْتَمِدُّ وَنُسْتَعِدِّي وَنُخْتَمِ^(٨)
 قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكَنْتَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا * عَسْفُ الْجُفَاةِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ^(٩)
 قَدْ أَثْهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبُ جَلَالًا * إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالَيْنِ مُتَّهَمٌ

(١) مضطرم، أى مشتعل غير وحمية . (٢) مفرا النوم : مسهد . وعمم، أى عامة شاملة .

(٣) الحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .

(٥) تدودوا : تدفموا . (٦) غاله : أهلكه .

(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدي : نستنصر .

(٨) العسف : الظلم . ويريد «الجفافة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل :

الأمر العظيم .

قالوا : لقد ظلموا بالحق أنفسهم * والله يعلم أن الظالمين هم
 (١)
 إذا سكنتنا تناجوا ، تلك عادتهم * وإن نطقنا تنادوا : فتنة عم
 (٢)
 قد مر عام بنا والأمر يحزبنا * أنا وآونة تتأبنا النقم
 (٣)
 فالناس في شدة والدهر في كلب * والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم
 وللسياسة فينا كل آونة * لئن جديده وعهد ليس يحترم
 (٤)
 بيتنا نرى جمرها تخبى ملامسه * إذا به عند لميس المصطلي فم
 تُصنعي لأصواتنا طورا لتخدعنا * وتارة يزدهيها الكبر والصمم
 (٥)
 فمن ملاينة أstarها خدع * إلى مصالبة أstarها وهم
 ماذا يريدون ؟ لا قرت عيونهم * إن الكانة لا يطوى لها علم
 (٦)
 كم أمة رغبَت فيها فما رنخت * لها - على حولها - في أرضها قدم
 (٧)
 ما كان ربك رب البيت تاركها * وهي التي بجبال منه تعصم
 لبيك إنا على ما كنت تعهده * حتى تسود وحتى تشهد الأمم
 فيعلم النيل أنا خير من وردوا * ويستطيل آخيا لا ذلك الهرم

(١) تناجوا : تساروا .

(٢) حزه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدته وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة
 أحوالا مختلفة فحين تكون نارا حامية ، وحينما لجمة باردة . (٥) الوهم (بسكون الهاء) ،
 معروف . وحركة الشاعر للضرورة . (٦) رنخت : ثبتت . والحول : القوة
 (٧) البيت : الكلمة .

(١) هذا الغراس الذى واليت منبتته * بنخير ما والت الاضواء والنسم
 أمسى وأضحى وعين الله تحرسه * حتى نما وحلاه المجد والشمم
 (٢) فأنظر إليه وقد طالت بواسقه * تنهأ به ولأنف الحاسد الرغم
 (٣) يأبى النشء سيروا في طريقته * وثابروا، رضى الأعداء أو تقموا
 (٤) فكلكم (مضطفي) لو سار سيرته * وكلكم (كامل) لو جازه السام
 (٥) قد كان لا وانيأ يوماً ولا وكلاً * يستقبل الخطب بساماً ويقبض
 (٦) وأنت يا قبر قد جئنا على ظمير * فخذ لنا بجواب، جادك الديم
 (٧) أين الشباب الذى أودعت نضرته * أين الحلال - رعاك الله - والشيم؟
 (٨) وما صنعت بآمال لنا طويث * يا قبر فيك وعفى رسمها القيد؟
 (٩) ألا جواب يروى من جوائننا * ما للقبور إذا ما نوديت تحيم؟
 نعم أنت، يكفيك ما عانيت من تعب * فنحن في يقظة والشمل ملتم
 هذا (لواؤك) خفاق يظللنا * وذلك شخصك في الأجداد مرسم

- (١) واليت منبتته، أى لم تنقطع عن تمهده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أثر هبوبها . « بنخير ما والت » الخ، أى بأحسن ما تمتد الشمس والنسيم حياة النبات .
- (٢) البواسق : ما طال وارفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه للضرورة) : التراب . ولأنفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى يكمل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة ، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق ؛ ويقال : جادته الديم ، إذا أصابته بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .
- (٦) الحلال : الخصال . (٧) الرسم : ما بقى من آثار الديار . وعفاه القدم : محاه وطمس آثاره .
- (٨) رجم يحم : سكت عن الكلام وعجز من كثرة النعم .

(١) رثاء تولستوى

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

(٢)
رثاءك أمير الشعير في الشرق وأنبرى * لمذحك من كتاب مضر كبير
ولست أبالي حين أرثيك بعده * إذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف وإثني * ضعيف ومالي في الحياة نصير
ولست أبالي حين أبكيك للورى * حوتك جنان أم حوالك سكير
فلأني أحب النايغين لعلمهم * وأعشق روض الفكر وهو نصير
دعوت إلى عيسى فضجت كائس * وهز لها عرش وماد سكير
وقال أناس إنه قول ملحد * وقال أناس إنه لبشير

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الرومى المشهور في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش في أملاكه يزرعها ويقسم ممتلكه بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . واتهم في آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « أمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقي بك ، وله في رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلتسو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بأس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يبالي حين يرثيه أكان الفقيه مؤمناً أم كافراً .

(٤) ماد : اضطرب .

(١) وَلَوْلَا حُطَامٌ رَدَّ عَنْكَ يَكَادُهُمْ * لَضَقَّتْ بِهِ ذُرْعًا وَسَاءَ مَصِيرُ
ولكن حماك العلم والرأى والرجا * ومال - اذا جدد التزال - وفير
(٢) إِذَا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحْبَسِينَ بِمُحْفَرَةٍ * بِهَا الزُّهْدُ ثَاوٍ وَالذِّكَاءُ سَتِيرُ
وأبصرت أنس الزهد في وحشة الليل * وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
(٣) وَأَيَقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ * وَإِنْ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورُ
فقف ثم سلم واحتشم إن شيخنا * مهيب على رغم الفناء وقصور
(٤) وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّهُ * عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَصِيرُ
يُخْبِرُكَ الْأَعْمَى بِإِنْ كُنْتَ مُبْصِرًا * بِأَلَمْ تُخْبِرْ أَحْرَفٌ وَسُطُورُ
(٥) كَأَنِّي بَسْمِيعُ الْغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بِهِ أُسْتَاذُنَا وَيُجِيرُ
يُنَايِكَ : أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْنُنَا * وَمَاتَ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
(٦) قَضَيْتَ حَيَاةَ مِلْؤُهَا الْبِرِّ وَالتَّقَى * فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
وَسَمُوكَ فِيهِمْ فَيَلْسُوفًا وَأَمْسَكُوا * وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسِنٌ وَمُجِيرُ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا زَاهِدٌ صَاحَ صَنِيعَةٍ * يَرِنُ صَدَاهَا سَاعَةً وَيَطِيرُ

(١) الحطام : المال . والكباد : المكيدة . يشير الى ثروة تولسنوى التى كان يملكها ثم نزل عنها بعد وفاتها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك في ترجمته . (٢) رهن المحبسين ، هو أبو العلاء المعزى ، سعى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحبسين : البيت . رب الآثر : العسى . وثار : مقيم . ويريد أنه مستور ، بمعنى مدفون . (٣) يريد « بالشيخ » : أبا العلاء . (٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أحوار الجواب يحيره : رده . (٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

(١)
 سَلَوْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَّوْا * إِلَيْهَا بِمَا تُعْطِيهِمْ وَتَمِيرُ
 حَيَاةُ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا * سَلَامًا وَأَسْبَابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
 أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحَرَا * وَكَذَاحَا وَلَوْ أَتَى الْبَقَاءَ يَسِيرُ
 تُحَاوِلُ رَفَعَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ وَاقِعٌ * وَتَطْلُبُ مُحَضَّ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
 وَلَوْلَا امْتِرَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
 وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ النَّبِيِّينَ لِلْهُدَى * وَلَمْ يَتَطَّلِعْ لِلسَّرِيرِ أَمِيرُ
 وَلَمْ يَعْشَقِ الْعَلِيَاءَ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْجُ الْبِرَّاءَ فَقِيرُ
 (٢)
 وَلَوْ كَانَ فِينَا الْخَيْرُ مُحَضًّا لَمَادَمَا * إِلَى اللَّهِ دَايِعٌ أَوْ تَبَلَّجَ نُورُ
 وَلَا قِيلَ هَذَا فَيَلْسُوفُ مُوَفَّقٌ * وَلَا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَيْرُ
 (٣)
 فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ * وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
 (٤)
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُتِلْتُ قَبْلَكَ هَاعِيَا * إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَى الظَّهِيرِ
 (٥)
 أَطَاعُوا (أَبَيْقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ * وَخُولِفْتُ فِيمَا أَرْتَنِي وَأُشِيرُ

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأنيبهم بالميرة ، وهي الطعام .

(٢) تبليج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع في قوله « شرور » آخر البيت لضرورة حركة الروي ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بمجار ومجرور : أوجره ، على مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد أبيقور الفيلسوف الإغريقي سنة ٣٤٢ ق م في جزيرة ساموس ، وأسس في أثينا مدرسة في حديقته منزله . وتوفي سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر بدعوته إلى طلب الذات في الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط : فيلسوف يوناني معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م إلى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه في اللغة بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعمده تنسب إليه ، منها مذهب اللذة .

(١) ومِتْ وما ماتت مطامع طامع * عليها ولا ألقى القباد ضمير
 إذا هدمت للظلم دور تسيدت * له فوق اكتاف الكواكب دور
 أفاض كلانا في النصيحة جاهدا * ومات كلانا والقلوب صخور
 فكم قيل عن كهف المساكين باطل * وكم قيل عن شيخ (المعرة) نور
 وما صد عن فعل الأذى قول مرسل * وما راع مقتوت الحياة نذير

رثاء رياض باشا^(٤)

أنشدنا على قبره في حفل الأربعين

[نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١ م]

(٥) (رياض) أفق من عمرة الموت واستمع * حديث الوردى عن طيب ما كنت تصنع
 أفق واستمع مني رثاء جمعه * تشاركني فيه البرية أجمع
 لتعلم ما تطوى الصدور من الأسى * وتنتظر مقروح الحشا كيف يجزع

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذمان والطاعة . والقياد بالكسر :
 الحيل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعرة ، هو أبو الغلاء المعري
 السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماء الناس في عقيدته
 ومذهبه بما هو برى منه . (٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأتزل ، وتولى عدة مناصب عالية في عهد إسماعيل
 وتوفيق وعباس الثانى ، وأُسندت إليه رئاسة مجلس النظائر ثلاث مرات ، وترك الحكم في ١٤ أبريل
 سنة ١٨٩٤ م ، وتوفي بالأسكندرية في ١٧ يونيو سنة ١٩١١ وكان معروفا بالعدل والشدة في تنفيذ
 الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء في تنظيم شؤون الداخلية . (٥) الغمرة : الشدة .

لئن تَكُ قد عُمِّرْتَ دَهْرًا لَقَدْ بَكَى * عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِ خَلَائِقُ أَرْبَعٍ :
 مَضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَعَزْمَةٌ * مِنَ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَضَى وَأَقْطَعَ^(١)
 رُحِمْتَ ، فَا جَاهُ يُنَوِّهُ فِي الْعِلَا * بِصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ^(٢)
 وَلَا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْيَبِضُ مَا جَدُّ * يُنَازِعُكَ الْبَابَ الَّذِي كُنْتَ تَقَرَّعُ^(٣)
 إِذَا قِيلَ : مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرِّ أَوَمَاتٌ * إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ الْغَرِيبِ أَضْبَعُ^(٤)
 وَإِنْ طَلَعْتَ فِي (مِصْرَ) شَمْسُ نَبَاهِيَةِ * فَمِنْ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ^(٥)
 حَكَمْتَ فَمَا حَكَمْتَ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى * طَرِيقَكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهْيَعُ^(٦)
 وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطِيشٍ وَلَكِنْ تَحْتَهُ * نَزَاهَةُ نَفْسٍ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ^(٧)
 وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ * وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطِيشِ يَلْمَعُ^(٨)
 إِذَا صَاحَ لَبَّاهُ الْقَضَاءُ وَأَسْرَعَتْ * إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
 يُنْذِلُ - إِذَا شَاءَ - الْعَزِيزَ وَتَرْتِي * إِرَادَتُهُ رَفَعَ الذَّلِيلَ فَيُرْفَعُ
 فِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ عَائِسٌ * تُدَكُّ جِبَالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعَزَعُ^(٩)

(١) الصارم المصقول : السيف المجلج . (٢) نوه به : رفع ذكره .

(٣) أومات : أشارت . (٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .

(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيه عما يدنس إرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس إذا أخذهم بالقسوة والعنف في تنفيذ الأحكام . (٦) يشير إلى معارضته (إسماعيل باشا) الخديوي عند ما أراد فني (إسماعيل باشا صديق) ، وكانت رياض باشا الرجل الوحيد الذي عارض في هذا النفي ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .

(٧) تدك : تهدم .

(١) وفي كَرَّةٍ مِنْ لَحِظِهِ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَسِيلُ بِحَارٍ بِالْعَطَاءِ فْتَمْرِعُ
 (٢) فَمَا أَظْبُ شَاكِي. الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ * يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَظْبُ أَرْوَعُ
 (٣) بِأَجْرًا مِنْ ذَلِكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا * إِرَادَةَ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتُ يُسْمَعُ
 (٤) وَفِي الثَّوَرَةِ الْكُبْرَى وَقَدْ أَحْدَقْتُ بِنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمَنِيَّةُ مَشْرَعُ
 (٥) نَظَرْتُ إِلَى (مِصْرٍ) فَسَاءَ لَكَ أَنْ تَرَى * حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تَنْزَعُ
 (٦) وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتِكَ خَذَرِهَا * فَفَارَقَتْهَا أَسْوَانٌ وَالْقَلْبُ مُوجَعُ
 (٧) وَعُدَّتْ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نِيْلُهَا : * أَقِلْ عَثَرِي فَالْقَوْمُ فِي الظُّلُمِ أَبْدَعُوا
 (٨) فَكُنْتُ (أَبَا مَحْمُودَ) غَوْنًا وَعِصْمَةً * إِلَيْكَ دُعَاةُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْزَعُ
 (٩) وَكَمْ نَابِغٍ فِي أَرْضِ (مِصْرَ) حَمِيَّتِهِ * وَمِثْلُكَ مَنْ يَجِيءُ الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ

- (١) تمرع، أى تفيض بالخصب والخير . (٢) الأظب : الأسد، لفظ رقبته . وشاكي العزيمة ،
 أى ذو شوكة وحدة في عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قربهِ .
 (٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالي : نوائها . والمشرع : المورد .
 (٥) المستطيلون : المتجهرون . (٦) الأسوان : الحزين .
 (٧) العثرة : الكدوة والذلة . وإفالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات
 الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوروبا ، عند ما ثار الضباط في عهد إسماعيل في ١٨ فبراير
 سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يرفق ٢٥٠٠ ضابط على
 سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فظاهروا أمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبار باشا
 رئيس النظارة (ولس) لكما وضربا ، وكادوا ينالون من الفقيد ، وكان وزيرا للداخلية في هذه الوزارة ؛
 وقد بنى الفقيد في أوروبا حتى دعاه المفقور له توفيق باشا لتولى رئاسة النظارة ، فعاد إلى مصر في ٣ سبتمبر
 سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله
 « وكَمْ نَابِغٍ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما
 ترك الآستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمتد به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها
 رخصت له في إلقاء محاضرات في الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من مله .

رَعَيْتَ (بِجَمَالِ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ * فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ^(١)
 وَقَدْ كَانَتْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا * وَفِي صَدْرِهِ كَنْزٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودَعُ^(٢)
 يَحْتَضِرُ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ * إِلَى أَلْمَعَى بِالْبَرَاهِينِ يَصُدِّعُ^(٣)
 قَهْرَكَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ * وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاؤُ الْمَضْجِعُ^(٤)
 وَوَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ) * بِجَاءَ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ وَيَنْقَعُ^(٥)
 وَكَانَتْ لِرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ * فَأَمْسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ^(٦)
 وَجَاءُوا (بِابْرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِفًا * عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ ثَوْبٌ مُرْقِعُ^(٧)
 فَأَلْفَيْتَ مِلَّةَ الثَّوْبِ نَفْسًا طُمُوحَةً * إِلَى الْمَجْدِ مِنْ أَطَارِهَا تَنْطَلِعُ^(٨)
 فَأَخْلَقْتَهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَقْتَهُ * وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
 وَكَمْ لَكَ فِي (مِصْرٍ) وَفِي (الشَّامِ) مِنْ يَدٍ * لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَنْضَوِعُ^(٩)

(١) الأفياء : الظلال؛ الواحد في .

(٢) ثاوريا : مقبلا .

(٣) الألعى ، الذكي المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهزها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه في سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة فى أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، مؤثلا للحق .

(٦) يريد بـ إبراهيم : إبراهيم الهلباوى بك الحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والحجى . به متبعا أمام رياض باشا ، فأنس منه رياض ما سر به فعاقبه ، وتولاه برعايته . (٧) نفسا طموحة ، أى مستشرقة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلاتاء فى آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تنضوع : تنتشر رائحتها .

رَفَعَتْ عَنِ الْقَلَّاحِ عِبَاءَ ضَرِيَّةٍ * يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامَ لَا غَوْثَ يَنْفَعُ^(١)
وَأَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَأَرْعَوْا * وَكَانُوا أَنَاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا^(٢)
خَفَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِتَجْوَةٍ * نَحْلَأُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَعُ^(٣)
أَقَمَّتْ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ * إِذَا سَوَّلَتْ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرْدَعُ^(٤)
سَلَّ النَّاسَ أَيَّامَ الرُّشَا مُسْتَفِضَّةً * وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الذِّى أَنْتَ تَزْرَعُ^(٥)
أَكَانَتْ (رِيَاضُ) عَنْهُمْ غَافِلٌ * يَرُدُّ الْأَذَى عَنْ أَهْلِ (مِصْرَ) وَيَدْفَعُ^(٦)
(أُمُوتَمَرَ الْإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدَمَضَى * (رِيَاضُ) وَأَوْدَى الْوَازِعُ الْمُتَوَرِّعُ^(٧)
وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسٍ * لَهَيْبَتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَحْشَعُ^(٨)
فِيَا وَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَسُدُّوا مَكَانَهُ * بِذِي مِرَّةٍ فِي الْخَطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ^(٩)

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الفناء رِيَاضُ بِأَشَا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألقي منها أربعة وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التي كان يتفجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانهى . وأضعوا في الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تشاروا . والتجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتدليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم

العامل ثمره عمله . (٦) يشير إلى أثر الفقيه في مؤتمر الإصلاح الذى انعقد في سنة ١٩١١ م ،

وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر في حال المسلمين الاقتصادية

والاجتماعية والأدبية . والثاني الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسبوط قبل ذلك

في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيه رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى :

ذلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتخرج . (٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المزة : القوة والعزيمة .

بَعِيدَ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَّا جَنَانُهُ * فَرَحْبٌ ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمُنْعٌ^(١)
 فَيَا نَاصِرَ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِذَا عَدَا * طَلِبَهُمْ زَمَانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُوَلِّعٌ^(٢)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَامَ بَيْنَنَا * وَزَيْرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبِّعُ^(٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد^(٤)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صَوُّنُوا بِرَاعٍ (عَلِيٍّ) فِي مَتَاحِفِكُمْ * وَشَاوِرُوهُ لَدَى الْأَرْزَاءِ وَالنُّوَبِ^(٥)
 وَأَسْتَلْهِمُوهُ إِذَا مَا الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ * يَوْمَ النَّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالنَّشَبِ^(٦)
 قَدْ كَانَ سَلَوَةً (مُضِرٍ) فِي مَكَارِهَا * وَكَانَ بَحْمَرَةً (مُضِرٍ) سَاعَةَ الْغَضَبِ^(٧)
 فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرِيقَتِهِ * مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ عَطَبِ^(٨)
 كَمْ رَدَّ عَنَّا وَصَيْنُ الْغَرْبِ طَائِحَةً * مِنْ الرِّزَايَا وَكَمْ جَلَى مِنَ الْكَرْبِ^(٩)

(١) الجنان : القلب . (٢) مولع : مغرم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد في باصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم في بلدة بني عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل إلى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها في ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ، وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتباً معروفاً بالجلد وقوة الحجّة ، وتولى مشيخة سبجادة الوفاية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

(١) له صريراً اذا جدد التّزال به * يُنسى الكُتابة صليل البيض والقُضْب
 (٢) ما ضرّ من كان هذا في أنامله * أن يشهد الحرب لم يسكن الى يلب
 (٣) فلو رآه (أبن أوس) ما قرأت له : * (السيف أصدق أنباء من الكتب)
 ألا فتى عربى يستقل به * بعد الفقيده ويحي حوزة الأدب
 (٤) ويمنع الحق أن يغشى تبلّجه * ما فى السياسة من زور ومن كذب
 أودى فتى الشرق، بل شيخ الصحافة بل * شيخ الوفاية الوضاح الحسب
 أقام فينا عصامياً فعلمنا * معنى الثبات ومعنى الحدّ والدأب
 (٥) وراح عنا ولم تبلّغ عزائمنا * مدى منها ولم تقرب من الأرب
 قالوا عجبتنا ليصر يوم مضرعه * وقد عجبت لهم من ذلك العجب
 (٦)

(١) صرير القلم : صوته فى الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكُتابة : الشجمان ؛ الواحد كى . (٢) اليب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع بقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائى المعروف بأبى تمام . والشرط الثانى من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسى حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* فى حده الحد بين الحد واللعب *

لحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلّجه ، أى يحجب إشرافه . (٥) العصامى : الذى ساد بنفسه لا يابأه ،

نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سؤدت عصاما *

والدأب فى العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبتنا .. الخ ، أى عجبتنا

لأهل مصر فى تلقينهم نعى الفقيده فى فنون وقلة اكتراث .

(١) إِنَّ الْأَلَى حَسِبُوهَا غَيْرَ جَارِعَةٍ * لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ كَثَبِ
 تَالِهٍ مَا جَهِلَتْ فِيهِ مُصِيبَتَهَا * وَلَا الَّذِي فَقَدَتْ مِنْ كَاتِبِ الْعَرَبِ
 (٢) لَكُنْهَا أَلِفَتْ وَالْأَمْرُ يَحْزُبُهَا * فَقَدَ الرَّجَالِ وَمَوْتَ السَّادَةِ النُّجُبِ
 (٣) وَعَلِمَتْهَا اللَّيَالَى أَنَّ تُصَارِيهَا * فِي الْحَاثَاتِ وَإِنْ أَمَعَنَّ فِي الْحَرْبِ
 (٤) كَمْ أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وَارْتَقَبُوا * مَوْتَ (الْمُؤَيَّدِ) فِينَا شَرُّ مُرْتَقَبِ
 وَإِنْ يَمُتْ يَمُتِ الْأَمَالُ فِي بَلَدٍ * لَوْلَا (الْمُؤَيَّدِ) لَمْ يَنْشَطْ إِلَى طَلَبِ
 (٥) صُبَابَةٍ مِنْ رَجَاءٍ بَيْنَ أَضْلُعِنَا * قَدْ بَاتَ يَرْشُفُ مِنْهَا كُلُّ مُغْتَصِبِ
 (٦) أَلَمْ يَكُنْ لَبْنِي (مِضِرٍ) وَقَدْ دُهُمُوا * مِنْ سَاسَةِ الْغَرَبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 كَمْ أَتَبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ رُفِعَتْ * فِيهِ مَنَايِرُ مِنْ نَظِيمٍ وَمِنْ خُطَبِ
 وَكَانَ مِيدَانُ سَبْقِ الْأَلَى غَضِبُوا * لِلدِّينِ وَالْحَقِّ مِنْ دَاجٍ وَمُحْتَسِبِ
 (٧) فَكَمْ يَرَاغُ حَكِيمٍ فِي مَشَارِعِهِ * قَدْ اتَّقَى يِرَاعِ الْكَاتِبِ الْأَرَبِ

(١) الكُتْب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون للأمور على حقائقها .

(٢) حَزَبَ الْأَمْرُ : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الْحَرْبِ (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أَرْجَفَ الْقَوْمُ : خاضوا في الأخبار

السئية على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شئ . (٥) الصَّبَابَةُ :

البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغضوب الحق . (٦) الضمير

في « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : المنتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (يفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

(١) أَيْ الصَّحَائِفِ فِي الْقُطْرَيْنِ قَدْ وَسِعَتْ * رَدَّ (الإمام) مُزِيلِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
(٢) أَيَّامَ يَحْصِبُ (هانوتو) بِفِرْيَتِهِ * وَجَهَ الْحَقِيقَةَ وَالْإِسْلَامَ فِي نَحْبِ
مَالِي أَعَدَّدُ آثَارَ الْفَقِيدِ لَكُمْ * وَالشَّرْقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
لَوْلَا (الْمُؤَيَّدُ) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى * تَنَاضُرٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلْمَةِ الْحُجُبِ
(٣) تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَصَمْتُهُمْ * رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامٌ غَيْرُ مُنْقَضِبِ
فِي مِصْرَ فِي تُونِسَ فِي الْهِنْدِ فِي عَدَنِ * فِي الرُّوسِ فِي الْفَرَسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبِ
هَذَا يَحْنُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عُدَّتْ * مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
(أَبَا بَثِينَةَ) نَمَّ يَكْفِيكَ مَا تَرَكَتْ * فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُحْتَسِبًا * فَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَاجُورًا وَفُزْ وَطِبْ
(٤) وَأَحْمِلْ يُجْنَاكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا نَشَرْتُ * تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَسِبَ

(١) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده. ويشير إلى رده على هانوتو الذي نشره في صحيفة المؤيد.

(٢) يحصب: يرمى. والفريّة: الكذبة. والنحب (بسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن):

أشدّ البكاء.

(٣) التناي: التباعد. ومنقضب: منقطع.

(٤) وانتسب، أي انتسب إلى تلك الصحيفة فهي حسبك من نسب.

رثاء على أبي الفتوح^(١) باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجامعة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

(٢) جَلَّ الْأَسَى فَتَجَلَّى * وَإِذَا أَبَيْتَ فَأَجْمَلِي

يَا مِصْرُ قَدْ أَوْدَى قَتَا * كِ وَلَا قَتَى إِلَّا (عَلِي)

قَدَمَاتَ نَائِغَةِ الْقَضَا * وَغَابَ بَذْرُ الْمُحْفِلِ

(٣) وَعَدَا الْقَضَاءُ عَلَى الْقَضَا * فَصَابَهُ فِي الْمَقْتَلِ

حَلَالُ عَقْدِ الْمُعْضِلَا * تِ قَضَى بِدَاءِ مُعْضِلِ

(٤) وَيَخِ الْكِخَانَةِ مَا لَهَا * فِي غَمْرَةٍ لَا تَتَجَلَّى

بَاتَتْ وَكَارِثَةٌ تَمُرُّ بِهَا وَكَارِثَةٌ تَلِي

يَا زَهْرَةَ الْمَاضِي وَيَا * رَيْحَانَةَ الْمُسْتَقْبَلِ

كُنَّا نَعِدُّكَ لِلشَّيْدَا * يُدِ فِي الزَّيْمَانِ الْمُقْبِلِ

(١) على أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد ببلقاس من أعمال الغربية في سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى أوروبا لتلق علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا، ولبت فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته في تقاريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث في المجلات الفرنسية، وعاد إلى مصر في سنة ١٨٩٥ م. وآخر منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف في ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م، وتوفي في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م. (٢) تجلَّى، أى لا تظهرى الجزع. وأجمل، أى أرفق، يخاطب مصر.

(٣) يريد « بالقضاء » الأول : الموت، والثاني : الفصل في الخصومات.

(٤) الغمرة : ما يغمر الناس، أى يشملهم من الخطوب والأرزاء.

يا لابس الخلق الكرى * يم المطمئن الأمثل

فأرقتنا في حين حا * جتنا ولم تتمهل

يا راميا صدر الصعا * ب رماك راى الأجل

يا حافظا غيب الصديد * بى ويا كريم المقول

أى المحامد غضة * ب هلاك لم تتجمل

تلهو لدأتك بالصبا * لهوا وأنت بمعزل

تسعى وراء الباقيا * ت الصالحات وتعتلي

بين المحابر والدفا * تر دائب لا تأتلي

أدركت علم الآخريد * بن وخرت فضل الأول

أدنى مرامك همة * فوق السماء الأعزل

وأجل قصيدك أن ترى * (مضرا) تسود وتعتلي

درج الأجابة بعد ما * تركوا الآسى والحزن لي

لم يحل لي من بعدهم * عيش ولسم أتعلل

(١) الأجل : الصقر، وهو معروف بالحذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب

أشد المخلوقات حذرا وحرما . (٢) المقول : اللسان . (٣) الغضة : الناضرة .

(٤) لدأتك : من ولدوا معك . (٥) لا تأتلي : لا تقصر . (٦) السماء : اسم يطلق

على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرايح ، رسمى أعزل ، لأنه لا شئ بين يديه من الكواكب ؛ وهو

من منازل القمر؛ والرايح ليس من منازل . (٧) درج الأجابة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كُلِّ حَايِمٍ وَقَفَّةٌ * حَرَّى عَلَى مُتَرَحِّلٍ
 (١)
 أَبْكِي بُكَاءَ الشَّائِكِلَا * تِ وَأَصْطَلِي مَا أَصْطَلِي
 لَمْ يُبْقِ لِي يَوْمُ الْفَقِيرِ * يَدِ عَزِيمَةٍ لَمْ تُفَلِّ
 (٢)
 يَوْمَ عَبُوسٍ قَدْ مَضَى * بَفَتَى أَغْرَ مُحْجَلٍ
 مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ * عِنْدَ الْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ
 (٣)
 لَمْ يَدْرِ مَا قَضَمَ الظُّهُو * رِ وَلَا أَنْخَزَالَ الْمَفْصِلِ
 يَا قَبْرُ وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ * تَ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
 (٤)
 عَهِسْتَ مِنْهُ نَضْرَةً * كَانَتْ رِيَاضَ الْمُجْتَلِيِ
 (٥)
 وَعَبَّتَ مِنْهُ بَطْرَةً * سَوْدَاءَ لَمَّا تَنْصَلِ
 يَا قَبْرُ هَلْ لَعَبَ الْبَلَى * بِلَطَافِ تِلْكَ الْأَمَلِ؟
 (٦)
 لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الطُّرُو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ
 لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الْجَدَا * لِ تَحُلُّ عَقْدَ الْمُشْكِلِ
 (٧)
 لَهْفِي عَلَيْهَا لِلرَّجَا * ءِ وَلِلْعَفَاةِ السُّؤْلِ

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : اصلهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يَا قَبْرُ ضَيْفُكَ بَيْنَنَا * قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤْمِلٍ
لَمْ يَنْقِضْ كِبَرًا بِنَا * دِيهِ وَلَمْ يَقْبَلْ
إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ * فَتَزَلْتُ أَكْرَمَ مَنَزِلٍ
وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ * فَوَرَدْتُ أَعَذَّبَ مِنْهَلٍ^(١)

رثاء فتحي وصادق

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يعزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالمًا

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤ م]

أُخْتُ الْكَوَاكِبِ مَا رَمَا * لِي وَأَنْتِ رَامِيَةُ السُّورِ؟^(٢)
مَاذَا دَهَاكَ وَفَوْقَ ظَهْرٍ * بَرِيكِ مَرِيضِ الْأَسَدِ الْمَصُورِ؟^(٣)
خَضَعْتَ لِأَمْرَتِهِ الرِّيَا * جُ مِنْ الصَّبَا وَمِنْ الدُّبُورِ^(٤)
فَقَدْ يُصَرِّفُ مِنْ أَعْيُنِهَا تَصَارِيفَ الْقَدِيرِ^(٥)
(فَتَحِي) وَهَلْ لِي إِنْ سَأَلْتُ * ت عَنْ الْمِصْبِيَةِ مِنْ مُحِيرِ؟^(٦)
وَيَلَاهُ هَلْ جَزَتْ الْحُدُودُ * د وَأَنْتِ تُخْتَرِقُ السُّتُورِ؟^(٦)

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب ، يخاطب الطائرة .

(٣) مريض الأسد : موضع ربوضه ، أى برزكه . والمصور : الذى يهصر فريسته ، أى يكسرها .

(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المحير : المحجب .

(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم

الأرض ، واخترت الحجب التى بينهما ؟

(١)
 فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّمَاءِ * وَتِلْكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ
 (٢)
 أَمْ فَارَ مِنْكَ السَّابِحَا * تَ وَأَنْتَ تَسْبِجُ فِي الْأَثِيرِ
 حَسَدَتَكَ حِينَ رَأَيْتَكَ وَحْدًا * لَمْ تَكُ تَمَّ كَالْفَلَكَ الْمُنِيرِ
 (٣)
 وَالْعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَذُ * فُذُّ فِي التَّرَائِبِ وَالنُّجُورِ
 حَاوَلْتَ أَنْ تَرِدَ الْمَجَرَّةَ * وَالْوُرُودُ مِنَ الْعَسِيرِ
 فَوَرَدْتَ يَا (فَتَحَى) الْجَمَا * مَ وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ
 وَهَوَيْتَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ * هِ وَهَكَذَا مَهْوَى الْبُذُورِ
 إِنْ كَانَ أَعْيَاكَ الصُّعُورُ * دُ بِذَلِكَ الْجَسَدِ الظُّهُورِ
 فَأَسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحَدَا * وَأَصْعَدْ إِلَى الْمَلِكِ الْكَبِيرِ
 (٤)
 إِنْ رَاعِنَا صَوْتُ النَّعْيِ * وَفَاتِنَا نَبَأُ الْبَشِيرِ
 فَلَعَلَّ مَنْ صَنَّتْ يَدَا * هُ عَلَى الْكِنَانَةِ بِالسُّرُورِ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا * فِي حِفْظِ صَاحِبِكَ الْآخِرِ
 بَاتَتْ تُرَاقِبُ فِي الْمَشَا * رِقَى وَالْمَغَارِبِ وَجَهَ (نُورِي)

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشبهها المرسله عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى في هذا

البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم في تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفرعنا .

رثاء الدكتور شبلي شميل^(١)

أنشدتها في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ * إِنَّ ذَاكَ السُّكُونُ فَصْلُ الْخُطَابِ
لَقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَاتْرُكُوا الْمَرْءَ * لَدَيَّ أَنَّهُ فَسِيحُ الرُّحَابِ
حَزَنَ الْعِلْمُ يَوْمَ مِتَّ وَلَكِنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَنِيعَةَ الْمُرتَابِ^(٢)
كَنتَ تَبْنِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرْضِ * وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ الْأَبَابِ
فَاسْتَرَحْ أَيُّهَا الْمُجَاهِدُ وَاهْدَأْ * قَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَ تَحْتَ التُّرَابِ
وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَأَنْبَلَجَ الْحَقُّ لَعِينَتِكَ سَاطِعًا كَالشُّهَابِ^(٣)
لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةَ * بَيْنَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَأَرْتِيَابِ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشُّكِّ * فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَدَأُ الصَّوَابِ
كَمْ سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عَاشَ فِي الْبَحْثِ طَارِقًا كُلَّ بَابِ
أُطْلِقَ الْفِكْرَ فِي الْعَوَالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًّا يُرِيغُ هَتَكَ الْحِجَابِ^(٤)

(١) الدكتور شبلي شميل ، هو الطبيب اللبناني نزيل مصر ، وكان من أشهر الأطباء . ولد في نحو سنة ١٨٥٠ م ، في قرية كفر شيبا من قرى ساحل لبنان ، وهي القرية التي ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجي . وتعلم العلوم الطبيعية والطب في كلية الأمريكان ببغداد وأتم علومه في أوروبا . وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة ، وله من الآراء المتعاقبة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه ، وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته تلك . ومن أشهر كتبه : كتاب (النشوء والارتقاء) . وتوفي سنة ١٩١٧ م .

(٢) المراتب : الشاك في العقيدة . (٣) انبلج : أضاء وأشرق . (٤) يرغ : يطلب .

يَقْرَعُ النَّجْمَ سَائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ إِلَى الْأَرْضِ بَاحِثًا عَنْ جَوَابِ
 أَعْجَزْتَهُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَسْبَا * بَطَّوَاهَا مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ
 وَقَفَّتْ دُونَهَا الْعُقُولُ حَيَارَى * وَأَنْتَنَى هَبْرَزِيهَا وَهُوَ كَابِي^(١)
 لَمْ يَكُنْ مُلِحِدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى * لَشُؤُونِ الْمُهَيِّمِينَ الْوَهَابِ
 رَامَ إِدْرَاكَ كُنْهِهِ مَا أَعْجَزَ النَّاسَ * سَقَدِيمًا فَلَمْ يَقْضَ بِالطَّلَابِ
 إِلَيْهِ شَيْئًا قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ أَلْ * يَقُولُ حَتَّى تَفْتَنُّوا فِي عِتَابِي
 قِيلَ : تَرَى ذَاكَ الَّذِي يُنْكِرُ النَّوْ * رَوَلَا يَهْتَدِي بِهِدْيَ الْكِتَابِ؟
 قُلْتُ : كُفُّوا فَإِنَّمَا قُتُّ أَرَى * مِنْهُ خِلَا أَمْسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
 أَنَا وَاللَّهِ لَا أُحَاطِيهِ فِي الْقَوِ * لِ فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحَاطَى
 أَنَا أَرَى شِمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي * كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُذَابِ^(٢)
 كَانَ حُرَّ الْأَرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْخَدَّ * لَ وَلَا يَسْتَيْبِحُ غَيْبَ الصَّحَابِ^(٣)
 مُفْضِلًا مُحْسِنًا عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ * يَرِ جَمِيعَ الْفُؤَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ^(٤)
 عَاشَ مَا عَاشَ لَا يُلِيقُ عَلَى الْإِيْتَامِ مَا لَا وَلَمْ يَلِنْ لِلصَّعَابِ^(٥)
 كَانَ فِي الْوَدِّ مَوْضِعَ الثَّقَةِ الْكُتْبِ * بَرَى وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ

(١) الهبرزي : المقدام . والكابي : العاثر المتكبر على وجهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الخذل : الخداع . (٤) المفضل :

المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوايب . (٥) يقال : فلان لا يليق درهما

لسخطه . أى لا يمسه .

نَكَبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى * وَأَصِيبَتْ رَوَائِعُ الآدَابِ
(١)
وَحَلَا ذَلِكَ النَّدَى مِنَ الْأَذَى * سِيسَ وَقَدْ كَانَ مَرَّتَعِ الصُّكُتِ
(٢)
وَبَكَتْ فَقْدَهُ الشَّامُ وَنَاءَتْ * فَوْقَ مَا نَابَهَا بِهَذَا الْمُصَابِ
(٣)
كُلَّ يَوْمٍ يَهْدُ رُكْنَ مِنَ الشَّأْ * م، لَقَدْ آذَنْتَ إِذَا بِالْخَرَابِ
(٤)
فَهِيَ (بِالْيَازِجِي) وَ (جُرْجِي) وَ (شَبْلِي) * فُجِعَتْ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقْطَابِ
فَمَلَى الرَّاحِلَ الْكَرِيمَ سَلَامٌ * كُلَّمَا غِيبَ الثَّرَى لَيْثٌ غَابَ

رثاء جورجى زيدان^(٥)

سنة ١٩١٤

دَمَانِي رِفَاقِي وَالْقَوَافِي مَرِيضَةٌ * وَقَدْ عَقَدْتُ هُوجُ الْخُطُوبِ لِسَانِي
(٦)
بِفَتْحُتُ وَبِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ أَسَى * وَمِنْ كَيْدٍ قَدْ شَفَّنِي وَبَرَانِي

- (١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناء بالحلل : نهض به مع جهد ومشقة وتناقل .
(٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبناني المعروف . (انظر
التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجى ، جورجى زيدان (وسياقى
التعريف به فى الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان فى بيروت عاصمة لبنان
فى سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم فى مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من
عمره ، غير أن ميله الى العلم والأدب جعله لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل اليه يده
من الكتب ، وإما بتقريبه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة
الهلل المعروفة . وكانت وفاته فى أغسطس سنة ١٩١٤ م ، وتأليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ،
(تاريخ التمدن الإسلامى) ، و (تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافى :
كناية عن قلة مواعاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب فى ثورانها وتقلبها واشتداد
وقعها بالرياح الموحج ، وهى التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلَيْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتْلَهًفًا * عَلَى رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي ^(١)
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً؟ * مِنَ الْقَلْبِ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي ^(٢)
 كَفَانِي مَا لَقِيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى * وَمَا نَأْنِي يَوْمَ (الإمام) كَفَانِي
 تَفَرَّقَ أَحِبَابِي وَأَهْلِي وَأَنْحَرْتُ * يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَانْتَظَرْتُ أَوَانِي ^(٣)
 وَمَالِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَفَالَتِي * وَمَالِي قَرِيبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَانِي
 أَرَانِي قَدْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ صُحْبَتِي * وَتَقْصِيرُ أَمْثَالِي جِنَايَةٌ جَانِي ^(٤)
 فَلَا تَعْذِرُونِي يَوْمَ (فَتَحَى) فَلَانِي * لِأَعْلَمُ مَا لَا يَجْهَلُ الثَّقَلَانِ ^(٥)
 فَقَدْ غَابَ عَنَّا يَوْمَ غَابَ وَلَمْ يَكُنْ * لَهُ بَيْنَ هَالَاتِ النَّوَائِجِ ثَانِي ^(٦)
 وَفِي ذِمَّتِي (الْيَازِجِيَّ) وَدَيْعَةً * وَأُخْرَى (لَزِيدَانَ) وَقَدْ سَبَقَانِي

(١) يبيض : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .

(٢) يريد « بالإمام » : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد « بفتحى » : أحمد فتحي زغلول باشا العالم القانوني المعروف ، ولد في سنة ١٨٦٣ م ببيانة من أعمال مركز فوة ؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحفانية . وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة من اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدني . وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه في ذلك .

(٥) الهالة : دائرة القمر التي تحيط به . (٦) يريد « باليازجي » : الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ؛ ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم . وتوفي سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ؛ الأولى في سنة ١٨٩٧ م والثانية في سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولَانِ فِي الثَّرَى * إِذَا التَّقْيَا يَوْمًا وَقَدْ ذَكَرَانِي
 وَقَدْ رَمَى بِالطَّرْفِ بَيْنَ جُمُوعِكُمْ * وَلَمْ يَشْهَدَا فِي الْمَشْهَدَيْنِ مَكَانِي
 أَيْتُّلُ بِهَذَا الْعُقُوقُ وَإِنَّمَا * عَلَى غَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ قَدْ عَرَفَانِي
 دَعَانِي وَفَانِي يَوْمَ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ * ضَمِينًا وَلَكِنِ الْقَرِيبُضَ عَصَانِي^(١)
 وَقَدْ تُخْرِسُ الْأَخْزَابُ كُلَّ مُفَوِّهِ * يُصَرِّفُ فِي الْإِنْشَادِ كُلَّ عَنَانِ
 أَأَنْسَاهُمَا وَالْعِلْمُ فَوْقَ ثَرَاهُمَا * تَتَكَسَّسُ مِنْ أَعْلَامِهِ عِلْمَانِ^(٢)
 وَكَمْ قُزْتُ مِنْ رَبِّ (الْهَلَالِ) بِحِكْمَةٍ * وَكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّيَاءِ) بَيَانِي^(٣)
 (أَزِيدَانُ) لَا تَتَبَعْدُ وَتِلْكَ عُلَالَةٌ * يُنَادِي بِهَا النَّاعُونَ كُلُّ حُسَانِ
 لَكَ الْأَثَرُ الْبَاقِي وَإِنْ كُنْتَ نَائِيًا * فَأَنْتَ عَلَى رَغَمِ الْمَنِيَّةِ دَانِي^(٤)
 وَيَا قَبْرَ (زَيْدَانِ) طَوَيْتَ مُؤَرَّخًا * تَجَلَّى لَهُ مَا أَضْمَرَ الْفَتْيَانِ^(٥)
 وَعَقْلًا وَلَوْعًا بِالْكُنُوزِ فَإِنَّهُ * عَلَى الدَّرِّغَوَاصِ يَتَجَرَّ (عُمَانِ)^(٦)
 وَعَزَمًا شَامِيًا لَهُ أَيْتَمَا مَضَى * شَبَا هِنْدُوَانِيَّ وَحَدُّ يَمَانِي

- (١) المفوّه : المنطيق . والعنان : سير الجمام . ويريد بقوله « يصرف في الإنشاد... الخ » : أنه يذهب فيه كل مذهب .
- (٢) رب الهلال : جورجي زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم اليازجي . والحلال والضياء : صحيفتان معروفتان .
- (٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده إذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلّى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .
- (٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمناصير اللؤلؤ . (٦) شبا هندوانى ، أى سن رخ منسوب الى الهند . وحد يمانى ، أى حد سيف مصنوع باليمن .

(١)
وَكَفًّا إِذَا جَاءَتْ عَلَى الطَّرِيسِ جَوْلَةٌ * تَمَّائِلَ إِعْجَابًا بِهَا أَلْبَدَانُ
(٢)
أَشَادَتْ بِذِكْرِ الرَّاشِدِينَ كَأَنَّمَا * فَتَى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِتُ الْحَرَمَانُ
(٣)
سَأَلْتُ حُمَاةَ النَّشْرِ عَدَّ خِلَالِهِ * فَمَالِي بِمَا أَعْيَا الْقَرِيضَ يَدَانُ

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا^(٤)

أنشدها في الحفل الذى أقيم لنا بينهما في مدرسة القصر العيني في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م
(٥)
لَا مَرَجَّبَا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُّ * لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلْأَسَاةِ ذِمَامُ
فِي مُسْتَهْلَكِ رُغْنَابِ مَاتَمِ * لِلنَّافِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ
عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِ (مِصْرَ) طَوَاهُمَا * فِيكَ الرَّدَى فَبَكَّتُهُمَا (الْأَهْرَامُ)
غَيَّبَتْ (شُكْرَى) وَهُوَ نَائِيهِ عَصِيرِهِ * وَأَصَابَتْ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد « بالراشدين » :
خلفاء الإسلام ، و « فتى القدس » : الفقيه . والحرمَان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيه أثنى على
الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم في كتبه ، فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطيني . (٣) تقول : مالى
يد هذا الأمر ، اذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى أعجز الشعر .

(٤) الدكتور إبراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة
في ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب في مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية
كان آخرها رئاسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته الى المعاش كان يقضى الصيف في أوربا
والشتاء في مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو في أوربا دون عودته الى وطنه ، ف قضى السنين الأخيرة
بعيدا عنه الى أن توفي في ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فمهندس كان طبيباً خاصاً
بأمراض النساء ، وله في هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه في مدرسة الطب . وكانت ولادته
في نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته في مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأطباء ؛
الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدَيْهِمَا * وَالطَّبُّ نَبَتْ لَمْ يَجِدْهُ غَمَامٌ^(١)
 وَالنَّاسُ بِالْغَرْبِ فِي تَطْيِيبِهِ * وَلِعُوا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
 حَتَّى آتَبَرَى (شُكْرَى) فَأَثَبَتْ سَبْقَهُ * أَنْ أَبْنَ (مِصْرَ) مُجَرَّبٌ مِقْدَامُ
 وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمُ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ * أَنْ الْعَرِينَ يَحُلُّهُ ضِرْغَامُ^(٢)
 وَتَرَسَّمِ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا * فَأَنْشَقَّ مِنْ عَالَمَيْهِمَا أَعْلَامُ^(٣)
 قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ * فَوْقَ السَّمَاءِ فَبَرَّتِ الْأَقْسَامُ^(٤)
 وَغَدَتْ رُبُوعُ الطَّبِّ تَحْكِي جَنَّةً * فِيهَا (لُبْقِرَاطُ) الْحَكِيمِ مَقَامُ
 وَرَأَى حَيْلُ النِّيلِ أَنَّ أَسَاتِهِ * بَدُّوا الْأُسَاةَ فَلَمْ يَرَوْهُ سَقَامُ^(٥)
 يَا (مِصْرُ) حَسْبُكَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الْمُنَى * صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
 وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتَ إِلَى الْعَلَا * وَعَلَى الْوَلَاءِ - كَمَا عَلِمْتَ - أَقَامُوا
 وَمَدَدْتَ صَوْتِكَ بَعْدَ طُولِ خُفُوتِهِ * فِدَعَا بِعَافِيَةٍ لَكَ الْإِسْلَامُ
 وَرَفَعْتَ رَأْسِكَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ النَّهْيِ * بَيْنَ الْمَالِكِ حَيْثُ تُنْحَنِي الْهَامُ^(٦)
 كَمْ فِيكَ جَرَاحٍ كَأَنَّ يَمِينَهُ * عِنْدَ الْجِرَاحَةِ بَلَسَمَ وَسَلَامُ^(٧)

(١) جاده النمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .
 (٣) فانشق من عليهما أعلام ، أى تخرج عليهما في الطب أمثالهما في النبوغ . (٤) السماء : اسم
 لكوكبين تقدم الكلام عليهما في حواشي هذا الديوان . (٥) بدوا الأساة : غلبوهم وفاقوهم
 في الطب . (٦) الهام : الروس . وإحنا الهام : تخاية عن التصاغر والانتكسار والتسليم للنصم .
 (٧) يلاحظ أن الأرجح في قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ،
 ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين في جزمه « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :
 « كم تجود مقرف نال الغنى » .
 والبسم : دواء تضد به الجراح .

(١) قَدْ صَبَغَ مَبْضَعُهُ وَإِنْ أَجْرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بِفَرْيُحِهِ بَسَامُ
 وَمُوقِقِ جَمِّ الصَّوَابِ إِذَا أَلْتَوَى * دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتِ الْأَفْهَامُ
 (٢) يُلْقِي بِسَمْعٍ لَا يَحُونُ إِذَا هَفَّتْ * أُذُنٌ وَخَارَتِ الْمِسْمَعِينَ صِمَامُ
 (٣) وَإِذَا عُضَالُ الدَّاءِ أَهَبَهُمْ أَمْرُهُ * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَيْبِهِ الْإِبْهَامُ
 يَسْتَنْطِقُ الْآلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ * نَحْسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْآلَامُ
 (٤) كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا * وَثَنَى عِنَانَ الْمَوْتِ وَهَوَزُؤَامُ
 (٥) وَمُطَبِّبٍ لِلْعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلُهُ * نُورًا إِذَا غَشَى الْعُيُونَ قَتَامُ
 (٦) وَكَأَنَّ إِثْمِدَهُ ضِيَاءُ ذَرَّةٍ * (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَأَنْجَلَى الْإِظْلَامُ
 (٧) وَمُطَبِّبٍ لِلطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ لَهُ * سِنَّةٌ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ فِطَامُ
 يَشْكُو السَّقَامَ بِنَظَرِيهِ وَمَالِهِ * غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْأَنْبِيَنِ كَلَامُ
 (٨) فَكَمْ أَسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَنَّمَا * فِي نَظَرَتَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِلْهَامُ
 وَمَوْلِدِهِ عَرَفَ الْأَجِنَّةُ فَضْلَهُ * إِنَّ أَعْسَرَتْ يَوْلَادِهَا الْأَرْحَامُ
 كَمْ قَدْ أَنَارَهَا بِحَالِكَةِ الْحَشَا * سُهْلًا تَضِلُّ سُلُوكَهَا الْأَوْهَامُ

- (١) المبضع : المشرط . (٢) المسمعان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطبيب يمس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكفى بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكريه المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذي تكحل به العين . والقَتَامُ : الظلام . (٦) الإثمِد : الكحل . ويشير « عيسى بن مريم » عليه السلام : إلى ما أجراه الله على يده من إبراء الأكمة . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى بأذن الله) . (٧) يدرج : يمشى . (٨) الضمير في (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

(١)
لولا يَدَاهُ سَطَا عَلَى أَبْدَانِهَا * كَرَبُ الْخَاضِ وَشَفَهَا الْإِيلَامُ
فَبِهَوْلَاءِ الْغُرِّيَا (مِصْر) أَهْنَيْ * فَبِمِثْلِهِمْ نَتَفَاخَرُ الْآيَامُ
وَعَلَى طَيِّبَيْكَ الَّذِينَ رَمَاهُمَا * رَامِيَ الْمُنُونِ تَحِيَّةً وَسَلَامُ

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى

أنشدها عند دفنه

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أَيْدِرِي الْمُسْلِمُونَ بَمَنْ أَصِيبُوا * وَقَدْ وَارَوْا (سَلِيًّا) فِي التُّرَابِ
(٢)
هَوَى رُكْنُ الْحَدِيثِ فَأَيُّ قُطْبٍ * لَطْلَابِ الْحَقِيقَةِ وَالصُّوَابِ
(٣)
(مَوْطَأَ مَالِكٍ) عَزَّ (البُخَارِي) * وَدَعَّ لِلَّهِ تَعَزِيَّةً (الْكِتَابِ)
(٤)
فَا فِي النَّاطِقِينَ فَمَ يُوقَى * عَزَاءَ الَّذِينَ فِي هَذَا الْمُصَابِ
(٥)
قَضَى الشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ وَهُوَ يَمْلِي * عَلَى طُلَايِهِ فَضَّلَ الْخُطَابِ

- (١) شفها : هنطا . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى في سنة ١٢٤٨ هـ في محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعليمه في الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخا لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخا ونقيا للسادة المالكية ، ثم اختير عضوا في مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله في سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .
- (٣) كان الفقيه مشهورا بتبحره في علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، تاب لمالك بن أنس في الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد « البخاري » : كتاب الجامع الصحيح الذي وضعه الإمام البخاري محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التي كان يدرسها الفقيه مضطلعا بها .
- (٥) قضى : مات .

(١) وَلَمْ تَنْقُصْ لَهُ التَّسْعُونَ عَزْماً * وَلَا صَدَّتْهُ عَنْ دَرْكِ الطَّلَابِ
 وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتَهُ اللَّيَالِي * وَلَا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشُّبَابِ
 أَشْيَخَ الْمُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الْأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوَابِ
 لَقَدْ سَبَقَتْ لَكَ الْخُسْنَى فَطُوبَى * لِمَوْقِفِ شَيْخِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
 إِذَا أَلْقَى السُّؤَالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ لِلْجَوَابِ
 وَنَادَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِنَّا * نُزَكِّي مَا يَقُولُ وَلَا نُحَايِ
 قَفُّوا يَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَأَبْكُوا * وَرَوْوَا لِحَدِّهِ قَبْلَ الْحِسَابِ
 فَهَذَا يَوْمُنَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الْخِضَابِ
 عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَقَفًّا * وَأَهْلِيهِ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل^(٥)

[نشرت في أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

دُكَّ مَا بَيْنَ صُحُوفٍ وَعَشَى * شَاخٍ مِنْ صُرُوجِ (آلِ عَلِيٍّ)^(٦)
 وَهَوَى عَنْ سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلَكٌ * لَمْ يُنْمِغْ بَعْثُهُ الذَّهَبِيَّ^(٧)

- (١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد « بالملق » : الملك الذي يتولى حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان إلى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة . (٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول . (٦) دك : هدم . وآل علي ، أي آل محمد على جد الأسرة المالكة . (٧) يريد « بسماوة العرش » : أعلاه . والملك (يسكون اللام) ، لغة في الملك (بكرها) .

قَدْ تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
 أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْيَكَاةَ بَارِدٍ * هَا وَيَقْضِي لَهَا بُلْطِفٍ خَفِي؟
 لَمْ تَكَدْ تُذِرْكَ النُّفُوسَ مُرَادًا * فِي زَمَانِ الْمَتَوِّجِ الْعَلَوِيِّ^(١)
 لَمْ تَكَدْ تَبْلُغِ الْبِلَادُ مِنْهَا * تَحْتَ أَفْيَاءِ عَذْلِهِ الْكُسْرِيِّ^(٢)
 لَمْ يَكَدْ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ * مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاتِمِي^(٣)
 حَجَبَ الْمَوْتُ مَطْلَعَ الْجُودِ يَا (مُصْ) * بِجُودِي لَهُ بَدَمْعٍ سَبْغِي^(٤)
 وَمَضَى وَاهِبُ الْأَلُوفِ فَوَلَّتْ * يَوْمَ وَلَّى بَشَاشَةُ الْأَرِيحِيِّ^(٥)
 وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلٌ * لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَمِيِّ^(٦)
 كَمْ تَمَنَّى لَوْ عَاشَ حَتَّى يَرَانَا * أُمَّةٌ ذَاتَ مَنَعَةٍ وَرُقَى
 غَالَهُ الضَّعْفُ حِينَ شَمَّرَ لِلْإِصْدَ * بِمَلَايِجٍ فِي مُلْكِهِ بَعَزِيمٍ فَتِي
 حَبَسَ الْخَطْبُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْقَوَى * لِ وَأَعْيَا قَرِيحَةَ الْعَبْقَرِيِّ^(٧)
 وَإِذَا جَلَّتْ أَلْخَطُوبُ وَطَمَّتْ * أَعْجَزَتْ فِي الْقَرِيضِ طَوَقَ الرُّوِيِّ^(٨)
 إِنَّ شَرَّ الْمَصَابِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَ * سَعَ وَرَاعَ الْمُفَوِّهِينَ نَبِيَّ

(١) الأفياء : الظلال . وكسروى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .

(٢) الحاتمي : نسبة الى حاتم الطائي المعروف بالجوهر . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحي : الواسع الخلق الذي يرتاح للعروف .

(٤) العتي : الظالم المنجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطوق . والعي : عدم القدرة على الكلام .

مَلَفَ نَفْسِي عَلَى أَنْبِساطِكَ لِلضِّيَاءِ * فِي وَذْيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهْبِ
 (١)
 يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي * فَوْقَ زَاهِي إِسْطَاطِكَ الْأَحْمَدِي
 (٢)
 خَلَقَ مِثْلَهَا نَشَقَّتْ أَرْيَجَ الزُّهْرِ * هَرِيرَ جَادَتِهِ زَوْرَةُ الْوَسْمِي
 (٣)
 وَاهْتَرَأَ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتِرَازِ السَّيْفِ * فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكَمِي
 وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي * تَجَمَّلَ السَّائِلُ الْكَرِيمِ الْأُمِّي
 (٤)
 وَاخْتِبَارُ يَتْنِي عِنَانَ الْعَوَادِي * وَوَقَارُ يَزِيدُنْ صَدْرَ الْبَنَدِي
 رَحِمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالًا * فَيْكَ لَمْ يَحْتَمِعَنَّ فِي نَفْسِ حَي
 يَا كَرِيمًا حَلَلْتَ سَاحَ كَرِيمٍ * وَضَعِيفًا حَلَلْتَ سَاحَ الْقَوِي
 (٥)
 قَدْ كَفَاكَ الشُّهَادُ فِي الْعَيْشِ فَأَهْنَأُ * يَا أَلَيْفَ الضَّنَى بَنُومَ هَنِي
 وَتَجِ (مُضِرٍ) فَأَيُّ خَيْطٍ رَجَاءٍ * قَطَعَتْهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّبِيِّ

(١) البساط الأحمدى، يكنى به عن سهولة الجانب ومماحته وعدم الكلفة.

(٢) نشقت: شمت. وأريج الزهر: ريحه. والوسمي: مطر أول الربيع.

(٣) الاهترأ للعرف: كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء. والكمي: الشجاع.

(٤) يتن عنان العوادي، أى يصرف حوادث الأيام ويردها عن قصدتها. والبندى: مجتمع القوم.

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى» إلى ما كان يعانيه الفقيد في آخر أيامه من مرض وأرق.

رثاء باحثة البادية^(١)

[نشرت في سنة ١٩١٨ م]

(مَلَك) النَّهْيَ لَا تَبْعِدِي * فَاتَّخِذِي فِي الدُّنْيَا سَيْرَ
 لَمْنِي أَرَى لَكَ سِيرَةً * كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهَرَ^(٢)
 رَبِّي أَبُوكَ النَّاشِئُ * مَنْ فَعَّاشَ تَحْمُودَ الْأَثَرِ
 وَسَلَّكَتِ أَنْتِ سَبِيلَهُ * فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصَّغَرِ^(٣)
 رَبِّيْتِهِنَّ عَلَى الْفَضِيِّ * لَمَّةٌ وَالطَّهَارَةُ وَالْخَفَرِ^(٤)
 وَعَلَى أَتْبَاعِ شَرِيعَةٍ * نَزَلَتْ بِهَا آيُ السُّورِ
 فَلَبِيتُكُمْ فَضْلٌ عَلَى الْ * أَحْيَاءِ أَنْتِي أَوْ ذَكَرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ إِنْ نَثَرُ * تِ وَدَّرُ (حَفْنِي) إِنْ نَثَرُ
 قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً * فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْحَضَرِ^(٤)

(١) باحثة البادية ، هي السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقّت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم في مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت في سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكتاتيب والباحثات ، بذلت جهدا كبيرا في الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفر على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها في كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ في هذه القصيدة .

(٢) أَرْجِه : طيبه . (٣) الخفر : شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : « في البدو الخ » : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطابة : الماهرة الخاذقة بعملها .

(١)
 سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُوفِ * رِيسُودَتْ أَهْلَ الْوَبْرِ
 غَرِيْبَةٌ فِي عَالِمِهَا * مَرْمُوقَةٌ بَيْنَ الْأَسْرِ
 شَرْقِيَّةٌ فِي طَبْعِهَا * مَخْدُورَةٌ بَيْنَ الْجَحْرِ
 بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُوفِ * سِيسُ تَحُطُّ آيَاتِ الْعِبَرِ
 وَتُرِيكَ حِكْمَةً نَائِيَةً * عَرَكَ الْحَوَادِثَ وَآخَتَبَرِ
 فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخِ * تَطْهُو الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
 وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَحِيَّةً * طُطُ وَتَرْتَضِي وَخَزَا الْإِبَرِ
 نَحَرَتْ بِوَالِدِهَا وَوَا * لِدِهَا بِحِلْيَتِهَا أَفْتَخَرِ
 بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا * لَا بِاللَّائِي وَالْذُّرَرِ
 فَانْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا * بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
 وَاقْرَأْ (مُحَاضَرَةَ الْجَرِيدِ * مَدَّةً) وَالْمَقَالَاتِ الْغُرَرِ
 وَأَرْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعَتْ * عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْكُتُبِ

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التي يكتب فيها . (٣) على قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ، وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما ، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثاني ، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمريهم المنعقد بأسسوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا ، وقد ألفت الفقيدة محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَمَلَّمْ بَأَنَا قَدْ فَقَدَ * نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
 ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ فِي آغْيَا * لِ شَبَابِهَا لَا يُغْتَفَرُ
 يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لِصْد * رَ) وَلَمْ تُغَيِّبْهَا الْخَفَرُ
 كَانَتْ مِثَالًا صَالِحًا * يُرْجَى وَكَثَرًا يُدْخَرُ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا * تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصُّبَا * نَةً وَالْعَقَافَ عَلَى سَفَرِ
 لَا وَازِعٌ - وَقَدْ أَنْطَوْتُ * (مَلَكٌ) يَقْبِهُنَّ الضَّرَرُ^(١)
 لَا كَانَ يَوْمُكَ يَوْمَ لَا * حَ الْحُزْنَ مُخْتَلِفَ الصُّورِ
 عَلِمْتُ هَاتِفَةَ الْقُصُورِ * رِ نُوحَ هَاتِفَةِ الشُّجَرِ^(٢)
 وَتَرَكْتُ أَتْرَابَ الصُّبَا * حُزْنَا يُقَطِّعُنَ الشُّعْرَ^(٣)
 يُمْكِنُ عَهْدِكَ فِي الصُّبَا * حَ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السَّحَرِ
 وَتَرَكْتُ شَيْخَكَ لَا يَبِي * هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ^(٤)
 ثَمَّ لَا تُرْتَحِّهِ الْهَمُّ * مُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ^(٥)
 كَالْفَرَجِ هَزْنَتُهُ الْعَوَا * صِفُ فَالْتَسَوَى ثُمَّ أَنْكَسَرَ

- (١) الوازع : الزاجر . (٢) يريد « بهاتفة القصور » : الباكية من النساء ، و « بهاتفة الشجر » :
 النائحة من الطير . (٣) أتراب الإنسان : لداته ؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .
 (٤) يريد « بالشيخ » : أباها . ويشير بقوله « هل غاب زيد » ... الخ الى ما كان أبوها مشتهرا به
 من علم النحو واللغة وما اليهما من علوم العربية ، وذلك لأن مدار الأمثلة في النحو على « زيد » .
 (٥) ترتحه : تَمِيلُهُ هُنَا وَهُنَا .

(١) أو كالبناء يُريدُ أنْ * يَنْقُضَ مِنْ وَقْعِ الْخَوَرِ
 قد زَعَزَعَتْهُ يَدُ الْقَضَا * وَزَلْزَلَتْهُ يَدُ الْقَدَرِ
 أَنَا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ الْبَلِي * مِنْ وَلَا الْبَنَاتِ عَلَى الْكِبَرِ
 لَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ * مَتُ فَوَادَهُ وَقَدْ أَنْفَطَرَ^(٢)
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ كَادَ يُخْ * سِرْقُ زَائِرِيهِ إِذَا زَقَرَ
 وَشَهِدْتُه أَنِّي خَطَا * خَطْوًا تَجَبَّلَ أَوْ عَثَرَ
 أَذْرَكْتُ مَعْنَى الْحُزْنِ حُزْ * نِ السَّوَالِدِينَ ، فَمَا أَمَرَ
 وَشَهِدْتُ زَوْجَكَ مُطْرِقًا * مُسْتَوَحِشًا بَيْنَ السَّمَرِ^(٣)
 كَالْمُدْلِجِ الْخَيْرَانِ فِي الْ * بَيْدَاءِ أَخْطَأَهُ الْقَمَرُ^(٤)
 فَعَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عِفْ * دَ هَنَاهُ وَقَدْ أَنْتَثَرَ
 صَبْرًا أَبَا (مَلَكٍ) فَإِنَّ الْبَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ
 وَبَقْدِرِ صَبْرِ الْمُتَبَتَّلِ * طُولُ الْمُصِيبَةِ وَالْقِصَرِ
 كُنْ أَنْتَ أَنْتَ إِذَا تُسَا * ءُ كَأَنَّ أَنْتَ إِذَا تُسَرَّ
 يَا بَرَّةً بِالسَّوَالِدِ * مِنْ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقْصَرُ
 فَسَلِي إِلَهَكَ سُئُلًا * لِأَيِّكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُّ
 وَلِيَهْنِكَ الْخِذْرُ الْجَدِيدِ * دُ فَذَلِكَ دَارُ الْمُسْتَقَرِّ

(١) من وقع الخور، أى من وقوع الضعف به .
 (٢) انفطر : انشق .
 (٣) السمر : مجلس السهار بالليل .
 (٤) المدج : السارى بالليل .

رثاء محمد فريد بك^(١)

[فى سنة ١٩١٩ م]

مَن لِّقَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مَن لِّقَد * مَاتَ ذُو الْعَزْمَةِ وَالرَّأْيِ الْأَسَدُ^(٢)
 حَلَّ (بِالْجُمُعَةِ) حُزْنٌ وَأَسَى * وَمَشَى الْوَجْدُ إِلَى يَوْمِ (الْأَحَدِ)^(٣)
 وَبَدَأَ شِعْرِي عَلَى قِرطاسِهِ * لَوْعَةً سَالَتْ عَلَى دَمْعِ بَحْمَدٍ
 أَيُّهَا النَّيْلُ لَقَدْ جَلَّ الْأَسَى * كُنْ مِدَادًا لِي إِذَا الدَّمْعُ نَفِدَ
 وَادَّبِلِي يَا زَهْرَةَ الرُّوضِ وَلَا * تَبْسِمِي لِلطَّلِّ فَالْعَيْشُ نَكِدُ^(٤)
 وَالزَّمِ النَّوْحَ أَيَا طَيْرُ وَلَا * تَبْتَهِجِ بِالشَّنْوِ فَالشَّدْوُ حَدَدُ^(٥)

(١) المرحوم محمد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد فى مدينة القاهرة فى رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيت من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، ونال شهادة الحقوق فى مايو سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العمومية ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية فى أغسطس سنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه فى جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية فى أول يونيه سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشغولا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامل باشا وقد صحبه فى كثير من رحلاته الى أوروبا ، واختاره مصطفى كامل لرئاسة الحزب الوطنى فى فبراير سنة ١٩٠٨ م ونوفى فى برلين عاصمة المانيا فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت بجثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) يرئد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب .

(٣) الأسى : الحزن . وكفى « بيوم الجمعة والأحد » عن مسلى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولّى (فريدٌ) وأنطوى * رُكنٌ (مصر) وفتّاها والسند
 خالد الآثار لا تخش اليلى * ليس يئلى من له ذكرٌ خلد
 زُرّت (برلين) فنادى سَمْتها : * نزلت شمس الضحى بـرج الأسد^(١)
 واختفت شمسك فيها وكذا * تختفى في الغرب أمار الأبد
 يا غريب الدار والقبر ويا * سلوة (النيل) اذا ما الخطب جد^(٢)
 وحساماً قلّ حديده الردى * وشهاباً ضاء وهناً ونحمد^(٣)
 قلّ لصبّ (النيل) إن لاقيته * في جوار الدائم الفرد الصمد^(٤)
 إن (مضراً) لا تني عن قصدها * رَغَمَ ما تلقى وإن طال الأمد
 جئتُ عنها أحمل البشرى إلى * أولِ البانين في هذا البلد
 فاسترخ وأهناً ونم في غبطة * قد بذرت الحب والشعب حصد^(٥)
 آثر (النيل) على أمواله * وقواه وهواه والولد^(٦)
 يطلب الخسير (لمصر) وهو في * شقوة أحلى من العيش الرغد^(٧)

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزل الشمس في برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ ويكون هذا البيت بالمعنى الثاني ترشيحاً للبيت الذى بعده .
 (٢) فل حديده : ثلجهما . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صب النيل : عاشقه .
 ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوروبا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد في غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

(١)

ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَنْبِئُ مَأْرَبًا * كَلَّمَا قَارَبَهُ ، عَنْهُ ابْتَعَدَ

(٢)

لَمْ يَعْبه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُهُ * رَبُّ جَدِّ حَادٍ عَنْ تَجْرَاهُ جَدِّ

(٣)

يَسْتَجِمُّ الْعَزَمَ حَتَّى إِنْ بَدَتْ * فُرْصَةٌ شَدَّ إِلَيْهَا وَصَمَدَ

(٤)

فَهَوْلَا يَتْنِي عِنَانًا عَنْ مَتْنِي * وَهُوَ هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ)

(٥)

فَأَيَادِيهِ إِذَا مَا أَنْكَرَتْ * إِنَّمَا تُنْكِرُهَا عَيْنُ الْحَسَنِ

(٦)

فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * مَوْطِنٍ يُعَوِّزُهَا فِيهِ الْمَدَدَ

(٧)

فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * لَهْوَةِ الْمِيدَانِ وَالْمَوْتُ رَصَدَ

(٨)

فَقَدَّتْ مِنْهُ خَيْرًا حَوْلًا * وَهِيَ وَالْأَيَّامُ فِي أَخْذٍ وَرَدَ

(٩)

لَمْ يَكُنْ يُبْتِغِهَا الدَّهْرُ بِهِ * فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكُنْ

(١٠)

لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ

(١١)

وَيَنْجِ (مِصْرٍ) بَلَّ فَوَيْحًا لِلثَّرَى * إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ

(١٢)

كَمْ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ * لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيَاكَ الْجَسَدَ

(١) ضرب في الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجسد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب

اجتهاد أخطأه الحظ فلم يقد صاحبه ولم يثر . (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى

لأستجم قلبي بشئ ، من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبي يتفكك بشئ ، من اللهو ليستجمع قوته .

وصمد : قصد . (٤) هجراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادي : النعم .

(٦) شبه مصر في ميدان الجهاد بلهوة الرعى ، وهى بفتح اللام وضمتها ، ما يلقى في فها للطن .

(٧) الحول : الحاذق البصير بخويل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى الاتحاد مسلبي مصر

وقبطلها في سنة ١٩١٩ م ، تحت رئاسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

هَلَفَ نَفْسِي هَل (بِرَّيْنِ) أَمْرُؤُ * فوق ذاك القبرِ صليّ وسجّد؟
 هَل بَكَتْ عَيْنٌ فَرَوَتْ تُرْبَهُ * هَل عَلَى أَجْجَارِهِ خَطٌّ أَحَدٌ^(١)
 هَاهُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فِي هَوَى * أُمِّةٍ أَيْقَظَهَا، ثُمَّ رَقَدَ

رثاء عبد الله أباطه بك^(٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م]

يَا حَايِدَ اللَّهِ نَمَّ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا * مَا كُنْتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّامِي
 يَا رَحِمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَقِيفِي * وَآيِسِي رُوحَهُ يَا رَحِمَةَ اللَّهِ

رثاء عبد الحميد رمزي

قالها على لسان ابراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا بالمدارس الثانوية، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة :

[نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَتَحِيْبِي * جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟
 جِئْتُ أَرَوِي بِدُمُوعِي مَضْجَعًا * فِيهِ أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي

(١) خط أحد، أي كتب على أججار هذا القبر البيت الآتي بعده .

(٢) عبد الله أباطه بك، هو ابن السيد أباطه باشا، كان عضوا بالجمعية التشريعية، وتقلد عدة

مناصب، وتوفي في سنة ١٩١٩ م .

لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا * تَبْتَئِسْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ
 (١)
 أَنَا لَا أَنْرُكَ شَيْئًا وَحْدَهُ * فِي جَدِيدٍ مُوَحِّشٍ غَيْرِ رَجِيبٍ
 (٢)
 أَوْعِينَ أَبْتَزِّدْهُرَى قُوَّتِي * وَذَوَى عُودِي وَوَفَائِي مَشِيئِي
 وَآكَتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ * تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ
 وَرَجَوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ * مُنْجِبُ الْأَشْبَالِ فِي الشَّيْلِ النَجِيبِ
 (٣)
 يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرِيخِ الصَّبَا * وَالشَّبَابُ الْغَضُّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤)
 لَمْ يَدْعُ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا * غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّيِّبِ
 (٥)
 يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى * وَالِدِ جَمِّ الْأُمَى بِأَدَى الشُّحُوبِ
 ذَاهِلٍ مِنْ قَرِطٍ مَا حَلَّ بِهِ * يَبْنَ أَرْيَاكَ يَمِشِي كَالْغَرِيبِ
 كُلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا * هَزَّ الشَّوْقُ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
 يَسْأَلُ الْأَغْصَانُ فِي إِزْهَارِهَا * عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
 (٦)
 يَسْأَلُ الْأَقْمَارُ فِي إِشْرَاقِهَا * عَنْ مُحْيَا غَابَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
 (٧)
 غَمَرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ * وَأَذَابَتْ لَهُ سُودُ الْخَطُوبِ
 فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ * تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟

(١) الشَّيْلُ : ولد الأسد . ويعني «بالجديب الموحش» : القبر . (٢) ابتر : سلب . وذرى

عوده : ذيل رجب . (٣) ينتويك : يقصدك . وشريخ الصبا : وبهانه . والقشيب : الحديد

(٤) الأمى : الطيب . (٥) الأمى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .

(٦) محيا الإنسان : وجهه . (٧) غمر الحزن نواحي نفسه ، أى شملها .

طَالِي يَأْتِمُسُ قَبْرًا صَمًّا * بِالتَّحَايَا فِي شُرُوقٍ وَغُرُوبٍ
وَاسْكُنِي يَا رَحْمَةَ اللَّهِ بِهِ * وَاجْعَلِي فَيْضَكَ مُنْهَلَّ الشُّكُوبِ

رثاء عبد الحلیم المصری الشاعر المعروف

[نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢ م]

لَكَ اللَّهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا * وَأَثَرَتْ يَا مُصِيرِي^(١) سَكْنَى الْمَقَابِرِ
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا قَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً * تَفْتَحُ لِلْأَذْهَانِ قَبْلَ النَّوَاطِرِ
فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْيَلَى * فَكَمْ تَسَجَّتْ قَبْلَ الْيَلَى مِنْ مَقَانِرِ^(٢)
وَيَا وَجْهَ الْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجِيهَا * وَوَجْهَ الْقَوَافِ سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا * وَذَلِكَ لَعَمْرِي نِعَمَ زَادُ الْمُسَافِرِ^(٣)
وَأَوْرَثْنَا حَزَنًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً * عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ كَرِيمِ الْحَاضِرِ^(٤)
فَلَمْ تَتَّوِيَا (عَبْدَ الْحَلِيمِ) بِمُخْفَرَةٍ * وَلَكِنْ بَرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ نَاضِرِ^(٥)
فَدَيَوَانُكَ الرَّيَّانُ يُغْنِيكَ طَيْبُهُ * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا يَحْوِ الْمَوَاطِرِ^(٦)
فَسَايِرُ (أَبَا بَكْرٍ) هُنَاكَ فَلَانَهُ * سَيَظْفَرُ فِي عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسَايِرِ^(٧)

- (١) نجيباً، أى من يتاجبها . (٢) المحاضر : المجالس . (٣) قوى بالمنزل :
أقام به . (٤) الزهر المطلول : المبلل بالطل . والحدود : المطر الكثير . والمواطر : السحب .
(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحلیم المصری في سيرة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأولها :
أفضى أبا بكر عليهم قوافيا * وأمطر لسانى حكمة ومعاني

هَنِيئًا لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَلْتَهَا * وَأَعْظَمُ بَيْنَ جَاوَرَتِهِ مِنْ مُجَاوِرِ
(١)
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَزْنَمُ مُنْشِدٌ * وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

(٢) ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

أُنشدها في الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء ١١ يولييه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حنفى ناصف بك

(٣)
أَذْنَتْ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ * وَدَنَا الْمَنَهْلُ يَا نَفْسُ فِطْيِي
(٤)
إِنْ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيْرَنَا * وَرَدَّ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ الْغُيُوبِ
(٥)
قَدْ مَضَى (حنفى) وَهَذَا يَوْمُنَا * يَتَدَانِي فَأَسْتَنْبِي وَأَنْبِي
وَارْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ إِنَّمَا * نَحْنُ فِي قَبْضَةِ مَلَامِ الْغُيُوبِ
أَذْكُرِي الْمَوْتَ لَدَى الدُّوْمِ وَلَا * تُغْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهُبُوبِ
وَأَذْكُرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا * مُؤْنَسٌ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
قَدِّمِي الْخَيْرَ أَحْتِسَابًا فَكَفَى * بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
رَاعِنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا * لَا أَرَاغُ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبي
حَنِّ جَنْبَائِي إِلَى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَدُوِّ وَحْيِي

(١) هام المنابر: رومها؛ الواحدة هامة. (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول.

(٣) أذنه بالأمر: أعليه بقره. والمنهل: المورد؛ يريد به الموت. (٤) الغيوب: التعب.

(٥) استنبي: اطلبى الثواب من الله. وأنبي: ارجعى إليه بالطاعة.

(١) مَضَجَّ لَا يَسْتَكِي صَاحِبُهُ * شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شَدَّ الْخَطُوبِ
 (٢) لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي * يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ حَيِّشٍ رَتِيبِ
 (٣) قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبَكِي عَلَى * طَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمِ عَصِيبِ
 وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَقَضَوْا * هَكَذَا قَبْلِي وَأَتَى عَنْ قَرِيبِ
 وَرَدُّوا الْحَوْضَ تَبَاطًا فَقَضَوْا * بِاتِّفَاقٍ فِي مَنَآيَاهُمْ عَجِيبِ
 (٤) أَنَا مُدُّ بَانُؤَا وَوَلَّى عَهْدُهُمْ * حَاضِرُ اللُّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّجِيبِ
 هَدَّاتُ نِيرَانٍ حُزْنِي هَذَاةً * وَأَنْطَوَى (حَفْنِي) فَعَادَتْ لِلشُّبُوبِ
 قَدْ كَثُرَتْ بِهِ يَوْمَ أَنْطَوَى * صَادِقُ الْعَزْمَةِ كَشَافُ الْكُرُوبِ (٥)

(١) شَدَّ الْخَطُوبِ، أى حلتها عليه . (٢) يريد « بالرتيب » : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة بحية ، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء ، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن عاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفنى ناصف بك ، ثم حافظ ابراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف ، فبعث الى حافظ بهذه الأبيات :

أَتَذَكَّرُ إِذْ تَخَا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةَ * نَعْدَدِ آثَارِ الْإِمَامِ وَنَسْدَبِ
 وَقَفْنَا بِرَتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا * مِمَاتِ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبِ
 أَبُو خَطْوَةٍ وَلَى وَقْفَاهُ عَاصِمُ * وَجَاءَ لَعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتِ يَطْلُبِ
 ظَلْمِي وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَاسِمِ * وَعَمَّا قَلِيلٍ نَجْمٌ مَحْيَا يُقْرَبِ
 فَلَا تَحْشُ هَلْكَامَا حَيَّتْ وَأَنْ أَمْتُ * فَمَا أَمْتُ إِلَّا خَائِفٌ تَتَرَقَّبِ
 نَحَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الْقَطَارِ وَلَا تَخَفِ * وَنَمَّ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَخْرَبِ
 وَبِخُصِّ بُلُجِ الْهَيْجَاءِ أُعْزِلَ آمِنَا * فَإِنْ الْمَنَآيَا عَنْكَ تَتَأَى وَتَهْرَبِ
 فَلَمَّا تَوَفَّى حَفْنِي بَعْدَ ذَلِكَ نَظَّمُ حَافِظُ مَرِيتِهِ تِلْكَ . (٤) بَانُؤَا : بعدوا .

(٥) يريد « بصادق العزيمة » : المرحوم الشيخ محمد عبده .

- (١) يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي آمَالِنَا * وَذَكَّرْنَا عِنْدَهُ قَوْلَ (حَبِيب) :
- (٢) صَرَّفُوا مَنْ غَيَّبُوهُ وَكَذَا * تُعْرِفُ الْأَقْفَارُ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ
- (٣) وَيُخَمِّنَا بِإِمَامٍ مُضْلِحٍ * حَامِرِ الْقَلْبِ وَأَوَابِ مُنِيبِ
- كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى * وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقٍ وَغُرُوبِ
- (٤) يَسْتَدِلُّ الْمَعْرُوفُ فِي السَّرِّكَمَا * يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرَّقِيبِ
- يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ * حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ
- تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُسْنَى * وَالْخِلَالُ الْغُرُفَى مَرَعَى خَصِيبِ
- (٥) قَدْ مَضَتْ عَشْرٌ وَسَبْعٌ وَالنُّهَى * فِي ذُبُولٍ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبِ
- (٦) تَرْقُبُ الْأَفَقَ فَلَا يَتَدَوَّبُهُ * لَا مِعْ مِنْ نُورِ هَادٍ مُسْتَتِيبِ
- وَتُنَادِي كُلَّ مَأْمُولٍ وَمَا * غَيْرُ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبِ
- (٧) دَوَى الْجُرْحِ وَلَمْ يُقَدِّرْ لَهُ * بَعْدَ تَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَلِيبِ
- (٨) أَجْدَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ * رَائِدُ الْعِرْفَانِ فِي وَادٍ جَدِيبِ

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائي ، المكتنى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد في شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبي ربيع :

قَدْ عَلِمْتَ مَا رَزَمْتُ لِنَمَا * يَعْرِفُ فَقْدَ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ في البيت الذي قبله . (٣) الأتواب : كثير الرجوع إلى الله .

والمُنِيب : من أُنَابَ ، بمعنى رجع . . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستتيب ، أي يطلب من ضل طريق الهدى أن يتوب إليه ، أي يرجع . (٧) دوى : صار ذا داء . والتاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذي كانت يسكنه الفقيد ، وهي ضاحية من

ضواحي القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

- (١) رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * نَحَرَ التَّفسيرُ عَنْ طَوْقِ الْأَرِيْبِ
 رَحْمَةُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ الْمُصِيبِ
 رَحْمَةُ الْفَهْمِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * دَقَّتْ الْأَشْيَاءُ عَنْ ذِهْنِ اللَّيْبِ
 رَحْمَةُ الْحِلْمِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * ضَاقَ بِالْحِذَانِ ذُو الصُّدْرِ الرَّحِيبِ
 لَيْسَ فِي مَيْدَانِ (مِصْرِ) فَارِسُ * يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
 (٢) كَلَّمَا شَارَفَهُ مَنَافَتِي * غَالَهُ الْمِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الْوُثُوبِ
 (٣) مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمٌ) * وَهُوَ فِي الْمَيْعَةِ وَالْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤) أُنْسِي الْأَحْيَاءُ ذِكْرِي (عَبْدِهِ) * وَهِيَ لِلْسُتَافِ مِنْ مِسْكٍ وَطِيبِ
 (٥) لِمَنْهُمْ لَوْ أَنْصَفُوهَا لَبَنَوْا * مَعَهْدًا تَعْتَادُهُ كَفُّ الْوُهُوبِ
 (٦) مَعَهْدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غَرُسُهُ * مِنْ نَمِيرٍ فَاضٍ مِنْ ذَاكَ الْقَلِيبِ
 وَنَسِينَا ذِكْرَ (حَفْنِي) بَعْدَهُ * وَدَفَنَّا فَضْلَهُ دَفْنِ الْغَرِيبِ
 (٧) لَمْ تَسْلُ مِنَّا عَلَيْهِ دَمْعَةٌ * وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْذَّمِّ الصَّيْبِ

- (١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .
 (٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميعة الشباب : أزهله . والقشيب : الجليد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .
 (٤) استاف الطيب : شمه . (٥) تعاده ، أى تتعقد الإنفاق عليه وتعهده بالهدل .
 (٦) الماء النير : الناجع فى الرى . والقلب : البئر . ويريد به الفقيد .
 (٧) الصيب : المنصب .

(١)
سَكَنْتُ أَنْفَاسُ (حَفْنِي) بَعْدَ مَا * طَيَّبْتُ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
عَاشَ يَخْضِبُ الْعُمُرَ مَوْفُورًا الْجَمَّا * صَادِقَ الْعِشْرَةِ مَأْمُوتَ الْمَغِيبِ

(٢)
تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك

قالها في الحفل الذى أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيد
[يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

صَلَّيْنَا مِنْ أَعْلَامٍ مَضَتْ * رَعَدَا الرَّدَى فَطَوَاهُمَا
(حَسَنٌ) وَ(زُهْدِي) لَمْ يَدَّ * نَحْ بِالشَّبَابِ كَلَامُهَا
سَلَكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا * عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
دَاسَ الْإِثْمُ جَاهُمَا * تَحْتَ الدُّجَى وَدَهَاهُمَا
فَرَمَى النَّهْيَ وَالْفَضْلَ مَجْ * تَمَعَيْنِ حِينَ رَمَاهُمَا
إِنْ تَذَكَّرُوا هِمَّ الرَّجَا * لِي فَقَدَّمُوا ذِكْرَاهُمَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَهِيدٍ * لَدَى مَبْدَأِ فُهْمَاهُمَا

- (١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت في الشرق أنفاس الأديب » :
أن أدباء الشرق قد تخرجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشأتهم وارتفع به أدبهم .
- (٢) فى مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار
الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك ، فرماه بالرمصاص ولم يمهلهما
الأجل إلا أياماً ، فتوفى إسماعيل بك أولاً ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف
السياسى بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا^(١)

أنشدها في حفل التأيين الذى أقيم في فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ * كَانِ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلْيَقَا
فَأَنْخَرُوا (صَبْرِي) بِإِنْصَاتِكُمْ * وَلْيَعْذِرِ الدَّمْعُ إِذَا صَفَقَا

ثم أبتدأ في إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النُّعَاةُ وَحَمَّ الْقَدَرُ * وَلَمْ يَغْنِ عَنَّا وَعَنكَ الْحَذَرُ^(٢)
طَوَتْ ذَبْجَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدَى * فَلَمْ تَطْوِ إِلَّا سِجْلَ الْعَبْرِ^(٣)
فَأَمْسَيْتَ تُذَكِّرُ فِي الْغَائِرِينَ * وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمَنْ غَيْرُ^(٤)
إِذَا ذُكِرَتْ سِيرُ النَّاهِيْنَ * فِسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُ السَّيْرِ^(٥)
لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا يَظِلُّ الشَّبَابُ * فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْأَبْرَ^(٦)

(١) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر إلى أوروبا فأتهم علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية أكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله في سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرفقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ في مرثيته . (٢) حم القدر : قضى (بالبناء للجهول فيها) . ويريد « بالقدر » : الموت . (٣) يشير إلى أن الفقيد توفى بالذبحة الصدرية ، وقد عاش مصابا بها زحمة الله أعواما طويلة . والندى : مجلس القوم ومتداهم . (٤) الغابرون : الماضون . (٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواه في الناهيين من الرجال . (٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم في شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فَلَمْ تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فِي الصَّبَا * وَلَمْ تَسْتَبِخْ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
 أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزَّى الْوَرَى * لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَيْرَ
 (١)
 أَوَّلِ يَوْمٍ لَمَهْدِ الرَّيِّعِ * تَجِفُّ الرِّيَاضُ وَيَذْوِي الزَّهْرُ ؟
 (٢)
 وَيَذُبُّ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرَى * وَيُقْفِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْغُرَى
 (٣)
 لِيَهْدَأُ (عُمَانُ) فَقَوَاصِهِ * أَصِيبَ وَأَمْسَى رَهَيْنَ الْحَقْرِ
 (٤)
 فَقَدْ كَانَ يَتَعَادُهُ دَائِبًا * بَكُورًا رَوْحًا لَنَهَبِ الدُّرَى
 (٥)
 يَقُولُ فَيُرِيخُ دُرَّ النُّحُورِ * وَيُغْلِي جُمَانَ بَنَاتِ الْفِكْرِ
 (٦)
 يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْتِي الْعِشَارَ * وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرَ
 قِصَارٍ وَحَسِبُ النَّهْيِ أَنَّهَا * لَهَا مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّورِ
 رُحِمَتْ، فَقَدْ كُنْتَ حُلُومَ اللِّسَانِ * جَلِيَّ الْبَيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ
 (٧)
 قَلِيلَ التَّعَجُّبِ جَمُّ الْأَنَاءِ * حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدْرِ
 (٨)
 شَمَائِلُكَ الْغُرْهُنَّ الرِّيَاضِ * رَوَى عَنْ شَذَاهَا نَسِيمُ السَّحَرِ

- (١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيد كانت في فصل الربيع .
 (٢) القريض الثرى : الفتى بعمانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بالؤلؤ المستخرج من بحورها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد بالؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .
 (٤) يتعاده دائبا ، أى يواظب على استخراج اللائى منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . ويريد « بنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناء : الثانى . ويريد « بحكيم الورد ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

- (١) لها مثل رَوْحِ الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ * فعاقى وآوى وأغنى وسَرَّ
- (٢) إذا ما وَرَدَتْ لها مَنَهْلًا * وَرَدَتْ نَمِيرًا لَدَيْدَ الْخَصْرِ
- (٣) وَفِكَرُكَ فِي خِصْبِهِ ثَرَوَةٌ * لِفِكْرِ الْأَدِيبِ إِذَا مَا اقْتَرَفَ
- (٤) وَشِعْرُكَ كَالْمَاءِ فِي صَفْوِهِ * عَلَى صَفْحَتَيْهِ تَرَأَى الصُّورَ
- (٥) عِيُونُ الْقَصَائِدِ مِثْلَ الْعِيُونِ * وَشِعْرُكَ فِيهِنَّ مِثْلَ الْحَوَرِ
- وَكَمْ لَكَ شَكْوَى هَوَى أَوْ أَسَى * لها نَفَثَاتٌ تُذِيبُ الْجَرَّ
- (٦) هَتَفَتْ بِهَا مَرَّةً فِي الْهَجِيرِ * فَكَادَ يَدْبُ إِلَيْكَ الشَّجَرُ
- (٧) وَكَمْ كُنْتَ تُشْعِلُ فِجْمَ الدُّجَى * بِأَنْفَاسٍ صَبَّ طَوِيلُ السَّهْرِ
- فِيَا وَيْحَ قَلْبِكَ مَاذَا أَلَحَّ * عَلَيْهِ مِنَ الدَّاءِ حَتَّى أَنْفَطَرَ
- (٨) أَيُخَفِّقُ تَحْتَ الدُّجَى وَحْدَهُ * لِيَذْكُرَى أَلَيْفَ سَلَا أَوْ هَجَمَ

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمر : الماء الناجع في الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أعوزتهم المعاني .

(٤) تراءى ، تراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نفائسها

وكرائمها . والحور في العين : اشتداد البياض والسواد في بياضها وسوادها ، واستدارة حديقها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة لارحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

باسرحة بجهوار الماء ناضرة * سقاك دمي اذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فك الهجير يمثلى في نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيده في النسب والشوق ، وهى من أنفاس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيده يخاطب قواده :

سلا القواد الذى شاطرته زمنا * حل الصباة فأخفق وحدك الآن

(١) إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيد) * وَصَرْتُ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرُ)
 (٢) يَزِينُ تَوَاضُعُهُ نَفْسَهُ * كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَّاحِ الْخَفَرُ
 (٣) زَكَّى الْمَشَاعِيرَ عَفْوُ الْهَوَى * شَبَّهِ الْأَحَادِيثَ حُلُوُّ السَّوَمِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ * وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَأَزْدَهَرُ
 (٤) وَأَعْرِضُ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ * لَطِيفٌ يُحَسُّ نُبُو الْوَتَرِ
 (٥) عَلَى سَمْعٍ بَاقِعَةٍ حَاضِرٍ * يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُتَبَكَّرِ
 (٦) فَيَصْقِلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجَمَانِ * وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَضَرِ
 (٧) يُرْفِقُ فِيهِ غَيْرَ الْجَنَانِ * فَتَسْتَأْفُ مِنْهُ النَّهْيَ وَالْفِكْرَ
 كَذَلِكَ كَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - * إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
 (٨) فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ نُزَوِي الظَّمَاءَ * ظِلْمَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهْرُ
 (٩) زَهْدَتَ عَلَى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وَجَاهٍ أَظْلَلَّ وَفَضْلٍ بَهَرَ

- (١) يريد «الوليد وعمر» : أبا عبادة البحرى وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومى ،
 الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيده فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن
 النسب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحرى ويفضله على غيره من الشعر .
 (٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه
 حبه الى ارتكاب ماثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبوالوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة
 ذوقه ما نبتا من الألفاظ والعبارات ، وقد عما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .
 (٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شئ . (٦) يصقل لفظى ، أى يحلوه ويحسنه .
 (٧) العير : الراحة الطيبة . وتستأف : تشم . والنهى : العقول .
 (٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظلل : أى أمتد ظله واتسع .

(١) خَلَعَتِ الشَّبَابَ فَلَمْ تَبْكِيهِ * وَسَلَامَكَ أَنْكَ لَمْ تُخْتَضِرْ
 (٢) وَقَدْ ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ مَا * أَصِيبَ قِطَارُكَ يَوْمَ السَّفَرِ
 (٣) فَأَقْسَمْتَ أَنْكَ الْفَيْتَهُ * لَذِيذِ الْمَذَاقَةِ إِذْ تُخْتَضِرُ
 تَمَنَّيْتَ أَنْ لَمْ تَعُدْ لِلْحَيَاةِ * وَلَكِنْ أَبَاهَا طَلِكَ الْقَدَرُ
 (٤) وَكَمْ سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعِ الْحَيَاةِ * سَقَّتَكَ الْمُرَارَ بِكَأْسِ الضَّجَرِ
 (٥) فَرُحْتَ إِلَى أُخْتِهَا شَاكِيًا * أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرُ
 فَقَتَّشْتَ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا * بَعَيْنِي بِصِيرٍ بَعِيدِ النَّظَرِ
 (٦) فَلَمْ تَرَفِيهَا عَلَى طَوْلِهَا * هَنِيئَةً صَفْوٍ خَلَّتْ مِنْ كَدَرِ

(١) احتضر فلان بالبناء للجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيه أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راجعا قطار الرمل عائدا إلى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى اذا اصطدم القطار الذى كان يقفه مع قطار آخر ، وقد أصيب في هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغمى على الفقيه إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج في مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض في كتفه الأيسر ، وكان يحدّث الى جلساته بأنه قد ذاق طعم الموت في هذا الحادث فوجده لذيق المذاق ، وكان يتقن أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للجهول) : حضره الموت . (٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحران والهموم بعصاة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيه في الساعة ، أولها :

كَمْ سَاعَةٍ آلَمَنِي مَسَهَا * وَأَزْجَعْنِي يَدُهَا الْقَاسِيَه
 (٥) يشير بهذا : الى قول الفقيه في مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :
 وَكَمْ سَقَتْنِي الْمُرَاخَتَ لَهَا * فَرَحْتُ أَشْكُوها إِلَى التَّالِيَه
 فَأَسْلَمْتَنِي هَذِهِ عَنُودَ * لِسَاعَةٍ أُخْرَى وَبِى مَا بِيَه
 (٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى قول الفقيه في مقطوعة الساعة أيضا :
 قَتَّشْتُ فِيهَا جَاهِدًا لَمْ أَجِدْ * هَنِيئَةً وَاحِدَةً صَافِيَه

(١) وما زِلْتَ تَشْكُو إِلَى أَنْ أَتَتْ * كَمَا تَشْتَبِي سَاعَةً لَمْ تَلْزِ
(٢) فَلَا صَدَّ تَحْشَاهُ بَعْدَ الْوِصَالِ * وَلَا ضَعْفَ تَشْكُوهُ بَعْدَ الْأَشْرِ
(٣) أَرِيحَ قُوَادِكَ مِمَّا ضَنَّاهُ * وَصَدْرُكَ مِمَّا عَلَيْهِ أَنْكَدَرُ
(٤) تَمَنِّيَهَا خُطْوَةَ لَمَمَاتِ * تُفَرِّجُ عَنْكَ كُرُوبَ الْغَيْرِ
(٥) وَهَا قَدْ خَطَاها وَنَلَتْ الْمُنَى * فَهَلْ فِي الْمَمَاتِ بُلُوغُ الْوَطْرِ
صَدَقْتَ فِي الْمَوْتِ نَصْرُ الْأَبَى * عَلَى الدَّهْرِ إِنْ هُوَ يَوْمًا غَدَرُ
(٦) مَلَيْتَ الشَّوَاءَ بَدَارِ الزَّوَالِ * فَمَاذَا رَأَيْتَ بَدَارِ الْمَقَرِّ
أَتَحْتَ التُّرَابِ يُضَامُ الْكَرِيمِ * وَيَشْقَى الْحَلِيمُ وَيَخْفَى الْقَمَرُ؟
(٧) وَيَهْضُمُ حَقُّ الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ * وَيُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيِّ الْأَغْرَ؟
أَتَحْتَ التُّرَابِ تُسَاقُ الشُّعُوبُ * بِسَوِطِ الْعُبُودَةِ سَوَاقِ الْبَقَرِ؟
وَيُعْقَدُ مُؤَمَّرٌ لِلْسَّلَامِ * فَتَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى مُؤَمَّرِ؟

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت إلى قول الفقييد في آخر مقطوعة الساعة :

يا شاكي الساعات أسمع عسى * تنبيك منها الساعة القاضي

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر إنما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه انكدر، أى مما أنصبَّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى قول الفقييد :

ياموت هأنذا نخذ * ما أبقت الأيام منى

يبنى وينك خطوة * لئن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الشواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فَإِنْ كَانَ مَا عِنْدَنَا عِنْدَكُمْ * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ شَقَاءٍ مَقَرٌ
 خِضَمُ الْحَيَاةِ بَعِيدُ النَّجَاةِ * فَطُوبَى لِرَاكِبِهِ إِنْ عَبَرَ^(١)
 قَعْدَ سَالِمًا غَائِمًا لِلتَّرَابِ * كَرَأَيْكَ فِي الْمَوْتِ وَأَهْنَأُ وَقَرَّ

رثاء سعيد زغلول^(٢)

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣ م]

مَا أَنْتَ أَوَّلُ كَوُكَبٍ * فِي الْغَرْبِ أَذْرَكَهُ الْمَغِيبُ
 فَهَنَّاكَ أَقْمَارُ الْمَشَا * رِقِّ قَدْ أُتِيحَ لَهَا الْغُرُوبُ
 دَاسَ الْجِمَامِ عَيْرِينَ خَا * لِكَ، وَهُوَ مَرْهُوبٌ مَهْيَبُ^(٣)
 لَمْ يَنْتَبِهْ عَنْكَ الرَّيْدُ * سُسْ وَلَا رَمَى عَنْكَ الْخُطُوبُ^(٤)
 يَا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيدُ) * وَهُوَ مِنْ (سَعِيدٍ) قَرِيبُ؟

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد الى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا في محكمة الزقازيق . ولما سئم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك متفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه في جبل طارق ، وصحبه في سفره بعد ذلك إلى أوروبا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ، وكانت وفاته في ١٠ يولييه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوروبا الى مصر . (٣) العرين : مأوى الأسد . (٤) لم ينته : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصري المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَبًا ! أُنْجِي أُمَّة * وَتَخَافُ جَانِبَكَ الْخُطُوبُ^(١)
 وَيُقَالُ ضَيْفُكَ وَابْنُ أَخٍ * نِكَ وَهُوَ عَنْ (مُضِرٍّ) غَرِيبٌ ؟
 نُبِّتُ أَنَّكَ قَدْ بَكَيتُ * تَ وَهَآلِكَ الْيَوْمُ الْعَصِيبُ
 وَإِذَا بَكَتِ (سَعْدُ) بَكَتْ * لُبْكَائِهِ مِنَّا الْقُلُوبُ
 يَا (آلَ زُغْلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غُضْنَ رَطِيبُ^(٢)
 فَقَدَتْ بِهِ (مِضْرٌ) فَتَى * أَخْلَاقُهُ مِسْكٌ وَطِيبُ
 يَا (آلَ زُغْلُولٍ) وَعُو * دُمُّكُمْ عَلَى الْجُلَى صَلِيبُ^(٣)
 إِنِّي لَا تُجَلُّ أَنْ أُعْزِيَكُمْ وَكُلُّكُمْ أَرِيبُ^(٤)
 شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ مُدَّ * تَحْنُ لِدُنْيَاهُ لَيْبُ^(٥)
 خَطْبُ الْكِنَانَةِ فِي فَقِي * دِكُّكُمْ نَحْطِيبِكُمْ يُشِيبُ^(٦)
 لَمْ يَتَّقَ مِنَّا وَاحِدٌ * إِلَّا لَهُ مِنْهُ نَصِيبُ

(١) يلاحظ أن في هذا الشعر إبطاء، لتكرير لفظ «الخطوب» في بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكي سلاح الصبر ، أى متسلح بالصبر ، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «نحطبك» ... الخ ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباطه بك^(١)

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقَدْ أَلِفَ الصَّبَا * لَمْ يَذِرْ مَا أَبْدَى وَمَا أُخْفِرُ
 أَفْقَدَنِي الْمَوْتَ بِهِ وَافِيَا * لَا يَعْرِفُ الْخُتْلَ وَلَا يَغْدِرُ^(٢)
 تَقَرَّأَ فِي عَيْنَيْهِ كُلَّ الدِّي * فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتُرُ
 ثَلَاثَةٌ لَمْ تَعْرِ عَنْ عِفَّةٍ : * لِسَانُهُ وَالذَّيْلُ وَالْمِشْتَرُ^(٣)
 قَدْ كَانَ مِتْلَافًا لِأَمْوَالِهِ * وَكَانَ نَهَاضًا بَيْنَ يَعْتُرُ
 أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * وَمِنْ صُنُوفِ الْجُودِ مَا يُفْقِرُ^(٤)
 أَصِيبَ فِيهِ الْمَجْدُ يَوْمَ أَنْطَوَى * وَالْعُرْفُ وَالسَّائِلُ وَالْمُعْسِرُ^(٥)



كُنَّا عَلَى عَهْدِ الصَّبَا سَبْعَةً * بِمُسْتَطَابِ اللَّهِ وَنَسْتَأْثِرُ^(٥)
 (البابلي) صَفْوَةُ فَيَّانَا * وَ(ابن المولحي) الْكَاتِبُ الْأَشْهَرُ
 وَ(صَادِقُ) خَيْرُنِي (سَيِّدُ) * وَ(بَيْرُمُ) إِذْ عُدَّهِ أَخْضَرُ
 وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) أُنْسًا لَنَا * وَأُنْسُ (عَبْدِ اللَّهِ) لَا يُنْكَرُ
 لَهُمْ كَرِيمٌ لَمْ يَنْسُبْ صَفْوَةً * رَجَسٌ وَلَمْ يَشْهَدْهُ مُسْتَهْتَرُ^(٦)

(١) محمد سليمان أباطه بك، هو ابن سليمان أباطه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطاً الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفي سنة ١٩٢٣ م .
 (٢) الختل : الخداع . (٣) المنزلة : الأزار . وعفة المنزلة : تكاية عن عفة ماتحته . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابل والمولحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

(١)
فكم لنا من مجلس طيب * يشاققه (هارون) أو (جعفر)
تلعب باللفظ كما تشتهي * ونضير المعنى فإ يظهر
ونزيل النكتة محبوبكة * عن غيرنا في الحسني لا تصدر
ثم أنطوى هذا وهذا وما * يطوى من الأيام لا ينشر
كم دوحية أودى بها عاصف * والنجم من مأمنيه ينظر (٢)

ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك (٣)

عجبت أن جعلوا يوماً لذكرنا * كأننا قد تسينا يوم مننا
إذا سلت (يا أبا شادي) مطوقة * ذكر الهديل فنق أنا سلونا (٤)
في مهبجة (النيل) والوادي وساكنه * رجع لصوتك موصول بذكرنا (٥)
قد عشت فينا تيمراً طاب مؤرده * أسمى سجايا الفتى أدنى سجايا (٦)

- (١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكي وذريه، وقد توفي جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ. (٢) الدرحة: الشجرة العظيمة. (٣) كان المرحوم محمد أبو شادي بك عليا من أعلام المحاماة وإليه انتهت رئاسة نقابة المحامين حينما من الزمن كما كان صحفيا مبرزاً وأنشأ صحيفة يومية سماها «الظاهر» وانتخب عضواً في مجلس التواب وتوفي في ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م.
- (٤) الملقوفة: الحماة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها. والهديل: زعم بعض الأعراب أنه فرع من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون: ما من حماة إلا وهي تبكي عليه.
- (٥) رجع الصوت: صده. (٦) النيرة: الماء الناجع في الري. ويريد بقوله «أسمى سجايا» = أن أعلى ما يلحق به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تتحل به من شيم ومكارم.

فما كأولائك في برٍّ وفي كريم * أولى كريم ، ولا عُقبى كعقبأكا
 قضية الوطن المغبون، قد ملأت * أنحاء نفسك شغلاً عن قضايأكا
 أبليت فيها بلاء المخلصين لها * وكان سهمك أنى رشت فتأكا^(١)
 أبجملت ما فصلوه في قصائدهم * حتى لقد نضروا بالحميد مثواكا^(٢)
 لم يبق لي قيد شبر صاحباي ولم * يفسح لي القول لا هذا ولا ذاكأكا
 يا مدين الذكري والتسبيح مُحْتَسِبَا * هانت في الخلد قد جاورت مولاكا
 لو لم يكن لك في دنياك مفخرة * سوى (زكى) لقد جملت دنياكا^(٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إيه يا ليل هل شهدت المصابا * كيف ينصب في النفوس أنصبأبا؟
 بلغ المشرفين قبل أنبلج الصبح أن الرئيس ولى وظأبا^(٤)
 وأنعم للنيرات (سعداً) فد (سعداً) * كان أمضى في الأرض منها شهابا
 قد يا ليل من سوادك ثوباً * للدرارى وللضحى جلبأبا^(٥)

(١) راش السهم يريشه ، اذا ألصق به الريش ليكون أسرع في مضيه .

(٢) نضروا ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « زكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ابن الفقيد .

(٤) أنبلج الصبح : إشرافه . (٥) قد : اقطع . والدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) ،

الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

- (١) أُنْسِجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ ثِقَابًا * وَأَحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النَّقَابَا
 قُلْ لَهَا : غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَر * ضِ فَنِيحِي عَنِ السَّمَاءِ أَحْتِجَابَا
 وَالْبَيْسِي عَلَيْهِ ثَوْبَ حَدَادٍ * وَأَجْلِسِي لِلْعَزَاءِ فَالْحُزْنُ طَابَا
 (٢) أَيْنَ (سَعْدٌ) ؟ فَذَلِكَ أَوَّلُ حَفِيلٍ * غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخَطَابَا
 لَمْ يُعَوِّذْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطِيبٍ * أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
 (٣) عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ ، عَلَّ سُقْمًا * قَدْ عَرَاهُ ، لَقَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا
 أَيْ جُنُودَ الرَّئِيسِ نَادُوا جَهَارًا * فَإِذَا لَمْ يُجِبْ فَشُقُّوا الثِّيَابَا
 (٤) إِنَّهَا النَّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخْشَى * إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ آتَى
 (٥) إِنَّهَا اللَّفْظَةُ الَّتِي تَنْسِفُ الْأَنْز * نَفْسَ نَسْفًا وَتَفْقُرُ الْأَصْلَابَا
 مَاتَ (سَعْدٌ) ، لَا كُنْتُ يَا (مَاتَ سَعْدٌ) * أَمِهَا مَاتَ مَسْمُومَةً أَمْ حِرَابَا
 (٦) كَيْفَ أَقْصَدْتُ كُلَّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْ * ضِ وَأَحْدَثْتُ فِي الْوُجُودِ آتِقْلَابَا
 (٧) حَسْرَةً عِنْدَ أَنْتَ عِنْدَ آهٍ * تَحْتَهَا زَقِيرَةٌ تُذِيبُ الصَّلَابَا
 (٨) قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي (فِلَسْطِينَ) يَبْكِي * لِمَنْ زِلْزَلْنَا أَجَلُ مُصَابَا

(١) يقال : حباه كذا وبكذا يحبوه ، إذا أعطاه إياه . (٢) حاف الشيء : كرهه وزهد فيه .

(٣) عراه : أصابه . (٤) آتَى ، أى أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة في البيت التالي . والأصلا ب : عظام في الظهر ذات فقار من لدن الكاهل إلى العجب . وتفقرها ، أى تصيب هذه الفقار فتكسرهما . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أى الحجارة الصلبة . (٨) يشير إلى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يولييه سنة ١٩٢٧ م ، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ، فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس ، وقد تبرع الفقيد لمكوبي هذا الزلزال بمئة جنيه .

(١)
 قَدْ دُهِمْتُ فِي دُورِيكُمْ وَدُهِينَا * فِي نُفُوسِ أَبَيْنَ إِلَّا أَحْسَابًا
 (٢)
 فَقَقَدْتُمْ عَلَى الْحَوَادِثِ جَفْنًا * وَقَقَدْنَا الْمُهَنْدَ الْقِرْضَابَا
 (٣)
 سَلَّهُ رَبُّهُ زَمَانًا فَأَبْلَى * ثُمَّ نَادَاهُ رَبُّهُ فَأَجَابَا
 قَدَرُ شَاءَ أَنْ يُزَلِّزَ (مِضِرًّا) * فَتَعَالَى فَزَلَزَ الْأَلْبَابَا
 (٤)
 طَاحَ بِالرَّأْسِ مِنْ رِجَالِ (مِضِرِّ) * وَتَحَطَّى التُّحُوتَ وَالْأَوْشَابَا
 وَالْمَقَادِيرُ إِنْ رَمَتْ لَا تُبَالِي * أَرُءُوسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنَابَا
 تَرَجَّتْ أُمَّةٌ تُشِيعُ نَعَشًا * قَدْ حَوَى أُمَّةٌ وَبَجَرًا عُبَابَا
 حَمَلُوهُ عَلَى الْمَدَافِيعِ لَمَّا * أَنْجَزَ الْهَامَ حَمْلُهُ وَالرَّقَابَا
 (٥)
 حَالُ لَوْنِ الْأَصِيلِ وَالْدَمْعِ يَجْرِي * شَفَقًا سَائِلًا وَصُبْحًا مُذَابَا
 وَسَهَا النَّيْلُ عَنْ سُورَاهُ دُهُولًا * حِينَ أَلْقَى الْجُمُوعَ تَبْكِي أَنْتِجَابَا
 ظَنَّ يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجَانًا * قَرَأَى مَائِمًا وَحَشْدًا مُجْجَابَا
 (٦)
 لَمْ تُسَقْ مِثْلَهُ قَرَاعِينَ (مِضِرِّ) * يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِهَا أَرْبَابَا

- (١) احتساباً، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب وأحياناً لها فيما يَدُورُهَا عند الله .
 (٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقِرْضَاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من
 الفلسطينيين بالزلازل بالقياس إلى ما ضاع منا كالغمد إذا قيس بالسيف . (٣) سلّه : شهره .
 (٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد
 وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التي كانت تجرى دماً ، فكانت
 كأنها شفق مائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرة .
 (٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

(١)
خَضَبَ الشَّيْبُ شَيْبَهُمْ بِسَوَادٍ * وَمَا الْبَيْضُ يَوْمَ مِتَّ الْخَضَابَا
(٢)
وَاسْتَهَلَّتْ سَحْبُ الْبُكَاءِ عَلَى الْوَا * دِي فَطَطْتُ خَضْرَاءَهُ وَالْيَابَا
(٣)
سَأَقْتُ (الْتِمِسُ) الْعِزَاءَ إِلَيْنَا * وَتَوَخَّتُ فِي مَدْحِكَ الْإِسْهَابَا
لَمْ يَنْحُ جَارِعٌ عَلَيْكَ كَمَا نَا * حَتَّ وَلَا أَطْنَبَ الْحُبُّ وَحَابَى
(٤)
وَأَعْتَرَأُفُ (الْتَامِيزُ) يَا (سَعْدُ) مَقِيَا * سُّ لِمَا نَالَ نِيلَنَا وَأَصَابَا
يَا كَبِيرَ الْفُؤَادِ وَالنَّفْسِ وَالْآ * مَالِ أَيْنَ أَعْتَرَمْتَ عَنَّا اللَّهُابَا؟
كَيْفَ تَنْسَى مَوَاقِفًا لَكَ فِينَا * كُنْتَ فِيهَا الْمَهِيْبَ لَا أَهْلِيَابَا؟
(٥)
كُنْتَ فِي مَبْعَةِ الشَّبَابِ حُسَامًا * زَادَ صَفْلًا فِرْنْدُهُ حِينَ شَابَا
(٦)
لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِحُ الْقَوْمِ إِلَّا * كُنْتَ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابَا
(٧)
عِظْمٌ لَوْحَاوَاهُ (كَسْرَى أَنْوَشَرُ * وَانَّ) يَوْمَا لَضَاقَ عَنْهُ إِهَابَا
(٨)
وَمَضَاءٌ يُرِيكَ حَدَّ قَضَاءِ اللَّهِ يَفْرِى مَتْنًا وَيَحْطِمُ نَابَا

- (١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيده . (٢) يقال : استهل المطر، اذا انهل واشتد أنصبايه . والياباب : القفر .
(٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة . (٤) التاميز : نهر في جنوب إنجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليهما . (٥) مبة الشباب : أقرله . وفرد السيف : وشيه وجوهره .
(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح في الأصل من الأفراس : ماتمت أسنانه، وإنما تم في خمس سنين .
(٧) كسرى أنوشروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السبق والعظم .
(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

(١) قَدْ تَحَدَّيْتُ قُوَّةَ تَمَلَّا الْمَعْدِ * حُمُورٍ مِنْ هَوْلِ بَطْشِهَا إِزْهَابًا
 (٢) تَمَلِّكَ الْبَرَّ وَالْبَحَارَ وَتَمَشِي * فَوْقَ هَامِ الْوَرَى وَتَجْبِي السَّحَابَا
 (٣) لَمْ يُنْهِنِهِ مِنْ عَزَمِكَ السَّجْنُ وَالنَّفَقُ * مَيُّ وَسَاجَلَتِهَا (بِمَضَر) الضَّرَابَا
 (٤) سَائِلُوا (سَيْشَلًا) أَوْ جَسَّ خَوْفًا * وَسَلُّوا (طَارِقًا) أَرَامَ انْسِحَابَا؟
 عَزَمَةٌ لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا * مَا يَصُدُّ السُّيُولَ تَغَشَّى الْهَضَابَا
 لَيْتَ (سَعْدًا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا * كَيْفَ نُعَلِّي عَلَى الْأَسَاسِ الْقَبَابَا
 قَدْ كَشَفْنَا بِهِذِيهِ كُلَّ خَافٍ * وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
 مُجَجُّ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَاعًا * مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسُ الْحَبَابَا
 (٥) حِينَ قَالَ : (اتَّهَيْتُ) قُلْنَا بَدَأْنَا * نَحْمِلُ الْعِبَاءَ وَحَدْنَا وَالصُّعَابَا
 (٦) فَانْجَبُوا الشَّمْسَ وَأَحْيَسُوا الرُّوحَ عَنَّا * وَأَمْنَعُونَا طَعَامَنَا وَالشَّرَابَا
 (٧) وَأَسْتَشْفُوا يَقِينَنَا رَغَمَ مَا نَدَّ * قَيَّ فَهَلْ تَلْمَحُونَ فِيهِ آرْتِيَابَا؟

(١) يريد «بالقوة» : قوة الإنجليز . (٢) هام الورى : ردهمهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله « وتجبى السحابا » أن هذه الدولة لها ملك واسع ، بحيث أمطر السحاب وأخرج زرعاً كان ما يجبي من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو إشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة في الأفق فقال : امطري حيث تمطرين فان ما تخرجينه من الزرع تجبي ثمراته اليانا . (٣) لم ينهيه ، أى لم يثته عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربتهك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية في المحيط الهندي تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م فقل من سيشل الى جبل طارق ، لأن جوق سيشل أضربه . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : «أنا انتهيت» ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح . (٧) استشف الشيء : تبيته من وراء حجاب . يقول في هذا البيت والذي قبله مخاطباً الانجليز : إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لانرتاب فيه ولا يزعجنا عنه مزحج .

(١) قَدْ مَلَكَتُمْ فَمَ السَّيْلِ عَلَيْنَا * وَقَتَّحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءَ بَابًا
(٢) وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامِي * تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِمًا وَالْحَرَابَا
وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النَّيْلِ وَمَدَا * وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابَا
(٣) هَلْ ظَفِرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبٍ أَيْ * أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَثَابَا
(٤) لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ فِيهِ * أَلْفَ لَيْثٍ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابَا
(٥) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا * إِنْ عِنْدَ الْعَرِينِ أَسَدًا غَضَابَا
جَزِعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمِ * مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِعْجَابَا
عَلَّمَ (الشَّامَ) وَ(العِرَاقَ) وَ(تَجْدَا) * كَيْفَ يُحْمَى الْجَمَى إِذَا الْخَطْبُ نَابَا
(٦) جَمَعَ الْحَقُّ كُلَّهُ فِي كِتَابٍ * وَأَسْتَنَارَ الْأُسُودَ غَابًا فَغَابَا
وَمَشَى يَحْمِلُ اللَّوَاءَ إِلَى الْحَقِّ * وَيَتَلَوُّ فِي النَّاسِ ذَاكَ الْكِتَابَا
كَلَّمَا أَسَدُوا عَلَيْهِ حِجَابًا * مِنْ ظُلَامٍ أَرَالَ ذَاكَ الْجَحَابَا
(٧) وَاقِفٌ فِي سَبِيلِهِمْ أَيْنَ سَارُوا * عَالِمٌ بِأَحْتِيَالِهِمْ أَيْنَ جَابَا

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة . (٢) يريد « بالحائمات » : الطائرات .

(٣) الماثب : الرجوع . يقول : لأنكم بالغتم في تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلباً أياً من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاماً لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه وشتوته . والضمير في « حماها » لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى اختفاء الممالك الشرقية اثر مصر واقداثها بها في نهضتها والدود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

(١)
 أَيُّ مَكْرِ يَدُقُّ عَن ذِهْنٍ (سَعِيدٍ) * أَيُّ خَتَلٍ يُرِيغُ مِنْهُ أَضْطِرَابًا؟
 (٢)
 شَاعَ فِي نَفْسِهِ الْيَقِينُ فَوْقًا * هُ بِهِ اللَّهُ عَثْرَةٌ أَوْ تَبَابًا
 عَجَزَتْ حِيلَةُ الشَّبَالِكِ وَكَانَ الشَّرْقُ لِلصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطَابًا
 كُلُّمَّا أَحْكُمُوا بِأَرْضِكَ نَفًّا * مِنْ فِخَاخِ الدَّهَاءِ خَابُوا وَخَابَا
 (٣)
 أَوْ أَطَارُوا الْحَمَامَ يَوْمًا لَزَجِلٍ * قَابَلُوا مِنْكَ فِي السَّمَاءِ عُقَابًا
 (٤)
 تَقْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قَتْلًا * وَتُسْقِي مُنَافِقَ الْقَوْمِ صَابًا
 وَتَرَى الصَّدَقَ وَالصَّرَاحَةَ دِينًا * لَا يَرَاهُ الْمُخَالِفُونَ صَوَابًا
 (٥)
 تَعَشَّقُ الْجَوْصَافِي اللَّوْنِ صَحْوًا * وَالْمُضِلُّونَ يَعَشَّقُونَ الضُّبَابَا
 أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ الْمَاءِ عَذْبًا * وَأَرَاهُمْ قَدْ أَوْرَدُونَا السَّرَابَا
 قَدْ جَمَعْتَ الْأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفًّا * وَنَظَّمْتَ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
 (٦)
 وَمَلَكْتَ الزَّمَانَ وَأَحْطَطْتَ لِلْفَيْ * بِبِ وَأَدْرَكْتَ بِالْأَنَاءِ الطَّلَابَا
 ثُمَّ خَلَقْتَ بِالْكِنَانَةِ أَبْطَا * لَا كُھُولًا أَعِزَّةً وَشَبَابَا

(١) يدق : يغمض ويخفى . والختل : الخداع . ويرىغ منه : يريده على الاضطراب والخوف . (٢) وقاه : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السعي لبث أخبار السوء وإضرار الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسقى (بالتشديد) : تسقى (بالتنخيف) ، وشددت للبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .

(٥) شبه في هذا البيت الصراحة في القول بصحو الجوارح صفاته ، والنفاق بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناء : الثاني .

(١) قَدْ مَشَى بِجَمْعِهِمْ إِلَى الْمَقْصِدِ الْأَسَدِ * سَمَى يُغْذُونَ لِلْوُصُولِ الرُّكْبَا
يَتَقَنُّونَ الْعِلَالَ يَشِيدُونَ تَجْدًا * يُسْعِدُونَ الْبَنِينَ وَالْأَعْقَابَا
(٢) قَدْ بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا * وَرَيْسًا وَمِذْرَهًا خَلَابَا
فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِي * لَكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَابَا
(٣) لَمْ يَنْلُ حَاسِدُوكَ مِنْكَ مُنَاهُمْ * لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بِعَلَيْكَ حَابَا
(٤) نَحْمُ هَنِيئًا فَقَدْ سَهَدْتَ طَوِيلًا * وَسَمَّيْتَ السَّقَامَ وَالْأَوْصَابَا
(٥) كُمْ شَكَوْتَ الشَّهَادَةَ يَوْمَ كُنَّا * بِالْبَسَاتِينَ نَسْتَعِيدُ الشُّبَابَا
تَهَبُ اللَّهُوَ غَافِلِينَ وَكُنَّا * نَحْسَبُ الدَّهْرَ قَدْ أَنَابَ وَتَابَا
(٦) فَإِذَا الرُّزْءُ كَانَ مِنَّا بِمَزْمَى * وَإِذَا حَائِمُ الرَّدَى كَانَ قَابَا
حَرَمْتَنَا الْمُنُونُ ذِيَالِكَ الْوَجْهَ * لَهُ وَذَلِكَ الْحَمَى وَتِلْكَ الرَّحَابَا
وَسَجَايَا لَهْرٍ فِي النَّفْسِ رَوْحَ * يَمْدِلُ الْفَوْزَ وَالْدَّمَاءَ الْمَجْبَا
(٧) كُمْ وَرَدْنَا مَوَارِدَ الْأُنْسِ مِنْهَا * وَرَشَفْنَا سُلَافَهَا وَالرُّضَابَا
وَمِزْخَانًا فِي سَاحِلِهَا فَنَسِينَا أَلْ * أَهْلَ وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْأَحْبَابَا

- (١) يقال : أغد فلان السير وفي السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اختبرناك .
والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق في هذا العصر على المحامى ؛ (٣) العاب : العيب .
(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد «بالبساتين» : بساتين فتح الله
بركات باشا التى تقع قريبة من مدينة بليس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .
(٦) قابا ، أى قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر .
والرضاب : لعاب العسل .

ثُمَّ وَلَّتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ عَنَّا * حِينَ سَارُوا فَوَسَّدُواكَ التُّرَابَا
خِفْتُ فِينَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا * فَتَنْظُرُ بِجَنَّتِيهِ الثَّوَابَا^(١)

رثاء أمين الرافعي^(٢) بك

أنشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أَمَّا (أَمِينُ) فَقَدْ ذُقْنَا لِمَصْرَعِهِ * وَخَطْبِهِ مِنْ صُنُوفِ الْحُزَنِ أَلْوَانَا
لَمْ تُنَسِّنَا ذِكْرَهُ الدُّنْيَا وَإِنْ تَسَجَّتْ * لِلزَّاحِلِينَ مِنَ النَّسْيَانِ أَكْفَانَا^(٣)
مَضَى قَفِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبَا * فَهَدَّ مِنْ دَوَلَةِ الْأَخْلَاقِ أَرْكَانَا^(٤)
بَجَرَتْ عَلَى مَسْنَنِ التَّوْحِيدِ نَشَأَتُهُ * فِي اللَّهِ وَالرَّأْيِ إِخْلَاصًا وَإِيمَانَا^(٥)
لَمْ يَلُوهُ الْمَالُ عَنْ رَأْيٍ يَدِينُ بِهِ * (وَلَوْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَلَانَا)^(٦)
وَلَمْ يَلِنْ عُدُوهُ لِلخَطْبِ يَرْهَقُهُ * قَسَا عَلَيْهِ شَدِيدُ الْعَيْشِ أَمَّ لَانَا
ظَلَمٌ مِنَ الْقَبْرِ أَنْ تَبْلَى أُنَامِلُهُ * فَكَمْ رَمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ خَانَا

- (١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : «ولن خاف مقام ربه جنتان» .
(٢) ولد المرحوم أمين الرافعي بك في ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفي في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ،
وهو الكاتب السياسي المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له في النهضة القومية مواقف مشهودة .
(٣) محتسبا ، أى مدبرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .
(٥) لم يلو ، أى لم يصرفه . والشرط الثاني بحزب بيت للتنظيم من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ،
وصدره : «ولا أمر بما ضرى الحميد به» ومطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

(١)
 كَانَتْ مَطِيَّةَ سَبَاقٍ جَوَانِبُهُ * يُرْوِيكَ فَيَاضُهَا صِدْقًا وَعِزًّا فَا
 عِشْرُونَ مَامَا عَلَى الطَّرْسِ الطُّهُورِ جَرَى * مَا خَطَّ فَاحِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْتَانًا
 يَحُولُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طِيبٍ مَغْرِسَهَا وَرَدًّا وَرَيْنَحَانًا
 فَيَنْشِقُّ الدَّهْنُ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا * وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرْسِ بُسْتَانًا^(٢)
 (أَمِينُ) فَارَقْتَنَا فِي حِينٍ حَاجَتِنَا * إِلَى قَتَى لَا يَرَى لَيْلٍ سُلْطَانًا
 إِلَى أَمِينٍ عَلَى أَوْطَانِهِ يَقِظُ * ذِي مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الْخَطْبَ جَذْلَانًا^(٣)
 أَيْلَسُ الْخَزْمَنْ لَأَنْتَ مَهْزَتُهُ * وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاكَ عُرْيَانًا؟^(٤)
 إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَثُرَتْ حَارِسُهُ * تَرَى بِهِ الْقُوْتَ يَأْقُوتًا وَمَرْجَانًا^(٥)
 فَمَا سَعَيْتَ لَغَيْرِ الْحَمْدِ تَكْسِبُهُ * وَلَا رَضِيتَ لَغَيْرِ الْحَقِّ إِذْعَانًا
 أَوْدَى بِكَ (السُّكَّرُ) الْمُضْنَى وَلَا تَعْجَبْ * أَنْ يُورِثَ الْحُلُومُ مَرَّ الْعَيْشِ أَحْيَانًا^(٦)
 مَا هَانَ خَطْبُكَ وَالْأَخْلَاقُ وَالْهَلَّةُ * تَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا خَطَبْتَ أَمْرِي هَانًا^(٧)
 (أَمِينُ) حَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فَانْتَ أَرْجَحْنَا فِي الْحَشِيرِ مِيزَانًا

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «بجوانبه» شقيه . وفياضها ، أى التى تفيض بالمعاني والأفكار .

(٢) أرج الزهر : قمحه وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المزة : القوة والشدة . والجذلان : الفرح (بكسر الراء) . (٤) الخز : الحزير .

ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان لينا لغاصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت...» الخ : أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يبدل

الياقوت والمرجان فى نقاستهما ، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه . (٦) أودى به :

ذهب به وأهلكه . والسكّر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد . (٧) والهة : حزية .

أَبَشِّرْ فَإِنَّكَ فِي أَخْرَاكَ أَسْعَدُنَا * حَقًّا وَإِنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَشْقَانَا
 بَلِّغْ فَلَا تَمَتِّكُمُ عَنَّا تَحِيَّتَنَا * وَأَذْكُرْ لَهُمْ مَا يُعْصَانِي قَوْمُنَا الْآنَا^(١)
 وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُبْتَلَا * أَنْ يَحْرُسَ النَّيْلَ مِمَّنْ رَامَ طُغْيَانَا

زَنَاءُ الدَّكْتُورِ يَعْقُوبَ صُرُوفَ^(٢)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي * عَلَى الْأَرِيْبِ الْكَاتِبِ الْأَلْمِي^(٣)
 جَرَى عَصَى الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فزَادَ فِي الْجُودِ عَلَى الطَّبِيعِ^(٤)
 نَقَصَ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنْ زَهْوِهِ * فَقَدْ الْيَرَاغِ الْمُعْجِزِ الْمُبْدِعِ^(٥)
 لَيْسَ لِمَصْرِ فِي رِجَالِهَا * حَظٌّ وَلَا لِلشَّامِ فِي أَرْوَاعِ^(٦)
 مُصَابُ (صُرُوفِ) مُصَابُ النَّهْيِ * فَلْيَبْكِي كُلُّ فُؤَادٍ يَبْكِي^(٧)
 كُرَّمُ بِالْأَمْسِ وَأَكْفَانُهُ * تَسْجُهَا الْأَقْدَارُ لِلصَّرَعِ^(٨)
 يَا صَائِغَ الدَّرِّ لِتَكْرِيمِهِ * صُغْهُ لِمَنْعَاهُ مِنَ الْأَدْمَعِ

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهمي كامل .

(٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صرُوف (في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأريب : العاقل . والألمي : الذي المتوقد . (٤) يريد «بعضى الدمع» : الدمع الذي

يمنع عند نزول المصائب عزة وأقفة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والافتخار . (٦) الأروع :

الشهم الذي الفؤاد . (٧) يعي : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» :

إلى الاحتفال باليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف الذي أقيم في سنة ١٩٢٧ م ، وأُنشد فيه حافظ قصيدة نشرت

في هذا الديوان .

قَدْ زَيْنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَافِهِ * فَعَاشَ مِثْلَ الْعَيْنِ وَالْمِسْمَعِ
 تَوَاضَعُ وَالْكِبَرُ دَابُّ الْفَتَى * خَلَا مِنَ الْفَضْلِ فَلَمْ يَنْفَعِ
 تَوَاضَعُ الْعِلْمِ لَهُ رَوْعَةٌ * يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ الْمُدْعَى^(١)
 وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ * أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ وَالْمِدْفَعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ * وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يُشْبِعِ
 مُبَكَّرٌ تَحْسَبُهُ طَالِبًا * يُسَابِقُ الْفَجَرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
 قَدْ غَالَتْ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ * وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
 مَاتَ وَفِي أُنْمُلِهِ صَارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
 صَاحِبَهُ تَحْسِينٍ عَامًا فَلَمْ * يَخُنْ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يَخْدَعِ
 مُوَفَّقًا أَنَّى جَرَى مُلْهَمًا * مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ^(٢)
 لَمْ يَنْبِرْهُ بَارِ سِوَى رَبِّهِ * وَلَمْ يَحْزَرْهُ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى^(٣)
 فِي النُّقْلِ وَالتَّصْنِيفِ أَرْبَى عَلَى * مَدَى (أَبْنِ بَحْرِ) وَمَدَى (الْأَصْمَعِيِّ)^(٤)
 مَدَى (أَبْنِ بَحْرِ) وَمَدَى (الْأَصْمَعِيِّ)^(٥)

- (١) الصلف : الكبر . (٢) شبه القلم بالصارم ، وهو السيف . ونبا السيف عن الضربة ينبو : كل وارتدعها . (٣) المشرع : المورد الذي يستق منه . (٤) خفف الياء في «دعى» لضرورة القافية . (٥) يريد «بالنقل» : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية ، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء في هذا الباب . وابن بحر ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالفالج النصفى سنة ٨٢٥ هـ . ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن جهازة اللغويين والرواة ، وتخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام ، ونصر مذهب الاعتزال . ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام . والأصمعي ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها ، وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وساكنتهم ، وكان من ندماء الخليفة الرشيد ، وتوفي في سنة ٢١٦ هـ ، وأكثر مؤلفاته في اللغة .

أَيَّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ * وَأَيَّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرَعْ
 يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ * كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْإِنْعِ
 فَتَحَسَّبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةٍ * عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَمِي
 (صُرُوفٌ) لَا تَبْعُدُ فَلَسْتَ الَّذِي * يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
 أَسْكَنْتَ الْمَوْتَ وَلَكِنَّهُ * لَمْ يُسَكِّتِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
 ذِكْرَكَ لَا تَنْفَكُ مَوْصُولَةً * فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا^(٢)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م
 لِعَبِّ الْبَلَى بِمَلَايِبِ الْأَلْبَابِ * وَحَا بَشَاشَةِ قَمَّكَ انْخِلَابِ
 وَطَوَى الرَّدَى (عَمْرُو) الْكَانَةَ غَافِلًا * وَرَمَى شِهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ^(٤)

(١) لا يعفو عن الأنيق ، أى لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا ، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا ، من كبار رجال مصر في عصره .
 ولد ثروت باشا في سنة ١٨٧٣ م ، وبعد أن تعلم في مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية ، وهو أول مصري تولى منصب النيابة العمومية ، وتولى رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٢ م ، وتم في عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها .
 ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية ، ثم اعتزل السياسة أخيراً ، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها ، فتوفي في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سقاس مصر المعترف بحقوقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم .
 (٣) يريد « بملاييب الألباب » : وصف الفقيده بسحر المنطق . وفي كتب اللغة أن ميم الفم تشدد في الشعر كما هنا .
 (٤) يريد بقوله « عمرر الكانة » : تشبيه الفقيده بعمر بن العاص الخزومي أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وكان معروفاً بالدهاء والكياسة والخروج من مأزق الأمور ، والقوة على مكيدة الخصوم . وهو فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أميراً عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافَرَا نَهْ * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ إِيَابِ
 حَزَنْتَ عَلَيْهِ عُقُولُنَا وَقُلُوبُنَا * وَبَكَتْ ، وَحَزَنُ الْعَقْلِ شَرُّ مُصَابِ
 الْقَلْبُ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ أَلْفَهْ * وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طَوْلُ غِيَابِ^(١)
 بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا * جَاهًا وَأَبْقَانَا عَلَى الْأَحْقَابِ^(٢)
 وَالْيَوْمَ قَدْ ظَالَ الْحِمَامُ أَسَدَنَا * رَأْيَا فَطَاحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابِ
 رَأْسٌ يَدْبُرُ فِي الْخَفَاءِ كَأَنَّهُ * قَدَرٌ يَدْبُرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ^(٣)
 حَتَّى إِذَا أَرْضَى النَّهْيَ وَتَنَاسَقَتْ * آيَاتُهُ رَاعَ الْوَرَى بِجَابِ^(٤)
 يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْحِجَا مُتَمَهِّلًا * بَيْنَ الْعُدَاةِ الْكَثَرِ وَالْأَجَابِ^(٥)
 تَتَنَاضَرُ الْأَقْوَالُ عَنْ جَنَابِهِ * مِنْ شَائِيٍّ وَمُنَاصِرٍ وَمُحَابِ^(٦)
 لَا أَلْمَذَحُ يُغْفِرُهُ وَلَا يُلَوِي بِهِ * عَنْ تَجْدِيدِ الْمَرْسُومِ وَقَعُ سَبَابِ^(٧)
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ لَمْ يُخَالِطْ نَفْسَهُ * زَهُوُ الْمُدِلِّ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ^(٨)
 حُلُوُ الْأَنَاةِ إِذَا يُسْوَسُ وَعِنْدَهُ * أَنْ التَّعَجُّلُ آفَةٌ الْأَقْطَابِ^(٩)
 حُلُوُ السُّكُوتِ كَكُوكِبٍ مُتَأَلِّقٍ * وَاللَّيْلُ سَاجٍ أَسْوَدُ الْجَلْبَابِ

- (١) يريد بقوله : «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .
 (٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتتابع
 على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والحجا : العقل . والكثرة : الكثيرة .
 (٥) الشائى : المبهض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والنجد : الطريق البين
 الواضح ؛ قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأني في الأمر .
 (٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِي السَّبِيلَ لِسَالِكِيهِ وَلَمْ يُرِدْ * شُكْرًا وَلَمْ يَعْمَلْ لِنَيْلِ ثَوَابِ
 (١) مُتَمَكِّنٍ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْرِه * قَلَقُ الضَّعِيفِ وَحَيْرَةُ الْمُتَرَاتِبِ
 يَزِنُ الْأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَافٍ * يَزِنُ النُّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابِ
 وَيَحُلُّ غَامِضَهَا بِشَاقِبِ ذَهْنِهِ * حَلَّ الطَّيِّبِ عَنَاصِرَ الْأَعْشَابِ
 (٢) وَيَقِيسُ شَقَّتَهَا بِمِقْيَاسِ النَّهْيِ * فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الْأَصْطِرْلَابِ)
 (٣) مُتَبَسِّمٍ وَعَلَى مَعَارِفِ وَجْهِهِ * آيَاتُ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَوْصَابِ
 (٤) شِمِّ تَرْدِ النَّاقِمِينَ لَوْدِهِ * وَشَمَائِلُ تَسْتَلُّ حَقْدَ النَّابِيِ
 (٥) يُرِضِي الْمُتَرَتِّلَ فِي الْكَنِيسَةِ صُنْعُهُ * كُنَيْسًا وَيُرِضِي سَاكِنَ الْمِحْرَابِ
 (٦) يَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ لَا مُتَرَجِّحًا * فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الْجَمِيلِ مُرَافِيِ
 يُرَوِّى الصَّدِيقَ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ * بِالْحَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا الْمُغْتَابِ
 (٧) لَمْ يَبْدُ فِينَا جَازِعًا أَوْ غَاضِبًا * لَا هُمْ إِلَّا غَضَبَةُ النُّوَابِ
 (٨) وَبُكَاءُهُ فِي يَوْمِ (سَعْدٍ) زَادَنِي * عَلِمًا بَارًّا الْيَوْمَ يَوْمَ تَبَابِ

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم ، وهى كلمة يونانية

الأصل . (٣) معارف الوجه : ملاحظته وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض ، الواحد

وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدو المعرض عنه وتردّه الى

مودته . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسه

وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا مترجحا : أى لا طالبا لربحا . (٧) لاهم ، أى

الهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يقضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاته ، وإنما يقضب غصبة النائب عن

الأمة فى سبيل المصلحة العامة . . . (٨) التباب ، الخسران .

- (١) قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعْيِهِ * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِمَتْ بِصِعَابِ
(٢) فَظَهِيْرُهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنُهُ * أَمْسَى حَلِيْثَ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
(٣) لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (ثُرْوَتِ) * سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
إِنِّي سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ * مِنْهُمْ عَلَى عِرْفَانِهِمْ بِجَوَابِ
(٤) هُوَ مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيْنٌ * صُلْبٌ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
(٥) هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قَلْبٌ، هُوَ وَاضِحٌ * هُوَ غَامِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
(٦) هُوَ ذَلِكَ الطَّلَسُّ مَنْ أَعْيَا الْحِجَا * حَلًّا وَمَاتَ وَلَمْ يَفْزُ بِطَلَابِ
(٧) هُوَ مَا تَرَاهُ مُفَاوِضًا كَيْفَ أَثْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكَائِهِ الْوَثَابِ
(٨) لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابٍ لَصَيْدِ دَهَائِهِ * إِلَّا نَجَا بِدَهَائِهِ مِنْ بَابِ
(٩) وَيَظُلُّ يَرْقُبُهُ وَيَغْزُو كِبَرَهُ * بِلُيُونَةٍ وَلَبَاقَةٍ وَخِلَابِ

- (١) دُعِمَتْ بِصِعَابٍ، أى صِعَابٌ فَوْقَ صِعَابٍ . والتدعيم : التقوية . يشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيه كان يفاوض الإنجليز فى القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد فى وزارة الائتلاف ، فلما مات سعد فى أثناء تلك المفاوضة ، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف ، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك ، وماد ثروت بمشروع للعاهدة لم يقبل .
(٢) الظهير : المعين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .
(٣) بِنَايَةِ ثُرْوَتِ ، أى تَكْوِينِهِ وَخَلْقِهِ (يفتح فسكون) . (٤) الْوَاعِي : الحافظ . والمتغابى : مدعى العباوة . (٥) الْحَوْلُ الْقَلْبُ : الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٦) الضمير فى «مات» ، للفقيه ، وفى «فنز» : للرجل .
(٧) كَبِيرِهِمْ ، أى كبير الإنجليز ، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية إنجلترا ، وهو الذى كان يفاوض الفقيه إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأتى» : لكبير الإنجليز . وفى «نجا» : لثروت .
(٩) الْخِلَابُ : الخاتلة والدهاء .

- (١) وَيُرُوضُهُ حَتَّى يَرَى أَسْطُولَهُ * خَشَبًا تَنَاقَرُ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابِ
 (٢) وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكَاءٍ صُفِّفَتْ * دُونَ الْحِمَى تُعَيِّ أَسْوَدَ الْغَابِ
 (٣) وَأَنَا بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مُفَاوِضُ * يَسْعَى بِغَيْرِ كَتَائِبٍ وَحِرَابِ
 (٤) وَأَسْتَلِّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْيَابِ
 (٥) خَلَقًا خَبَا ضَوْؤُهُ الْهَلَالِ لَطِيبُهُ * جَمَّ التَّوَجُّعُ دَائِمَى الْأَهْدَابِ
 فَاخْضَرَّ فَوْقَ رُبُوعٍ مِصْرٍ عُوْدُهُ * فِي مَنِيَّتِ خَضِبٍ وَرَحِبِ جَنَابِ
 (٦) إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأَمَانِي فَادْكُرُوا * أَنَا أَمَامَ مُحَنِّكِينَ صِلَابِ
 (٧) قَدْ جَارَ تِهَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَغْرِهَا وَكُؤُودِهَا بِالْكَابِ
 (٨) رَجُلٌ يُفَاوِضُ وَحْدَهُ عَنْ أُمِّةٍ * إِنْ لَمْ يَفْزَ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَابِ
 (٩) رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ عَلَى * أَبْنَاءِ (مِصْرَ) وَابْتَدَتْ بِكِتَابِ

(١) يروضه، أى يسوسه؛ وأصله من رياضة الدواب، أى تذليلها وتيسير ما صعب منها. والعباب: بركة البحر. (٢) الحمى، أى مصر؛ يريد بهذا البيت: أن ذكاء الفقيه كان حصنا للبلاد وقوة لها. (٣) الكاتب: فرق الجيش. (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى رفع الحماية عن مصر، واعتُرف الإنجليز فيه باستقلالها. والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة إذ ذاك. ويريد «أساد الشرى» الإنجليز. (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى المستعبرين، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدى الفاصيين. وخص الهلال بالذكر، لأنه شعار هذا العلم. (٦) يريد «المحتكين الصلاب»: الإنجليز. والمحنك: الذى أحكمته التجارب. (٧) التيهاء: الصحراء التى يفضل فيها السائر. والكؤود من العقبات: الصعبة الشاقة على من صعداها. والكابى: العائر. (٨) فوزا، أى فوزا كاملا. والعاب: العيب. (٩) يريد الكتاب الذى أرسلته حكومة الإنجليز إلى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانىة فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤م.

وَأَنَّى (لِمَصْرَ) وَأَهْلِهَا بِسِيَادَةٍ * مَرْفُوعَةِ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْنَابِ
 (١) غَفَرًا فَلَسْتُ بِبَالِغٍ فِيكَ الْمَدَى * إِنِّي غَدَذْتُ إِلَى مَدَاكَ رِكَابِي
 كَمْ مَوْقِفٍ لَكَ فِي الْجِهَادِ مُسَجِّلٍ * بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ
 (٢) فِي خَطْبِ مِصْرَ (بَطْرُسٍ) أُنْحَدَّتْهَا * مَشْبُوبَةً كَانَتْ عَلَى الْأَبْوَابِ
 (٣) أَلَفْتَ بَيْنَ الْعُنُصَرَيْنِ فَأَصْبَحَا * رَتَقًا، وَكُنْتَ مُوقِفًا لِلسَّبَابِ
 خَالَفْتُ فِيكَ الْجَاذِبِينَ فَلَمْ أُنْجِ * حُرْنَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنْ أُنْرَابِي
 (٤) النَّوْحُ فِي الْجُلَى أَجْتِهَادٌ مُقْصِرٍ * أَلْفَى دُعَاءَ الصَّبْرِ غَيْرَ مُجَابِ
 فَأَنَا الَّذِي يَبْكِي بِشِعْرِ خَالِدٍ * يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ لِلْأَعْقَابِ
 قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ بِي وَتَرْقُبُ جَوَلِي * فِي حَلَبَةِ الشَّعْرَاءِ وَالْكُتَابِ
 وَتَهْشُ إِنِّي لَا قِيَتَنِي وَتُخْصِنِي * بِالْبُشْرِ فِي نَادِيكَ وَالتَّرْحَابِ
 (٥) فَأَذْهَبُ كَمَا ذَهَبَ الرِّيعُ بَنُورِهِ * تَأْسَى الرِّيَاضُ عَلَيْهِ غِبٌّ ذَهَابِ

- (١) غدذت : أسرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد في أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذي في كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز في أوله .
- (٢) بشير يهد البيت والذي بعده إلى الفتنة التي كادت تشتمل نازها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالي باشا ، وكان الفضل في إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين إلى ما تقتضيه الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد في هذه القضية ضد الورداني ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائباً عمومياً .
- (٣) رتقا : ملتصقين . (٤) الجلى : ما جل وعظم من النواصب .
- (٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا^(١)

[نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِي الْجَمِيلِ بِلَا مَنْ يُكَدِّرُهُ * وَمُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوَانِ)^(٢)
تَجْتَازُنَا عِبْقَةً مِنْ رَوْضَةٍ أَنْفٍ * إِذَا أَلَمْتُ بِنَا ذِكْرِي (سُلَيْمَانِ)^(٣)
فَقُلْ (لَا لِي سُلَيْمَانٍ) إِذَا جَزَعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إِلَى صَبْرِ وَسُلُونِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قَبْلَ شَيْخُكُمْ * نَحْتُ التُّرَابِ وَفَوْقَ النُّجُومِ فِي آنِ
قَضَيْتَهَا مِئَةً فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ * تُعِدُّ زَادَكَ مِنْ يَرْوِّحُ وَإِحْسَانِ^(٤)
فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الْجَانِي وَلَمْ تَسِرْهُ * وَكَمْ غَرَسْتَ وَكَانَ الْمُعْوِزُ الْجَانِي^(٥)
وَكَمْ أَقَلْتَ كَرِيمًا عِنْدَ عَثْرَتِهِ * وَكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إِخْوَانِ^(٦)
إِنِّي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي فَلَكٍ * مِنْ الْجَلَالِ عَلَى جَنَّتَيْهِ نُورَانِ
نُورُ الْيَقِينِ وَنُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُمَا * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِي وَوَجَدَانِي
عَلَى جَبِينِكَ آيَاتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وَبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غَيْرُ وَسْطَانِ^(٧)

(١) محمود سليمان باشا، كان عميد الأسرة السلطانية المعروفة بالصعيد، ومن كبار رجال النهضة الوطنية، ورئيساً للجنة الوفد المركزية، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقاً، وكانت وفاته في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م، وقد نيف على التسعين ... (٢) مسدى الجميل : معطيه - والمن : عذ النعم والصنائع تعبيراً بها . (٣) «تجتازنا عبقة» الخ ... ، أى تمر بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تتبدل، شبه ذكره بطبيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيد انما هو على وجه التقريب . (٥) المعوز : الفقير السئ الحال . ويريد «بالجاني» الأول في هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و (بالتاني) : مجنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

(١) قَسَمْتَ مَا جَمَعْتَ كَقَالِكَ مِنْ نَشَبٍ * عَلَى بَيْتِكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَيَّانِي
 (٢) مَالٌ حَلَالٌ مُزَكَّى مَا خَلَطْتَ بِهِ * مِلِّمْ سُبْحَتٍ وَلَا حَقًّا لِلْإِنْسَانِ
 زَهَدْتَ فِيهَا وَهَامَ الْعَابِدُونَ لَهَا * بِجَمْعٍ فَإِنْ يُعَانِي جَمْعَهُ فَإِنِّي
 بِكُسْرَةٍ وَكَسَاءٍ عِشْتَ مُعْتَبِطًا * تُسَبِّحُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
 (٣) أَقَرَّ عَيْنَيْكَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ رَأَانَا * (مُحَمَّدًا) يَتَرَاءَى فَوْقَ (كِيَوَانَ)
 (٤) قَضَيْتَ فِي الْأَوْجِ مِنْ عِزِّكَ وَكَذَا * يَقْضِي (سُلَيْمَانُ) فِي عِزٍّ وَسُلْطَانٍ
 (٥) أَتَجَمَّعَتْ أَرْبَعَةٌ سَادُوا بِأَرْبَعَةٍ : * فَضِيلٌ وَنُبْلٌ وَإِحْسَانٌ وَعِزٌّ
 (٦) أَوْرَثْتَهُمْ شِمًّا هَشَّ الْإِبَاءُ لَهُ * وَأَوْرَقَتْ فِي دُرَاهُ عِزَّةُ الشَّانِ
 (٧) يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قَدْ أَقَامَ لَكُمْ * صَرَحًا مِنَ الْمَجْدِ أَطْلَى رُكْنَهُ الْبَانِي
 (٨) كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يَا (مُحَمَّدُ) عِنْدَ آبِي * بِشُكْرِهَا لَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْصَانِي

(١) النشَب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكيوان : اسم كوكب زحل .

ويضرب مثلا في طلق المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلق . ويريد «سليمان» :

نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفني محمود ،

وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهي في الأصل ،

ارتفاع قصبة الأنف وحسنها وأستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .

(٧) الضمير في قوله « يذكرون » : للصفات السابق ذكرها في البيت السابق ، وهي الشم والإباء

وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر

بهذا البيت إلى أن أباه إبراهيم أفندي فهمي مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد

عليه كثير من الأيادي والممن .

تأبين محمد المويلحي بك^(١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مُضِر) واختفى * فلتبكِه الأَقلامُ أو تنقصَ صفاً
 لهني على تلك الأنايل في البلى * كم سَطَرَتْ حِكماً وهزّتْ مرهفاً
 مات (المويلحي) الحُسانُ ولم يمت * حتى غزّا «عيسى» العقولَ وثَقفاً^(٢)
 وقال يرثيه أيضاً :

أنشد هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيو ١٩٣٠ م
 دَمَعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبَابِ * كُنْتُ خَبَاتُهَا لِيَوْمِ الْمَصَابِ^(٣)
 لَبْتُ الْيَوْمَ يَا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * رَاعَنِي نَعْيُ أَكْتَبَ الْحُجَابِ^(٤)
 هَدَّأْتُ لَوَعِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا * عَنْ فُؤَادِي وَلَطَفْتُ بَعْضَ مَا بِي^(٥)
 مَوَكَّبُ الدَّفْنِ خَلَفَ نَعِشَكَ يَمِثِّي * فِي أَحْتِسَابٍ وَحَسْرَةٍ وَأَنْتِجَابِ^(٦)
 لَمْ يُجَاوِزْ مَنَازِلَ الْبَدْرِ عَدًّا * مِنْ بَقَايَا الصَّدِيقِ وَالْأَحْبَابِ^(٧)

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحي بك (في الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «عيسى» : كتاب الفقيه ، وهو حديث عيسى بن

هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معيناً من الدعم وقوة

على البكاء . (٤) راعني : أفرغني . (٥) سرت عن فؤادي : أهد كشفته عنه الهم والحزن .

(٦) في احتساب ، أي في طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضع التي ينزل فيها في دورانه ،

وهي اثنا عشر منزلاً . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل في القلعة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسْرِ فِيهِ مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَيِّ مُؤَمِّلٍ أَوْ يُحْيَايِ
 (١)
 مَوْرَكُ مَا جَ جَانِبَاهُ بِحَفْلٍ * مِنْ وَفُودِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْسَابِ
 شَاعَ فِيهِ الْوَفَاءُ وَالْحُزْنُ حَتَّى * ضَاقَ عَنْ حَشْدِهِ فَيَسِيحُ الرَّحَابِ
 فَكَانَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَمْشِي * فِيهِ مِنْ هَيْبَةٍ وَعِزٍّ جَنَابِ
 تَمْتَنَّى قِيَاصُ الرُّضِ لَوْفَا * زَتْ لَدَى مَوْتِهَا بِهَذَا الرِّكَابِ
 (٢)
 رَبِّ تَعِيشَ قَدْ شَبِعَتْهُ أُلُوفُ * مِنْ سَبَوَادٍ تَعْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ
 لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ جَارِعٍ أَوْ حَزِينٍ * صَادِقِ السَّغْيِ أَوْ أَلِيفٍ مُصَابِ
 كُنْتَ لَا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا * فَلِهَذَا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ !
 (٣)
 كُنْتَ رَاحَ النُّفُوسِ فِي بَجَلِ الْأَنْدِ * سِيسَ وَرَاحَ الْعُقُولِ عِنْدَ الْخَطَابِ
 (٤)
 كُنْتُ لَا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بَلُومٍ * لَا وَلَا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصَّحَابِ
 وَلَنْ يَتَّعَبَ أَوْ غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضَا كَرِيمُ الْعِتَابِ
 (٥)
 جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّةً لَا تُبَالِي * يَشْهَدُ تَعَاقَبَتْ أُمُ بَصَابِ
 (٦)
 وَسَوَاءٌ لَدَيْكَ وَالرَّأْيُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسَانَ) أَوْ لَوَافِحُ (آبِ)

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عاصمتهم . (٣) الراح : الخمر
 (٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتمحله ما يسيء ويؤلم . (٥) الشهاد : عسل النحل .
 والصاب : عصارة شجر شديد المارة . يريد حلو الزمان ومره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ،
 شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله إبريل حيث يكون الربيع . واللوايح من الرياح : الحمازة .
 وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القيظ . يقول : إنه سواء لديه
 في سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شُجَاعًا وَمَا الشَّجَاعَةُ إِلَّا الـ صَدْرُ لَا الْخَوْضُ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
 (١) كُنْتَ نِعَمَ الصَّبُورِ إِنْ حَزَبَ الْأَمْرُ * رُسُودَتْ مَسَارِحُ الْأَسْبَابِ
 (٢) كَمْ تَجَمَّلْتَ وَالْأَمَانِيُّ صَرَعَى * وَتَمَاسَكْتَ وَالْحُظُوظُ كَوَابِي
 (٣) عِشْتَ مَاعِشْتَ كَالْجِبَالِ الرُّوَاسِي * فَوَقَّ نَارِ تُذِيبُ صَمَّ الصَّلَابِ
 (٤) مُؤَثِّرَ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ عَلَى الشُّكْ * وَبَى وَإِنْ عَضَّكَ الزَّمَانُ بِنَابِ
 (٥) كُنْتَ تَحُلُو بِالنَّفْسِ وَالنَّفْسُ تُسَوِي * مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ وَالْأَوْصَابِ
 (٦) فَتُسَرَّى بِالذِّكْرِ عَنْهَا وَتَنْفَى * مَا عَرَاهَا مِنْ قُصَّةٍ وَأَكْتِثَابِ
 (٧) وَتَرَى وَحْشَةَ أَنْفِرَادِكَ أَنْسَا * بِحَدِيثِ النَّفُوسِ وَالْأَلْبَابِ
 (٨) بَنَتْ عَنْهَا وَمَا جَنَيْتَ وَقَدْ كَا * بَدَتْ بِأَسَاءَهَا عَلَى الْأَحْقَابِ
 (٩) وَبَدَتْ الثَّرَاءَ تَبْدُلُ فِيهِ * مِنْ إِبَاءٍ فِي بَذْلِهِ شُرَابِ
 (١٠) لَوْ شَهِدْتُمْ (مُحَمَّدًا) وَهُوَ يَمْلِي * آيَ عِيسَى وَمُعْجِزَاتِ الْكِتَابِ
 وَقَفَّتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي * وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

- (١) يقال : حزه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وسدت مسارح الأسباب ، أى سدت مذاهب العيش والرزق . (٢) تجملت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابي ، أى عوائر . (٣) صم الصلاب ، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيه يكثر تلاوته فى آخر أيامه . (٦) بنت : بعدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون . (٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى «بذله» : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت العنى الذى لا ينال إلا بالدل وفقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى . (٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه «حديث عيسى بن هشام» .

- (١) لَعَلِمْتُمْ بَأَنِّ عَهْدَ (أَبْنِ بَحْرِ) * عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طَوِيلِ أَحْتِجَابِ
 (٢) أَدَبٍ مُسْتَوٍ وَقَلْبٍ بِجَمِيعٍ * وَذَكَاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشَّهَابِ
 عِنْدَ رَأْيٍ مُوَفِّقٍ، عِنْدَ حَزِيمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحَابِ
 (٣) جَلَّ أَسْلُوبُهُ النَّقِيُّ الْمُصَفَّى * عَنْ غُمُوضٍ وَتَفَرَّةٍ وَأَضْطِرَابِ
 (٤) وَسَمَّا تَقَدَّه التَّزْيِيهُ عَنِ الْمُهْجِ * رِيْفًا شَيْبَ مَرَّةً بِالسَّبَابِ
 دُقَّتْ فِي غُرْبَةِ الْحَيَاةِ عَنَاءٌ * فَتَقَى الْيَوْمَ رَاحَةً فِي الْإِيَابِ
 (٥) بَلَغَ (الْبَابِلِيُّ) عَنِّي سَلَامًا * كَعَبِيرِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْمَلَابِ
 (٦) كَانَ تَرْبِي وَكَانَ مِنْ نَعِيمِ الْمُبِّ * بَدِيعٌ - سُبْحَانَهُ - عَلَى الْأَتْرَابِ
 فَارِسٌ فِي النَّدَى إِذَا قَصَرَ الْقُرْ * سَأَنُ عَنْهُ وَفَارِسٌ فِي الْجَوَابِ
 يُرْسِلُ النُّكْتَةَ الطَّرِيفَةَ تَمْشِي * فِي رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشَى الشَّرَابِ
 (٧) قَدْ أَثَارَ (الْمُحَمَّدَانِ) دَفِينًا * فِي فُؤَادِي وَقَدْ أَطَارَا صَوَابِي
 خَلَقَانِي بَيْنَ الرَّفَاقِ وَحِيدًا * مُسْتَكِينًا وَأَمَعَنًا فِي الْغِيَابِ

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) وقلب جميع ، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد .

(٣) يريد « بالنفرة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) الهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط . (٥) يريد « بالبابل » :

محمد البابلي بك . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعبير الرياض :

طيبها . والملاعب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) ترب الإنسان : نظيره في السن .

(٧) المحمدان ، محمد المولى ، ومحمد البابلي .

رثاء عبد الحلیم العلایلی بك^(١)

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

(٢)
يا بنَ (عبد السلام) لا كانَ يومٌ * غِبتَ فيه عن هالة الأحرارِ
كنتَ فيهم كالرمح بآسًا ولينًا * كنتَ فيهم كالكوكب السَّيارِ
(٣)
يا عريقَ الأصولِ والحسبِ الوَّضَّ * ساج والنَّبلِ يا كريمَ الحوارِ
(٤)
كنتَ قرمًا بدوحة العزِّ تأوى * تحتَ أفنانهِ عفاة الدَّيارِ
قصفتُهُ المنوتُ وهو نضيرٌ * مورقٌ عوده جني الثَّمارِ
(٥)
كنتَ تأسو جراحهم وتقيهم * وتُقيلُ العِشارَ عند العِشارِ
خانَ نطقي ولم تحنَّ دموعي * لمف نفسي - فقصرت أشعاري
(٦)
غيرُ يدع إذا نظمتُ رثائي * في صديقٍ من الدُّموعِ الجَّواريِ
(٧)
فإنَّ الحُزنَ ما يدكُ الرِّواصي * ومن الحُزنَ ما يهدُّ الضَّواريِ

- (١) عبد الحلیم العلایلی بك ، هو ابن عبد السلام العلایلی بك من سراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك في النهضة الوطنية زمانًا طويلاً ، وكان عضواً بارزاً في حزب الأحرار الدستوريين ، وأنتخب (سكرتيراً) عاماً لهذا الحزب ، وكان عضواً في مجلس النواب في بعض السنين ؛ وتوفي في ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .
- (٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تأسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته ، إذا وقع في خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصدفت عن زلته .
- (٦) البديع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرَّواصي : الجبال . والضَّواري : السباع المولعة بالافتراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت في ١٦ يونيو ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ وَتَحْنُ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ * إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطِيئِكَ لَا يَهُونُ
 بَرَّغَمِ (النَّيْلِ) أَنْ مَدَّتِ الْعَوَادِي * عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
 بَرَّغَمِ (الثَّغْرِ) أَنْ غُيِّبَتْ عَنْهُ * وَأَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الْمُنُونُ^(١)
 أَجَلُ مُنَاهُ لَوْ يَحْيِيكَ مَيِّتًا * لَيَجْبُرَ كَسْرُهُ ذَاكَ الدَّفِينِ^(٢)
 أَسَالَ مِنَ الدُّمُوعِ عَلَيْكَ بَحْرًا * تَكَادُ يُلْجُهُ تَجْرِي السَّفِينِ^(٣)
 وَقَامَ النَّادِبَاتُ بِكُلِّ دَارٍ * وَكَبَّرَ فِي مَآذِنِهِ الْأَذِينِ^(٤)
 أَصِيبَ بِذِي مَضَاءٍ أَرْيَحِي * بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينُ
 فَتَى الْفَتَيَانِ خَالَتْكَ الْمَنَايَا * وَغُضُنُكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ^(٥)
 صَحْبَتُكَ حَقَبَةً فَصَحِبْتُ حُرًّا * أَيْسًا لَا يُهَانُ وَلَا يُهِينُ^(٦)
 نَيْلَ الطَّبْعِ لَا يَنْتَابُ خِلَا * وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمِينُ
 تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِ (مُضِرٍ) * فَمَا حَامَتْ حَوَالِيهِ الظُّنُونُ
 وَلَمْ يَثْنِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا * وَلَمْ تَحْنُثْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ

(١) يريد « بالثر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعي بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذنين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر... الخ » : إلى ما كان مأوفا من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالتكبير على المآذن في غير أوقات الأذان . (٤) الضمير في قوله « أصيب » . للثر السابق ذكره . والأريحي : الذي يرتاح للعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَنْزِلْ يِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا * وَلَمْ يَتَلَقَّ بِهِ ذُلٌّ وَهُوبٌ
 مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * وَلَمْ يَبْرَحْ سِرِيرَتَهُ الْيَقِينُ
 تَرَكْتَ أَلْفَةً تَرْجُو مَعِينًا * وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينُ^(١)
 تَنُوحُ عَلَى الْقَرَيْنِ وَأَيْنَ مِنْهَا * وَقَدْ غَالَ الرَّدَى - ذَاكَ الْقَرَيْنِ
 سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا وَاللَّيْلُ سَاجٍ * فَمَزَّقَ مُهَجَّتِي ذَاكَ الْأَيْنُ^(٢)
 فَقَدْ عَانَيْتُ قَدَمًا مَا يُعَانِي * عَلَى عِلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ قَدْ نَعِمْتَ بِزَوْجٍ * سَمًا بِجَلَالِهِ أَدَبٌ وَدِينُ^(٣)
 أَقَامَتْ فِي النَّعِيمِ وَلَمْ تُرَوِّعْ * فَكُلُّ حَيَاتِهَا رَغْدٌ وَلِينُ
 لَقَدْ نَسَجَ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً * وَزَانَ رِدَاءَهَا الْخَلْدُ الْمَصُونُ
 دَهَاهَا الْمَوْتُ فِي الْإِلْفِ الْمُقَدَّى * وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّهْرُ الْخَوُونُ
 فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي عَلَيْهَا * لِسَاعَتِهَا وَتَقْتُلُهَا الشُّجُونُ^(٤)
 رَبِيبَةٌ نَعِمَةٌ لَمْ تَبُلْ حُزْنًا * وَلَمْ تُشْرِقْ بِأَدْمُعِهَا الْجُفُونُ
 وَفَتْ لِأَلْفِهَا حَيًّا وَمَيِّتًا * كَذَلِكَ كَرِيمَةُ (اللُّوزَى) تَكُونُ^(٥)
 سَتَكْنِفُهَا الْعِنَايَةُ كُلَّ شَرٍّ * وَيَحْرُسُ خَدْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)^(٦)

- (١) يريد « بالألفة » : زوجه . (٢) سجا الليل : سكن وهدا . (٣) الخفريات : ذوات الحياء ؛ الواحدة خفيرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتي عليها : يذهب بها ويهلكها . (٥) لم تبُلْ حُزْنًا ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء . (٦) اللوزى : لقب لأمرأة عريفة بنفردمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الجمولى

وهو ابن المرحوم عبده الجمولى المغنى المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

(١) شَوْقَتْنِي أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ * لَبْدَرِ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ

(٢) وَكُلَّمَا أَشْرَقَتْ مَرَّةً * عَلَّمَتْهُ عَيْنِي نَظْمَ الْجُمَانِ

(٣) عَلَى عَزِيْزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ * يُؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ

تَجَلَّتْ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجَنَانِ

(٤) كَأَنَّمَا آخِرُ عَهْدِ الْهَنَاءِ * قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ

رثاء حبيب المطران باشا^(٥)

(٦) أَعَزَّى فِيكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أَعَزَّى * عَفَاةَ النَّاسِ ، أَمْ هِمَمَ الْكِرَامِ؟

(٧) وَمَا أَذْرَى أَرْكُنُ أَبْلَاهِ أَوْدَى * وَقَدْ أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّامِ؟

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه .

(٢) الجنان : اللؤلؤ؛ الواحدة جمانة، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلا من

عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لما خبر ، ففُضِرَ بهما المشل لكل غائب لا يرجع ليا يه .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا مريانا مراهة الشام ، وكان قصره في بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ،

وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة

العراقية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ الْمَاتُ يَدِبُّ فِي أَتْرَابِي * وَبَدَأَتْ أَعْرِفُ وَخَشَةَ الْأَحْبَابِ
يَا بَابِلِي فِدَاكَ الْفُكَّ فِي الْبَصْبَا * وَفِدَا شَبَابِكَ فِي الثَّرَابِ شَبَابِي
قَدْ كُنْتُ خُلْصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي * وَمَقَرَّ آمَالِي وَخَيْرِ صَحَابِي^(١)
فَاذْهَبْ كَمَا تَهَبَّ الْكَرَامُ مُشْتَعًا * بِالتَّجْدِ مَبِيكًا مِنَ الْأَحْبَابِ

تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في آبنته

وَدَيْعَةً رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا * وَمَالِكُ الْأَرْوَاحِ أَوَّلَى بِهَا
أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فِي بُعْدِهَا * يَرْبُو عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا^(٢)؟

وقال يرثيها أيضا :

يَتَنَ السَّرَائِرَ ضِنَّةً دَفْنُوكِ * أُمُّ فِي الْحَاجِرِ خُلْسَةً خَبْنُوكِ^(٣)؟
مَا أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضَى هَذَا الثَّرَى * نَزَلًا فَهَلْ أَرْضُوكِ أُمُّ غَبْنُوكِ^(٤)؟

(١) الخُلْصَانُ (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا .
يقال : هو خُلْصَانِي ، وهم خُلْصَانِي .

(٢) يَرْبُو : يزيد ؛ والمستعمل في هذا المعنى : أَرْبَى يَرْبِي .

(٣) السَّرَائِرُ : جمع سريرة ، وهي السرية والمراد هنا : وضعة . وضعة ، أى يجلاها . والمحاجر : جمع محجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . «يريد» أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها في ضمايرهم أو في عيونهم ، فهو يستفهم عن أيها دفنت فيه . (٤) النزل : المكان المهيأ للنزل به .

- (١) يَا بِنْتَ (مَحْمُودٍ) يَعِزُّ عَلَى الْوَرَى * لَمَسُ التُّرَابِ لِحْسِمِكَ الْمَنْهُوكِ
 (٢) تَرَكُوا شَبَابِكَ فِيهِ نَهَبًا لِلَّيْلِ * وَاهَا لِنَعَضِّ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
 (٣) وَحَثُوهُ فَوْقَ سَنَّاكَ يَأْتُمِسُ الضُّحَى * فَبَكَى لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَخُوكَ
 (٤) دَاسَ الْحِمَامُ عَمِيرِينَ أَسَادِ الشَّرَى * يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكَ؟
 (٥) عَهْدِي بِهِ يَلْقَى الرَّدَى بِمُهْنِدٍ * يَعْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دِمٍّ مَسْفُوكِ
 (٦) يَا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وَأَنْتِ عَلِيمَةٌ * بِطَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْلُوكِ
 (٧) عَهْدُوكِ لَا تَتَصَدَّعِينَ لِحَادِثٍ * أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُوكِ
 (٨) هَذَا التُّرَابُ - وَأَنْتِ أَعْلَمُ - مُلْتَقَى * هَذَا الْوَرَى مِنْ مُسَوِّفَةٍ وَمُلُوكِ
 (٩) هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَيْنَ جَنَّتِي مَا جِدَ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ لِحُطُوبِ صَحُوكِ
 (١٠) يُغْضِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقَى * عِزُّ الْمَلِكِ وَذِلَّةُ الْمَمْلُوكِ

(١) المنهوك : المهجود المضنى .

(٢) النعص : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الحمام (بالكسر) : الموت . وعمرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب
 بأسادها المثل . ويريد «عمرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لا ينقاد .

(٩) يغضى الزمان ، أى يستحي منه ويهابه .

ملاحظة — أشير فى نهاية هذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ،
 وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

”من مرثية وهمية“

بلغ حافظاً أن جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي، فلم يكد يسمع هذا النبأ
حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على
بيتين من هذه المرثية، وهما :

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ * أَمْسَى مِنَ الْأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِرَاعَانِ
وَوَظَّابَ عَنْ مُلْكِهِ مَنْ لَمْ تَغِبْ أَبَدًا * عَنْ مُلْكِهِ الشَّمْسُ مِنْ عِزِّ وَسُلْطَانِ



قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بِشَاشَةٍ دُنْيَانَا وَدُنْيَاكَ * وَفَارَقَ الْإِنْسُ مَغْنَانَا وَمَغْنَاكَ
 حَمَاكَ دُونِي أَسْوَدٌ لَا يَطَاوِلُنَا * شَاكِيَ السِّلَاحِ فَكَيْفَ الْأَمْرُ الشَّامِكِ
 وَجَشْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقُوَّتِهِمْ * أَنَّ أُمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ نَحَايَاكَ
 وَأَرْصِدُوا لِي رَقِيًّا لَيْسَ يُخْطِئُهُ * هَجَسُ الْفَوَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَكَ
 يُحْصِي تَرَدُّدَ أَنْفَاسِي وَيَعْنِي * نَفْحَ الشَّمَائِلِ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَاكَ
 مُنِعْتُ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلَوْتَهَا * وَكَمْ تَعَلَّلْتُ فِي الْبَلَوَى بِجَبَّوَاكَ
 مَا كَادَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِي قُيُورِدُنِي * مَوَارِدَ الْحَتِيفِ إِلَّا حُبُّكَ الزَّاكِي
 تَنَاولَتْ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتُهُ * وَقَرَّرْتُ خَلَجَاتِ الْقَلْبِ مَتَوَاكِي
 وَظَنُّ أَهْلِكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضَنِي * قَوْلُ الْوَشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَّاكِي
 قَالُوا سَلَا عَنْكَ غَدْرًا وَابْتَغَى بَدَلًا * وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَعَايَاكَ
 كَمْ لِي أَحَادِيثُ شَوْقٍ لَا تُنَافِيهَا * زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يَسْمُو بِهَا الْحَاكِي
 إِنْ تُكْرِهِيهَا فَسَكَمَ طَارَ الرِّوَاةُ بِهَا * إِلَى حِمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَاكِ
 مُتَعَلِّمِينَ إِذَا مَا التَّغْمُرَةُ انْحَسَرَتْ * مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَدَّاهُ
 رَمَيْتُ عَنْكَ إِلَى أَنَّ خَاتَمِي وَتَرَى * وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نَعْمَاكَ

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم
الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل المصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل
حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

عَيْدٌ هُنَا ، وَهَنَّاكَ قَامَ الْمَأْتُمْ * مَلِكٌ يَنْسُوحُ ، وَتَابِعٌ يَتَرَنَّمُ
عَجَبًا أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَهَاجَ هُنَا * دَمٌ فَرِحَ ، وَهَنَّاكَ لِلْقَتْلِ دَمٌ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالَم الإسلامي
في تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذى يقيم فيه المعتمد البريطانى ممثل الاحتلال
وصاحب السلطة الفعلية فى البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزى .

وفى هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قَصْرَ الدُّوْبَارَةِ مَا لِلشَّيْخِ رَابِعًا * وَالذُّبُّ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ يَنْجِلُ
إِنِّ سَمِعْتُ بِعَابِدِينَ عَوَاءَهُ * فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَسُودُ مَنْ لَا يَمِيقُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يَا مَلِيكَ بِرَغْمِهِ يُلْبَسُ النَّسَاءُ * جَ وَرَقَى لِعَرْشِهِ مَمْلُوكَا
إِنْ أَتَمَّتْ يَدَاكَ تَخْرِيْبَ مِصْرٍ * فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخُرَابَ أَبُوكَ^(١)
أَبْقَى شَيْئًا — إِذَا مَضَيْتِ ذَمِيمًا * عَنْ قَرِيبٍ — يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا^(٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذى أفلس مصر وأدانها بتبذيره وامرافه حتى سقطت فى براثن
الاحتلال والديون الأجنبية . (٢) يقول الشاعر للك فؤاد لا ترتكب المفاصد كلها ،

حتى يجد أبنائك من بعدك شيئا يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولا وفروعا .

إلى باني الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، باني الهرم
ومسخر الملايين .

من الشاعر في عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون
في عهد الملوك الآلهة والرايا العبيد .

من ابن مصر في القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر في القرن العشرين
قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعي

تَخَّرَ الْعِلْمَ لِيَبْنِيَ آيَةً * فوق شَطِّ النيلِ تبدو كالْعِلْمِ^(١)
هي ذِكْرٌ خَالِدٌ لَكِنَّهُ * حَابِسُ الْوَجْهِ إِذَا الذِّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا * أَنَهَا قَبْرٌ لِحَبَّارِ حُطَمِ^(٢)
لَيْتَهُ تَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ * مِنْ قُيُوسٍ فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرِّثَمِ
مِنْ فَنُونٍ أُعْجِزَتْ أَطْوَأَقْنَا * وَعُلُومٍ عِنْدَهَا الْفِكْرُ وَجَمِ
وَبَنَانٍ مَبْدَعَاتٍ صَوَّرَتْ * أَوْجُهَ الْعُذْرِ لِعُبَادِ الصَّنَمِ^(٣)
أَبْدَعَتْ مَا أَبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ * وَعَلَى أَسْرَارِهَا الدَّهْرُ خَسَمَ

(١) العلم : الجبل .

(٢) الحطيم : البالي — وحطام الشيء . بقايا .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأبدى الماهرة التي صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر

في عبادتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قد عَفَوْنَا وَانْتَهَبْنَا فلماذا * نحن غُرِقْنَا ، وإذا الموتُ أُمُّ^(١)
 ثم كانت فترةٌ مقدورةٌ * غَرَّ فِينَا الدهرَ ضَعْفٌ فَهَجَمَ
 فَمَا سَكْنَا فَكَانَتْ قِسْوَةٌ * زَلَزَلَتْ رُكْنَ اللَّيَالِي فَانْهَدَمَ^(٢)
 كَانَ فِي الْأَنْفِيسِ جُرْحٌ مِنْ هَوَى * نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَانْتَسَمَ
 فَنَشَدْنَا الْعَيْشَ حُرًّا طَلَقًا * تَحْتَ ظِلِّ اللَّهِ لَا ظِلَّ إِلَّا لَهُ
 وَحَقِيقٌ أَنْ يُوفَى حَقُّهُ * مَنْ يَحْبِلُ اللَّهَ وَالصَّبْرَ اعْتَصِمَ
 آفَةُ الْمَرْءِ إِذَا الْمَرْءُ وَفَى * آفَةُ الشَّعْبِ إِذَا الشَّعْبُ انْقَسَمَ
 لَيْسَ مِنْهُ مَنْ يَخِي أَوْ يَنْتَنِي * أَوْ يَعْقُ النِّيلَ فِي رَعِي الذِّمِّ
 نَشَاءُ مِصْرَ ، نَبْنِئُوا مِصْرًا : بِكُمْ * تَشْتَرُونَ الْمَقْصِدَ الْأَسْمَى ، بِكُمْ ؟
 بِنُضَالٍ يُصَقِّلُ الْعِزْمُ بِهِ * وَشُهَادٍ فِي الْعُلَا حُلُولِ الْأَلَمِ
 أَنَا لَا أَنْفِرُ بِالْمَاضِي ، وَلَا * أَحْسَبُ الْحَاضِرَ يُطَرِّي أَوْ يُدَمِّمُ
 كُلُّ قَوْمِي أَنْ أَرَاكُمْ فِي غَدٍ * مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أُسُودًا فِي أَجَمِ

(١) أم — قريب .

(٢) المعنى أن في تماسكنا قوة فهزت الليالي ونكباتها التي سلطتها علينا .

فالفتى كل الفتى من لو رأى * فى اقتحام النار عزاً لا اقتحم
 لا تظنوا العيش أحلام المنى * ذاك عهد قد تولى وانصرم
 هو حرب بين فقير وفقى * وصراع بين براء وسقم
 هو نار ووقود فإذا * غفل الموقد فالنار حم^(١)
 فانفضوا النوم وجدوا للملا * فالعلاء وقف على من لم ينم
 ليس يحنى من تمنى وصلها * وانياً أو وادعاً غير الندم
 والأمانى شر ما تمنى به * همه المرة إذا المرء اعترم
 تحيد العزم وتثني حده * فهي كالماء لإخماد الضم^(٢)
 وانظروا اليابان فى الشرق وقد * ركزت أعلامها فوق القمم
 حاربوا الجهل وكانوا قبلنا * فى دجى عميائه حتى انهزم
 فاسألوا عنها الثريا لا الثرى * لأنها تحتل أبراج المم
 هم يمشى بها العلم إلى * أنبل الغايات لا تدرى السام
 فهي أنى حاولت أمراً مشت * يحلفها الأيام فى صف الخدم
 لا تبالى زلزلت من تحتها * أم عليها النجم بالنجم اصطدم
 تحذت شمس الضحى رمزاً لها * وكفى بالشمس رمزاً للعظم
 فهي لا تالو صموداً تبثنى * جانب الشمس مكاناً لم يرم

(١) الحزم - الرماد .

(٢) الضرم - النار .

التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة في دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريماً لمحسنى المنوفية : حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم في المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك في تكريمهم ، فألقى هذه القصيدة :

ثَلَاثَةٌ مِنْ سَرَاةِ النَّيْلِ قَدْ حَبَسُوا * عَلَى مَدَارِسِنَا سَبْعِينَ فِدَانَا
أَحْيَا بِهَا أَمَلًا قَدْ كَانَ يَخْنُقُهُ * بِمُحْلِ الْغَنَى وَجَهْلٌ قَدْ تَفَشَّيَا
وخالَفُوا سُنَّةَ فِي مَصْرٍ شَائِعَةً * بَحَرْتُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْآدَابِ خُسْرَانَا
فَلَمَّا هُمْ سَرَاةِ النَّيْلِ أَنْ يَقْقُوا * عَلَى الْقُبُورِ وَلَمَّا لَمْ تَحْوَ إِنْسَانَا
فَكَمْ ضَرِيحٌ خَلَاءَ لَا رُقَاتَ بِهِ * تَرَى لَهُ فِي مَنَاحِي النَّيْلِ «أَطْيَانَا»
وَكَمْ حَبُوسٍ عَلَى الْمَوْتِ وَغَلَّتْهَا * يَشْرِي الْجُبَاةُ بِهِ خُوصًا وَرِيحَانَا
وَالْعِلْمُ فِي حَسْرَةٍ ، وَالْعَقْلُ فِي أَسْفٍ * وَالدِّينُ فِي نَجَلٍ مِمَّا تَوَلَّيْنَا
مَا كَانَ ضَرَّ سَرَاةِ النَّيْلِ لَوْ فَعَلُوا * شَرَوْا كُمْ ، فَبَنَوْا لِلْعِلْمِ أَرْكَانَا^(١)
تَقْدَى عَيُونُ بَنِي مَصِيرٍ بِمُظْهِرِهِمْ * فِي «الرَّيْلِ» حَيًّا ، وَفِي «حُلْوَانَ» أَحْيَانَا^(٢)

(١) شرواكم أى مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقذى أى تؤذى — ويعيب الشاعر على الأثرياء بخلهم في الاتفاق على العلم وتمتعهم بما بهج

الحياة ما بين رمل الإسكندرية صيفا وحلوان شتاء .

(١) يبغون أن تحتوى الدنيا خزائنها * ويزرعوا فلوات الله أقطانا
 وليس فيهم أخو نفع وصالحه * ولا ترى لهم براً وإحسانا
 يا مصر حَتَّامٌ يشكو الفضل في زمن * يجنى عليه ويمسى فيك أسواناً (٢)
 قد سأل واديك خصباً مُمتعاً فمتى * تسيل أرجاؤه علباً وعرفاناً

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « في الشعر الجاهلي » شنَّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتعالى بعضهم فطالبوا باهدار دمه ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صحَّ ما قالوا ، وما أَرْجُفُوا * وألصقوا زوراً بدين العميد
 فكُفِّرْ طه « عند دِيَانِهِ » أَحَبُّ مِنْ إِسْلَامِ عَبْدِ الْحَمِيدِ

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعصيده بالاشتراك في أعداد من نسخ الكتاب ، هذا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما انتهى طبع الكتاب ، أرسل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها
 إهداءه :

(١) الفلوات جمع الفلاة وهي الصحراء الواسعة .

(٢) حَتَّام أى حتى متى - أسوان أى حزين .

هَدِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ بَائِسٍ * إِلَى الدَّمَرْدَاشِيِّ وَلِيِّ النَّعَمِ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا يَشْتَرِكُ * فِي نَسْخَةٍ فِيهَا ضَرْبُ الْحِكَمِ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بمدينة الأزبكية . وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كمادته بقصيدة ، فزعم المشرف أنه لا يعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته بيتين يرتجلهما .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخبث منك مشرفا .. وارتجل هذين

البيتين :

رِيَاضُ الْأَزْبَكِيَّةِ قَدْ تَحَلَّتْ * بِأَنْجَابِ كِرَامٍ أَنْتَ مِنْهُمْ
فَهَبْهَا جَنَّةً فَتَحَتْ لِحَيْرٍ * وَأَدْخَلْنَا مَعَ الْمَعْقُودِ عَنْهُمْ

ضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك ...

شهداء العلم

جريدة السفور — ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

فى سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوربا لاستكمال دراساتهم العليا فى جامعاتها وقد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذى كان يقلهم عبر إيطاليا فى أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوربا .

وكان وقع المصائب الفادح بالغ الألم والأثر فى مصر وفى سائر البلاد العربية والأجنبية . وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التى ألفت فى حفل جريدة السفور التى أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

صَلَمُونَا الصَّبْرُ يُطْفِئُ مَا اسْتَعْرَ * إِنَّمَا الْأَجْرُ لِمَفْجُوعِ صَبْرٍ
صَدَمَةٌ فِي الْغَرْبِ أَمْسَى وَقَعُهَا * فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مَشْنُومَ الْأَثَرِ
زَلَزَلَتْ فِي أَرْضِ مِصْرٍ أَنْفُسًا * لَمْ يُزَلِّزْهَا قَرَارُ الْمُؤْتَمَرِ^(١)
مَا اصْطَلَدَامُ النُّجُومِ بِالنُّجُومِ عَلَى * مَا كُنَى الْأَرْضُ بِأَذَى وَأَمَرٍ
قَطَفَ الْمَوْتُ بَوَاكِرَ النَّهْيِ * بِقَنَى أَجَلِ طَاقَاتِ الزَّهْرِ
وَعَدَا الْمَوْتُ عَلَى أَقَارِنَا * فَتَهَاوُوا قِرًّا بَعْدَ قَرٍ
فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالْعِلْمِ وَفِي * ذِمَّةِ اللَّهِ قَضَى الْإِثْنَا عَشَرَ
أَيُّ بَدْوٍ الشَّرْقِ مَاذَا تَابَكُمُ * فِي مَسَارِ الْغَرْبِ مِنْ صَرْفِ الْغَيْرِ
نَبَأٌ قَطَعَ أَوْصَالَ الْمَنَى * وَأَصَمَّ السَّمْعَ مِنَّا وَالْبَصِيرَ
كَمْ بِمِصْرٍ زَفَرَةٌ مِنْ حَرِّهَا * كُنْثَى الْأَعْفُرِ وَالطَّيْرِ وَكَرِ^(٢)

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذى عقد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للطالبة ببجلاء الإنجليز من مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالابقاء على الأوضاع فى مستعمرات الدول المنتصرة ومنها انجلترا .

(٢) وكذا الطير أى لزم وكزه — والمعنى أن الزفرات الحارة على شهادتنا كانت من القسوة والشدة كالرجح السموم التى تمكثس التراب وتلزم الطير وكزه من حرارتها وهجيرها .

كم أب أسوانَ دَائمَ قَلْبُهُ * مستطيرِ اللَّبِّ مَفْقُورِ الظَّهَرِ
 سَاهِمَ الوجهِ لما حَلَّ به * سَادَرَ النُّظْرَةَ مِنْ وَقْعِ الخَبَرِ
 كم بها والبدية والهمة * عَضَّهَا الشُّكْلُ بِنَابِ فَعَقَرِ
 ذَاتِ نَوْجٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى * عَلَّمَ الْأَشْجَانَ سُكَّانَ الشَّجَرِ^(١)
 تَسْأَلُ الْأَطْيَارَ عَنْ مَوْنِهَا * كَلِمَا صَفَّقَ طَيْرٌ وَاضْطَحَرَ
 تَسْأَلُ الْأَنْجَمَ عَنْ وَاحِدِهَا * كَلِمَا غَوَّرَ نَجْمٌ أَوْظَهَرَ
 تَهَبُّ الْعَمَرَ لِمَنْ يُنْبِئُهَا * أَنَّهُ أَفَلَتْ مِنْ كَفِّ الْقَدَرِ

* *

وَيَجَّ مَصِيرَ ، كُلِّ يَوْمٍ خَادَتْ * وَبَلَاءٌ مَا لَهَا مِنْهُ مَقَرٌ
 هَانَ مَا تَلَقَّاهُ إِلَّا خَطْبُهَا * فِي تَرَاثٍ مِنْ بَيْنِهَا مُدْخَرٌ
 قَدْ ظَلَمْتُمْ مَجْدَهُمْ فِي ثَقْلِهِمْ * إِنَّمَا نَقَلْتُهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ^(٢)
 فَسَوَاءٌ فِي تَرَاثِ الشَّرْقِ أَمْ * فِي تَرَاثِ الْغَرْبِ كَانَ الْمُسْتَقَرُّ
 أَلَيْتُمْ أَنْ نَرَى يَوْمًا لَنَا * فِي رُبُوعِ الْعِلْمِ شِبْرًا فَتُسَرُّ
 أَضْبِغْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بَيْنَهُمْ * شَاهِدًا مِمَّا لِكُتَابِ السَّيْرِ
 وَمَزَارًا كَلِمَا يَمَّمُهُ * نَاشِئٌ حَيًّا ثَرَاهِ وَادَّكِرَ
 وَدَلِيلًا لِابْنِ مَصِيرِ كَلِمَا * قَامَ فِي الْغَرْبِ بِمَصِيرِ فَانْتَحَرِ
 كَمْ مَسَلَاتٍ لَنَا فِي أَرْضِهِمْ * صَوَّرَتْ مُعْجِزَةً بَيْنَ الصُّوَرِ

(١) سكان الشجر هم الطير .

(٢) لم يرض حافظ عن نقل جنتهم إلى مصر ليدفنوا فيها ، بل آثر أن يدفنوا حيث ماتوا كمن

لجند مصر وكفاحها في سبيل العلم .

مَنْ رَمَى الْعَصِيرَ قَدْ خَلَتْ * أَشْرَقَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا وَازْدَهَرَ
فَاجْعَلُوا أَمْوَاتَنَا الْيَوْمَ بِهَا * خَيْرَ رَمِيٍّ لِرَجَاءٍ مُتَنْظَرِ

* *

أَمَّةَ الطُّلُبَانِ خَفَّفَتِ الْأَسَى * بِصَنِيعِ مَنْ أَيْادِيكَ الْغُرَرِ
بَجَعْتَ كَفَّكَ عَقْدًا زَاهِيًا * مِنْ بَيْنِنَا فَوْقَ وَادِيكَ اتَّسَرَ
وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهُمْ * مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مِسْمَاجٍ أَغْرَ
وَسَعَى كُلِّ بَرِيءٍ مُفْضِلِ * بِأَدَى الْأَحْزَانِ تَحْفُوضِ النَّظَرِ
وَبَكَّتْ أَفْلَاحُكُمْ أَفْلَاحًا * بِدُمُوعِ رَوْضَتِ تِلْكَ الْحُفْرِ^(١)
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ - * فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْحِلُّ الْأَبْرَ
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ * يَوْمَ "مِسِينَا" فَأَرْخَصْنَا الدُّرُورَ^(٢)
حَفِظْتُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنْعَنَا * وَبَنُو الرُّومَانِ أَوَّلَى مَنْ شَكَرَ

* *

أَيُّ شَبَابِ النَّيْلِ لَا تَقْعُدْ بِكُمْ * عَنْ خَطِيرِ الْمَجْدِ أخطارُ السَّفَرِ
إِنَّ مَنْ يَعَشُقُ أَسْبَابَ الْعَلَا * يَطْرُحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرَ
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَسْمَكُمْ * فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطْوَأُ الْبَشَرِ
نَحْنُ فِي عَهْدِ جِهَادٍ قَائِمٍ * بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ تَقِرْ

(١) روضت الحفر ، أى جمعت قبور أبنائنا روضة من الرياض لكثرة ما سقيت من الدموع .

(٢) مسينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مروع وصارعت مصر بمساعدة إيطاليا بالبركات ، وكان حافظ بن اشتراكوا في الدهرة لنجدتها بقصيدة من روائع شعره الإنسانى ، وهى منشورة فى الديوان بعنوان زلزال مسينا .

رثاء فقيد العلم والوطن
محمد عاطف بركات باشا^(*)
ألقيت في حفل تأبينه

المقطع في ١٢ سبتمبر ١٩٢٤

تَمَنَّيَ المَجدَ والمَحمَـدَ غالى * آلَ زُغُلُولٍ فَاصْبِرُوا ليلي
قَدَ هَوَى مِنْكُمْ ثَلاثَةُ أَقْـمَاءَ * رِخَلَتْ مِنْهُمْ بَروِجُ المَعَالِي
مات «فتحي»، وَمَنْ لَنَا بِجَـهـاءَ * وَأَفانينَ فِكرِهِ الجَوَالِ
كانَ أنجوبةَ الزمانِ ذِكاءَ * وَمَضَاءَ في كُلِّ أمرٍ عُضالِ
و «سعيد» وكانَ غصنا نَدِيًّا * فَتَحَّتْ فِيهِ زَهرَةُ الآمالِ
وَقَضَى «عاطف» وكانَ عَظِيماً * صادَقَ العِزمَ مُطَمَّانَ الحِلالِ
يَهزِلُ الناسُ والزمانُ، وَيابُي * غَيرَ جَدِّ مُوَاصِلِ وَنِضالِ
سَهِدُ الرأْيِ، نائِمُ الحَقيدِ، لَـيْ * عَنِ مَلاهي الوَرَى، عَـفِيفُ المَقالِ
قَدَ جَلَا سِيفَ عِزِّهِ صَنِيقُ الـ^(١) * نَفِيٍّ، فَأَرَبَى عَلَى السِوْفِ الصِّقالِ
وَنَمَتْ رَأْيَهُ التَّجَارِبُ حَتَّى * بَاتَ أَمْضَى مِنْ نَافِذاتِ النَّبالِ
يا شَهِيدَ الإِصْلاحِ فَادَرْتَ مِصرًا * وَهِيَ تَجْتَازُ هَوَلَ دَوْرِ انْتِقالِ

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم ، ورأس حيناً مدرسة القضاء الشرعي ، وظل يعمل في خدمة الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية ، وكان له الأثر الكبير في تطوير التعليم في مصر ، وكان يمت بصلة القرابة للزعيم سعد زغلول ، حيث كان الزعيم في منزلة خاله .

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفي الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغلول .

لو تَرَيْتِ لاسْتِطَالَ بك النيد * لى على هذه الخُطوبِ التوالى
 غَبر أن الردى ، وإن كَثُرَ لنا * سُ ، حريصٌ على البعيدِ المنال
 كلما قَامَ مُصْلِحٌ أَعْجَلَتْهُ * عن مُناه غَوائِلُ الآجالِ
 يُخْطِفُ النَّابِغُ النَّبِيهَ وَيَسْقَى * خاملُ الذكرِ فى نعيمٍ وخالٍ
 أيعيشُ الرُّبَالُ فى الغابِ جَيْلاً * ويمرُّ الغرابُ بالأجيالِ

*
*

كنتَ فوق الفراشِ والسَّقْمُ بادٍ * لَهَفَ نفسى عليك والجسمُ بالِ
 لم يُزْحِكْ عن نهوضك بالأعباء * داءٌ يهدُّ أَسَدَ الدَّحَالِ
 شغلتك الجهودُ والمداوى يمشى * فيك مَشَى المحاذيرِ المُغْتَالِ
 لم يدعُ منك غير قوة نفسٍ * تتجلى فى هيكلي من خيالِ
 عجز السَّقْمُ عن بلوغ مَداها * فَمَضَتْ فى سبيلها لا تبالِ
 لم تزلْ فى بِناءِ النيشِ حتى * هَدَمَ الموتُ عُمَرَ باني الرجالِ
 عَجِبَ النَّاسُ أَنْ رَأَوْا سَرَطَانَ الد * ببحرٍ قد دَبَّ فى رؤوسِ الجبالِ
 مَنْ رَأَى «عاطفاً» وقد وَصَلَ الْأَشْ * غَالَ بَعْدَ الْمُدُّو بالأشغالِ
 ظَنُّ ، أَوْ كَادَ ، أَنَّ أَوَّلَ نَوْمٍ * نَامَهُ كَانَتْ تَحْتَ تِلْكَ الرمالِ
 أو رأى قوةَ العزيمةِ فيه * وهو فوق الفراشِ بادي الهزالِ
 ظَنُّ بِأَسِّ الحَديدِ فَارَقَ مَثَوَا * هُ اجْتَوَاءَ وَحَلَّ عَوْدَ الخلالِ

*
*

قَدْ تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنْكَرَ * تَ عَلَى السَّالِفِينَ مَعْنَى الْحَالِ
 رُمَتْ فِي أَشْهُرٍ صَلَاحَ أُمُورٍ * دَمَرَتْهَا يَدُ الْعَصُورِ الْخَوَالِ
 رُبَّمَا إِصْلَاحَ مَا جَنَّتْ يَدُ « دَنَلُو » * بَ عَلَى الْعِلْمِ السَّنِينَ الطَّوَالِ
 وَقَلِيلٌ عِنْدِي لَهَا نَصْفُ جِيلٍ * لِمَجْدٍ مُوَفِّقٍ فَعَّالٍ
 لَمْ تَكُنْ مَصْرُومًا بِالْعَقِيمِ وَلَكِنْ * قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ^(١)
 أَفْسَحُوا لِلْجِيَادِ فِيهَا مَجَالًا * قَدْ أَضْرَّ الْجِيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ
 أَصْبَحَتْ فِي الْقَيُودِ تَمْشِي الْهُوَيْنَا * كَسَفِينٍ يَعْزُرُنَ بِجَرَى الْقَنَالِ
 فَاصْدَعُوا هَذِهِ الْقَيُودَ وَخَلُّوْا * هَاتِبَارِي فِي السَّبْقِ رِيحَ الشَّمَالِ
 عَرَفَ الْغَرْبُ كَيْفَ يَسْتَثْمِرُ الْجَدَّ * فَيَبْنِي بِفَضْلِهِ كُلَّ غَالِ
 وَدَرَى الشَّرْقُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ اللَّهُ * وَفَيُفِضِي بِهِ إِلَى شَرِّ حَالِ
 فَاتْرَكُوا اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ وَجِدُّوا * إِنَّ فِي اسْمِ الرَّئِيسِ أَيْمَنَ فَالِ
 فَاصْنَعُوا صُنْعَ عَاطِفٍ وَادْكُوه * آيَةَ الْمَجِيدِ — ذِكْرَةَ الْأَبْطَالِ

يَا مُحِبَّ الْجَدَالِ نَمْ مُسْتَرِيحًا * لَيْسَ فِي الْمَوْتِ مَتَقَدُّ لِلْجَدَالِ
 صَامِتٌ يُسَكَّتُ الْمَفَوَّهَ فَاعْجَبْ * وَبَطِيءٌ يَبْزُ خَطْوُ الْعِجَالِ^(٢)
 كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّحِيَّةَ يُرْجَى * فَهِيَ لِلَّهِ وَالْدُّنَا لِلزَّوَالِ
 إِنْ بَكَتْ غَيْرُكَ النِّسَاءُ وَأَذْرَفِ * مِنْ عَلَيْهِ الدَّمُوعَ مِثْلَ اللَّالِ
 فَعَلَى الْمَصْلُوحِينَ مِثْلِكَ تَبْكِي * ثُمَّ تَبْكِي جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ

(١) الحَيَال : العَقِيم .

(٢) التَّحِيَّة : التَّلُود .

رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى

مجلة النيل — ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صَاحِبَ النُّظَرَاتِ * فَابَّ عَنَّا فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ
 يَا أَمِيرَ الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ النَّضْدِ * يَرِاقِدُ كُنْتَ نَفْسَ أُمَّ اللُّغَاتِ
 كَيْفَ قَادَرْتَنَا سَرِيعًا وَعَهْدِي * بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرِ الْأَنَاءِ
 أَفْقَرْتُ بِعَدِّكَ الْأَسَالِيبُ وَاسْتَرْ * نَحْيَ عِثَارُ الرِّسَالِ الْمُتَعَمَّاتِ
 بَحَمَحْتُ بِعَدِّكَ الْمَعَانِي وَكَانَتْ * سَلَسَاتِ الْقِيَادِ مُبْتَدَرَاتِ
 وَأَقَامَ الْبَيَانُ فِي كُلِّ نَادٍ * مَا تَمَّ لِلْبِدَائِعِ الرَّائِعَاتِ
 لَطَمْتَ «مَجْدَلِينَ» بِعَدِّكَ خَدَّيْ * هَا وَقَامَتْ قِيَامَةُ «الْعَبْرَاتِ»^(١)
 وَأَنْطَلَوْتَ رِقَّةَ الشُّعُورِ وَكَانَتْ * سُلُوءَ الْبَائِسِينَ وَالْبَائِسَاتِ
 كُنْتَ فِي مَصْرٍ شَاعِرًا يَهْرُ اللد * سَبَّ بَايَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
 فَهَجَرْتَ الشُّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى النَّدَى * يَرِيقُ الْكُتُبَ بِالْمُعْجَزَاتِ
 مَتَّ وَالنَّاسُ عَنْ مُصَابِكَ فِي شُغْغٍ * لِي بِمُجَرِّحِ الرَّئِيسِ حَامِي الْحِمَاةِ^(٢)
 شُغِلُوا عَنْ أَدْيِهِمْ بِمُنَجِّجٍ * يَهْمُ فَلَمْ يَسْمَعُوا نِدَاءَ النُّعَاةِ
 وَأَفَاقُوا بِعَدِّ النِّجَاةِ فَالْفَوْا * مَتَزَلَّ الْفَضْلُ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
 قَدْ بَكَكَ الرَّئِيسُ وَهُوَ بِحَرِيحٍ * وَدَمُوعُ الرَّئِيسِ كَالرَّحْمَاتِ

(١) «مجدلين» و «العبرات» و «النظرات» من الروايات التي ترجمها المرحوم المنفلوطى .

(٢) توفي المرحوم المنفلوطى يوم الإعتدال، على الزعيم سعد زغلول في محطة مصر وهو متوجه إلى

إنجلترا لمفاوضة الإنجليز .

لم تُبَقِّ يافتي المحامد مالا * فلقد كنت مغرماً بالهبات
 كم أسألت لك اليراعة سبيلاً * من نضار يفيض فيض الفرات^(١)
 لم تؤثّل مما كسبت ولم تح * سب على ما أرى حساب الممات
 ميت عن يافع ونحس بنات * لم تخلف لها يسوى الذكريات
 وتراث الأديب في الشرق حزن * لبنيته ، وثروة للرواة
 لا تخف عثرة الزمان عليهم * لا ، ولا صولة الليالي العواتي
 عين سعيد ترعاهم بعد عي * بن الله فاهداً فقد وجدت المواتي

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق ، ولى مناصب
 القضاء والإدارة ثم وزيراً للمعارف « التربية والتعليم الآن » .
 وقد ناصر الأدب واللغة العربية في عصر اشتدت حملة الاستعمار والمبشرين
 عليها شدة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزاري وجود مستشار المعارف
 الإنجليزى ، مواقف مشهودة ، خرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة
 لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربى المبين .
 وكان من الطبيعى أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ،
 وأن يقتربه الوزير اليه ، ويعينه رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية .
 فكان عملاً جريئاً من الوزير أن يعين فى وظيفة حكومية ، أديباً يطارد الاستعمار
 ويطارده الاستعمار فى عصر الاستعمار ..

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المراثية المنبعثة من ضمير ووجدان الشاعر

بطنى الوفى الكليم .

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمْعَا * نَاجِ أَصَمِّ بِنَعْيِكَ السَّمْعَا
لَكَ مِئَّةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُنُقِي * مَا لَنْ أُرِيدُ لَطَوَّقَهَا تَزَمَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفًا ^(١) * وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرَمًا
فَلَيْشَمْتَ الْحُسَادُ فِي رَجُلٍ * أَمَسْتَ مِنْهُ وَأَصْبَحْتَ صَرْعِي
وَلتَحْمِلِ الْأَيَّامُ حَمْلَهَا * غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعَى
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَلًا * يَبِيدُ الْعَلَا وَيَأْتِفُهَا جَدَمًا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْحِشًا قَلِقًا * وَأَرَى الْمُرُوءَةَ أَقْفَرَتْ رُبْعًا
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَبُو حَسَنِ * يُوَلِّي الْجَمِيسَ وَيُحْسِنُ الصُّنْعَا
إِنْ جَاءَ ذُو جَاهٍ بِمَحْمَدَةٍ * وَتَرَا شَاهُ بِمِثْلِهَا شَفْعًا ^(٢)
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَتَائِلِهِ * تَنْدَى ، حَسِبْتَ بِكَفِّهِ نَبْعًا
سَلَنِي فَلَأَنِّي مِنْ صَنَائِعِهِ * وَسَلِ « الْمَعَارِفِ » كَمْ جَنَتْ نَفْعًا
قَدْ أَخْصَبَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ بِهِ * خِصْبًا أَدْرُ لِأَهْلِهَا الضَّرْمَا
تَاللهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ أَنِّي * يَدَمًا ، لَطُفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
قَدْ ضَمَنْتُ ذَرْمًا بِالْحَيَاةِ وَمَنْ * يَفْقِدُ أَحَبَّته يَضِيقُ ذَرْمًا

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا وقد رثاه الشاعر بقصيدة في هذا الديوان .

(٢) شاه أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الزكوة الواحدة ،

دة الشفع ذات الركعتين .

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي * فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعًا
 كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِنُنِي * وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
 يَسْتَعِي فَيُخْفِي لِي مَلَمَسَهُ * عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى
 كَمْ حَاوَلْتُ هَذِي مَعَاوِلُهُمْ * وَأَبَى إِلَهُ فَزَادَنِي رَفْعًا
 أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي * غَيْرَ الْيَاسَنِ ، وَأَصْبَحُوا جَمْعًا
 وَمَتَاهُهُمْ أَنْ يَحْطُمُوا بِيَدِي * قَلَمًا أَثَارَ عَلَيْهِمُ النُّقْعَا
 وَلَرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَقَرٌ * لَا يَصْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِسْمَا
 مَنْ ذَا يُوَاسِنُنِي وَيَكْلَأُنِي * فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَرْغَى
 لَا جَاهَ يَحْمِي ، وَلَا مَدَدٌ * عَنِّي يَرُدُّ الْكِدَ وَالْقَدَمَا
 بِكَ كُنْتُ أَدْفَعُ كُلَّ عَادِيَةٍ * وَأَجِيبُ فِي الْجُلَى إِذَا أَدْعَى
 وَأَقِيلُ عَثْرَةَ كُلِّ مَبْتَلِسٍ * وَأَفِي الْحَقُوقَ وَأُنْجِحُ الْمُسْعَى
 حَتَّى نَسِيَ النَّاعِي أَبَا حَسَنِ * فَوَدَدْتُ لَوْ كُنْتُ الَّذِي يُنْعَى
 غِيْظُ الْعِدَاةِ فَاوَلَوْ سَفَهًا * مِنْهُمْ لَحَبِلَ وَدَادِنَا قَطْعًا
 رَأْمُو لَهُ بَنًا - وَقَدْ حَمَلُوا * ظَلَمًا - فَكَانَ لَوْصِلِهِ أَدْعَى

* *

يَادُوحَةً لِلْبَرِّ قَدْ نَشَرْتُ * فِي كُلِّ صَالِحَةٍ لَهَا فُرْمَا
 وَمَنَارَةً لِلْفَضْلِ قَدْ رُفِعَتْ * فَوْقَ الْكِنَانَةِ نُورُهَا شَعَا
 وَمَثَابَةً لِلرِّزْقِ أَحْمَدُهَا * مَارِدٌ مِسْكِينًا وَلَا دَعَا
 لَمَنِ رَيْتُكَ وَالْأَسَى جَلُّ * وَالْحَزَنُ يَصْدَعُ مَهْجَتِي صَدْعَا
 لَا غُرْوًا إِنْ قَصُرْتُ فَيْكَ فَقَدْ * جَلَّ الْمَصَابُ وَجَاوَزَ الْوُسْعَا
 سَأْفِيكَ حَقِّكَ فِي الرِّثَاءِ كَمَا * تَرْضَى ، إِذَا لَمْ تُقْصِدِ الرَّجْعَى

فهرسٲ

قصائد الجزء الأول والثاني

(حرف الهمزة)

| صفحة | جزء | | |
|------|-----|---------------------------|--------------------------|
| ٥٨ | ١ | هل رأيتم موقفا كمل | في الأطباء يستحق الثناء |
| ٢٠٥ | ١ | لى كساء أنعم به من كساء | أنا فيه آتية مثل الكساء |
| ٢١٣ | ١ | بيابك النحاس والسعود | وموقف اليأس والرجاء |
| ٢٣٩ | ١ | هذا الظلام أثار كامن داني | يا ساقسي على الصهباء |
| ٢٥٢ | ١ | ألبسوك الدماء فوق الدماء | وأروك العدا بعد العدا |
| ١١٤ | ٢ | خلفت لى نفسا فارصدها | لحزن والبلوى وهذا الشقاء |
| ١٣٥ | ٢ | لا والأسمى وتلهب الأحشاء | ما بات بعدك ممجّب بوفاء |
| ١٣٦ | ٢ | أعزى القوم لو سمعوا عزائي | وأطن في مليكتهم رثائي |

(حرف الألف)

| | | | |
|-----|---|-----------------------|----------------------|
| ١٩٦ | ١ | تناءيت عنكم لحلت عرا | وضاعت عهد على ما أرى |
| ٢٢٢ | ١ | ينادى الجزيرة قف ساعة | وشاهد برك ما قد حوى |

(حرف الباء)

| | | | |
|-----|---|------------------------------|-----------------------------|
| ١٣ | ١ | ماذا أدخرت لهذا العيد من أدب | فقد عهدتك رب السبق والغلب |
| ١٥ | ١ | لحمت جلال العيد والقوم هيب | فعلينى آى العلاكيف تكتب |
| ٢٣ | ١ | بصكرا صاحبي يوم الإياب | وقفا بي بعين شمس قفا بي |
| ٢٦ | ١ | لو ينظّمون الآلى مثل ما نظمت | مذغبت عنا عيون الفضل والأدب |
| ٣٨ | ١ | أعجمى كاد يعملو نجمه | فى سماء الشعر نجم العرب |
| ١٥٤ | ١ | شيطان قد خبرا الوجود وأدركا | ما فيه من علل ومن أسباب |
| ١٦٠ | ١ | أنرق الدف لو رأيت شكيبا | وأفض الأذكار حتى يغيبا |

| صفحة | جزء | القصيدة | الموضوع |
|------|-----|---------------------------------|----------------------------------|
| ١٦١ | ١ | أديم وجهك يا زنديق لوجعلت | منه الوفاية والتجديد للتعب |
| ١٦٦ | ١ | أنى والله قد ملئ الوطاب | وداخلنى بصحبتك ارتباب |
| ١٧٦ | ١ | ملكتم على عنات الخطب | وبزتم بقسدى سماء الرتب |
| ١٨٨ | ١ | قل للتقيب لقد زرنا فضيلته | فإذا دنا منه حرام وجباب |
| ٢٣٣ | ١ | عجب الناس منك يا بن سليما | ن وقد أبصروا لديك عجيبا |
| ٢٥٦ | ١ | حطمت اليراع فلا تعجى | وعفت اللياف فلا تمنى |
| ٢٦٥ | ١ | إن كنتم تبدلون المال عن رهب | فنحن ندعوكم للبذل عن رغب |
| ٢٦٨ | ١ | لمصر أم لربوع الشام تنسب | هنا العلا وهناك المجد والحسب |
| ٢٧٢ | ١ | حيا كم الله أحيوا العلم والأدبا | إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا |
| ٣٠٢ | ١ | قضيت عهد حدائقى | ما بين ذل وافتراب |
| ٦ | ٢ | (عبد العزيز) لقد ذكرتنا أبا | كانت جوارك فى لحووفى طرب |
| ٧ | ٢ | لا تلم كفى إذا السيف نبا | صح منى العزم والدهر أبى |
| ١٧ | ٢ | أيمضى معانيك القريض المهذب | على أن صدر الشعر للدح أرحب |
| ٢٢ | ٢ | (قصر الدبارة) هل أتاك حديثنا | فالشرق ربيع له ونجح المغرب |
| ٤٨ | ٢ | أجل هذه أعلامه ومواكبه | هتينا لهم فليسحب الذيل ساحبه |
| ١٠٩ | ٢ | (قصر الدبارة) قد نقض | بت العهد نقض الغاصب |
| ١١٠ | ٢ | سكت فأصغروا أدبى | وقلت فأصغروا أربى |
| ١١٢ | ٢ | جرب حظى قد أفرغته طمعا | بياب أستاذنا (الشيبي) ولا عجا |
| ١١٦ | ٢ | ماذا أصبت من الأسفار والعصب | وطيك العمر بين الوخذ والخيب |
| ١٢١ | ٢ | وميت بها على هذا التباب | وما أوردتها غير السراب |
| ١٣٨ | ٢ | هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى | هنا خير مظلوم هنا خير كاتب |
| ١٧٢ | ٢ | صونوا راع (على) فى مناخكم | وشاوروه لدى الأرزاء والنوب |
| ١٨١ | ٢ | سكن الفيلسوف بعد اضطراب | إن ذاك السكون فصل الخطاب |
| ١٨٩ | ٢ | أيدرى المسلمون بمن أضيوا | وقد واروا سليما فى التراب |

| صفحة | جزء | | |
|------|-----|--------------------------------|----------------------------------|
| ٢٠٠ | ٢ | ولدى قد طال مهدي ونحبي | جئت أدعوك فهل أنت مجيبي |
| ٢٠٣ | ٢ | آذنت شمس حياتي بمقيب | دنا المنهل يا نفس فطبي |
| ٢١٤ | ٢ | ما أنت أول كوكب | في الغرب أدركه المنقب |
| ٢١٨ | ٢ | إيه يا ليل هل شهدت المصابا | كيف ينصب في القوس انصبابا |
| ٢٣٠ | ٢ | لعب البلى يملأب الألباب | ومحا بشاشة فك الخلاب |
| ٢٣٨ | ٢ | دمعة من دموع عهد الشباب | كنت خباتها ليوم المصاب |
| ٢٤٦ | ٢ | بدأ الممات يدب في آترابي | وبدأت أعرف وحشة الأحباب |
| ٢٧٢ | ١ | حياكم الله أحيوا العلم والأدبا | لأن تنشروا العلم ينشرفكم المرأيا |

(حرف التاء)

| | | | |
|-----|---|----------------------------|----------------------------|
| ٥٥ | ١ | فيك السعيدان اللذان تباريا | يا مصر في الخيرات والبركات |
| ١٢١ | ١ | إليكن يهدى النيل ألف تحية | معطرة في أسطر عطرات |
| ١٩٦ | ١ | يا كاتب الشرق ويا خير من | تسلو بنو الشرق مقاماته |
| ٢٥٣ | ١ | رجعت لنفسى فاتهمت حصاق | وناديت قومي فاحتسبت حياتي |
| ٣١٨ | ١ | أحيانا لا يرزقون بدرهم | وبألف ألف ترزق الأموات |
| ٣١٨ | ١ | أحيانا لا يرزقون بدرهم | وبألف ألف ترزق الأموات |
| ٦٩ | ٢ | (إيلاي) ما أنا حي | يرجى ولا أنا ميت |
| ١٤٤ | ٢ | سلام على الإسلام بعد عهد | سلام على أيامه النضرات |

(حرف الحاء)

| | | | |
|-----|---|-----------------------------|-------------------------------|
| ٧١ | ١ | (لونا) شهرة في الطب تاهت | بها مصر وتاه بها مديحي |
| ١٤٨ | ١ | أهل الصحافة لا تفضلوا بعده | فسيأوكم قد زانها (المصباح) |
| ٢٤٢ | ١ | وفنيان أنس أقسموا أن يتدوا | بجيوش الدجى ما بين أنس وأفراح |
| ٢٤٢ | ١ | مررت كعمر الورد بينا أجنسلي | لمصباحها إذ آذنت برواح |
| ٩٤ | ٢ | ما لي أرى الأكام لا تفتح | والروض لا يذكو ولا ينفج |

| | | | |
|------|-----|--------------------------|--------------------------|
| صفحة | جزء | أشرق فديتك مشارق الإصباح | وأما طلائعك من نهار ضاحي |
| ٩٧ | ٢ | سليل الطين كم قلنا شقاء | وكم خطت أنا ملنا ضريحاً |
| ١١٢ | ٢ | | |

(حرف الدال)

| | | | |
|-----|---|---------------------------------|-------------------------------|
| ٧ | ١ | تعمدت قتلى في الهوى وتعمدا | فأثمت عيني ولا لحظه اعتدى |
| ٣٣ | ١ | أهنيك أم أشكو فراقك قائلاً | أيا ليتني كنت السجين المصفدا |
| ٥٠ | ١ | إنت هشوك بها فليست مهشاً | إني عهدتك قبلها محسوداً |
| ١٤٤ | ١ | أرايت رب التاج في | عيد الجنلوس وقد تبدى |
| ١٥٣ | ١ | يا كوكب الشرق أشرق | فالحادثات نجمد |
| ١٩٥ | ١ | لقد بت محسوداً طيلك لأنني | فتاك وهل خير المنعم يحسد |
| ٢٢١ | ١ | أرحمونا بني اليهود كففاكم | ما جمعتم بحذقكم من تقود |
| ٢٤٣ | ١ | نمرة في (بابل) قد صهرجت | هكذا أخبر حاخام اليهود |
| ٢٤٧ | ١ | ومن عجب قد قبلدوك مهنداً | وفي كل لحظ منك سيف مهند |
| ٢٦١ | ١ | ممننا حديثاً كقطر الندى | بجدد في النفس ما جدد |
| ٢٦٤ | ١ | مالي أرى بحر السبا | سنة لا يني جزرا ومدا |
| ٢٠ | ٢ | أيها القاتمون بالأمر فينا | هل نسيتم ولاءنا والسودادا |
| ٣١ | ٢ | بنات الشعر بالنفحات جودى | فهذا يوم شاعرك المجيد |
| ٢٦ | ٢ | قضى الشعر هذا موطن الصدق والهدى | فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا |
| ٤٣ | ٢ | لأرض الله عهداً من جدود | كيف أمسيت يا بن (عبد المجيد) |
| ٨٩ | ٢ | وقف الخلق ينظرون جميعاً | كيف أبني قواعد المجد وحدي |
| ١٠٨ | ٢ | لقد طال الحيات ولم تكفوا | أما أرضناكم ممن الحيات |
| ١٣١ | ٢ | ردا كؤوسكم من شبه مفؤود | فليس ذلك يوم الراح والعود |
| ١٣٣ | ٢ | أيها الثرى لإلام التنادى | بعد هذا أنت غرثان صادى |
| ١٣٩ | ٢ | ردوا على بيانى بعد (محمود) | إني عيت وأعيا الشعر مجهودى |
| ١٩٧ | ٢ | من ليوم نحن فيه من لند | مات ذو العزمة والرأى الأسد |

صفحة جن

(حرف السراء)

| | | | |
|-----|---|-----------------------------------|-------------------------------|
| ١١ | ١ | مطالع سعد أم مطالع أقار | تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري |
| ١٥ | ١ | في عيد مولانا الصنيد | مر وعيد مولانا الكبير |
| ١٨ | ١ | لمحت من مصر ذاك التاج والقمر | فقلت للشعر هذا يوم من شعرا |
| ٢٦ | ١ | إن صورك فائما قد صوروا | تاج الفخار ومطلع الأنوار |
| ٣١ | ١ | قصرت عليك العمر وهو قصير | وظالت فيك الشوق وهو قدير |
| ٥٧ | ١ | رباك والدك الكريم على التقى | وملى الزاهة والضمير الطاهر |
| ١١٤ | ١ | يا كاسى الأخلاق فى | بلد عن الأخلاق عارى |
| ١٥٠ | ١ | قلم اذا ركب الأنامل أوجرى | سجدة له الأفلام وهى جوارى |
| ١٦٧ | ١ | شجنتا مطالع أقارها | فسالت نفوس لتدكارها |
| ١٨٥ | ١ | كنافظ إبراهيم لكنسه | أجمل خلقا منه فى الظاهر |
| ١٨٩ | ١ | قل للرئيس أدام الله دوله | بأن شاعره بالباب منتظر |
| ١٩١ | ١ | شكرت جميل صنعكم بدعى | ودمع العين مقياس الشعور |
| ١٩١ | ١ | وافى كتابك يزدرى | بالدر أو بالجرور |
| ١٩٤ | ١ | طال الحديث عليكم أيها السمر | ولاح للنوم فى أجفانكم أثر |
| ٢٠٤ | ١ | لا غرو إن أشرق فى منزلى | فى ليلة القدر يحيا الوزير |
| ٢٠٤ | ١ | أحمد كيف تنسأى وبنى | ربنك يا أنى صلة الجوار |
| ٢٢٧ | ١ | عاصف يرتى وبحر يغير | أنا بالله منهما مستجير |
| ٢٣٤ | ١ | كأنى أرى فى الليل نصلا مجزدا | يطير بكننا صفحته شرار |
| ٢٣٦ | ١ | ياساهد النجم هل للصبح من خبر | إنى أراك على شئ من الضجر |
| ٢٤٧ | ١ | أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى | أعبدك من وجد تغفل فى صدرى |
| ٢٤٧ | ١ | قالت الجوزاء حين رأت | جفنه قد واصل السهرا |
| ٢٥٠ | ١ | سائلوا الليل عنهم والنهار | كيف باتت نساؤهم والمذارى |
| ٢٩٢ | ١ | هذا صبي هائم | تحت الفلام هيام حائر |

| صفحة | جزء | | |
|------|-----|-------------------------------|---------------------------------|
| ٢٩٩ | ١ | واسبق الفجر الى روض الزهر | أيها الومى زر نبت الربا |
| ٣٠٧ | ١ | قد راقه لنا أن تنشرا | أيها الطفل لك البشرى فقد |
| ١٠ | ٢ | ومورد الموت أم الكوثر | أساحة للحرب أم محشر |
| ٣٧ | ٢ | هلال رآه المسلمون فكبروا | أطل على الأكوان والخلق تنظر |
| ٧٦ | ٢ | في المشرقين صلا وطار | أهلا بأول مسلم |
| ١٠٩ | ٢ | أصبح في الابهام كالمحشر | كم حددنا يوم الجلاء الذى |
| ١٢٢ | ٢ | قد منها من شدة السهر | ما لهذا النجم في السحر |
| ١٢٣ | ٢ | بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر | لقد كانت الأمثال تضرب بيننا |
| ١٥١ | ٢ | وأيت أنثر بينهم أشعارى | ثروا عليك نوادى الأزهار |
| ١٦٤ | ٢ | لمدحك من كتاب مصر كبير | رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى |
| ١٧٩ | ٢ | ك وأنت رامية النسور | أخت الكواكب ماربا |
| ١٩٣ | ٢ | فالخلق في الدنيا سير | ملك النهى لا تبعدى |
| ٢٠٢ | ٢ | وأثرت يا مصرى سكنى المقابر | لك الله قد أمرت في السير قبلنا |
| ٢٠٨ | ٢ | ولم يغن عنا وعنك الحذر | نعاك النعاة وحم القدر |
| ٢١٦ | ٢ | لم يدروا أبدى وما أضمر | من لم يذق فقد أليف الصبا |
| ٢٤٢ | ٢ | غبت فيه عن حالة الأحرار | يا بن (عبد السلام) لا كان يوم |

(حرف السين)

| | | | |
|-----|---|-------------------------|---------------------------|
| ١٠٣ | ١ | أسمى بأمر الرئيس | أتيت سوق عكاظ |
| ١٨٨ | ١ | ليس لى فيها أنيس | أنا فى الجيزة ثار |
| ٢٤١ | ١ | بينهم وبين ظن وحس | أوشك الديك أن يصيح ونفسى |
| ٢٤٦ | ١ | فإن فى الحب حياة النفوس | يا أيها الحب امتزج بالحشى |
| ٢٩٦ | ١ | وهكذا يؤثر عن (قس) | أجاد (مطران) كعادته |
| ٣٠٦ | ١ | وجلالا بيوم عيد الجلوس | إن يوم احتفالكم زاد حسنا |

صفحة جز

(حرف العين)

| | | | |
|-----|---|--------------------------------|-------------------------------|
| ٣٤ | ١ | ما أنت إلا عاشق مدعى | هجمت يا طير ولم أجمع |
| ١١٩ | ١ | بشعر أمير الدولتين ورجعى | بلابل وادى النيل بالمشرق اجبى |
| ١٤٢ | ١ | بيان وراع الجامعة | قد راع دار العدل طفد |
| ١٤٣ | ١ | بمدك من أرائك النافعه | قد أجديت دار الحجا والنهى |
| ١٥٨ | ١ | بارك الله فى (ظلال الدموع) | قد قرأنا ظلالكم فاشتفينا |
| ١٦١ | ١ | يخط ومن يتلو ومن يسمع | هنا يستغيث الطرس والنفس والذى |
| ١٩٦ | ١ | وفاته ما فيه من إبداع | من لم ير المعرض فى اتساع |
| ٢٠٣ | ١ | وعينى لازمت مكب الدموع | نمى يا بايلى إليك شوق |
| ٢٥٩ | ١ | لرجال الدنيا القديمة باعا | أى رجال الدنيا الجديدة مدوا |
| ٣١٨ | ١ | طلع النهار وأفزع | أخشى مريبى إذا |
| ١٢٤ | ٢ | ولا قيل أين الفتى الأسمى | مرضنا فاعادنا عائد |
| ١٦٧ | ٢ | حديث الورى عن طيب ما كتبت تصنع | (رياض) أفق من غمرة الموت راسم |
| ٢٢٨ | ٢ | على الأريب الكاتب الأسمى | أبكى وعين الشرق تبكى معى |

(حرف الفاء)

| | | | |
|-----|---|------------------------------|------------------------------|
| ٢١ | ١ | وأنصفت من نفسى وذو اللب ينصف | صدفت عن الأهواء والخرت يصدف |
| ٢٣٨ | ٢ | فلتبه الأفلام أو تنقصا | غاب الأديب أديب (مصر) واختفى |

(حرف القاف)

| | | | |
|-----|---|---------------------------|-------------------------------|
| ٤٠ | ١ | وسطا على جنبيك هم مقلاق | سكن الظلام وبات قلبك يخفق |
| ١١٨ | ١ | ميس العروس مشت على استبرق | ما بال (دندرة) تميمس تهاديا |
| ١٤١ | ١ | بآية الإعجاز فى الخلاق | أيا يدا قد خصها ربه |
| ٢٠٧ | ١ | والسمع يملكه الكذب الخاذق | وجدوا السيل الى التقاطع بيننا |
| ٢١٢ | ١ | ولكل عصر واحد لا يلحق | يا (جالك) إنك فى زمانك واحد |

| صفحة | جزء | | |
|------|-----|--------------------------|---------------------------|
| ٢٧٩ | ١ | في حب (مصر) كثيرة العشاق | كم ذا يكابد عاشق ويلاق |
| ٢٩٨ | ١ | أنت يا رب من ولاء الصديق | لا أبالي أذى العدو لخطي |
| ٥٨ | ٢ | أمل سألت الله أن يحقق | لي فيك حين بدا ساك وأشرقا |
| ٨٦ | ٢ | من هولها أم الصواعق تغرق | لا هم إن الغرب أصبح شعله |
| ٢٠٨ | ٢ | كان البكا فيه بنا أليفا | أكثرتم التصفيق في موطن |

(حرف الكاف)

| | | | |
|-----|---|----------------------------|----------------------------|
| ٣٦ | ١ | يزهو بنور جبينك | لله عيد كبير |
| ١٠٩ | ١ | قد رماها في قلبها من رماكا | أحمد الله إذ سلحت لمصر |
| ١٣٣ | ١ | وجاز شأواها السباكا | سما الخطيئات في المعالي |
| ١٦٠ | ١ | شيئا يعوق مسيرها إلاكا | عطلت فن الكهرباء فلم تمجد |
| ٢٠١ | ١ | ماذا تحاول بعد ذاك | يا شاعر الشرق اتشد |
| ٢٤٨ | ١ | إذا رأينا في الكرى طيفكا | ظلي الحمى بالله ما ضركا |
| ٣١٤ | ١ | بغرام راقصة وحب هلوكا | كم وارت غض الشباب رميته |
| ٢١٧ | ٢ | كأننا قد نسينا يوم منعاكا | عجبت أن جعلوا يوما لذكراكا |
| ٢٤٦ | ٢ | أم في المحاجر خلصة خبثوك | بين السرائر ضنة دفنوك |

(حرف اللام)

| | | | |
|-----|---|---------------------------|--------------------------------|
| ٤ | ١ | ولما أفف بين الهوى وللندل | بلغتكم لم أنسب ولم أنفزل |
| ٥ | ١ | ما كل متنسب للقول قوولك | فالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا |
| ٦٧ | ١ | لك العرش الجديد وما يظل | هنيئا أيها الملك الأجل |
| ٧٥ | ١ | عن البلاد بعزها موصول | في ساحة (البدوى) حلت ساحة |
| ٩٨ | ١ | مثالا للنزاهة والكمال | لقد عاشرتنا فلبت فينا |
| ١١٠ | ١ | أن يستقل على يدك النيل | الشعب يدعو الله يا (زغلول) |
| ١٣١ | ١ | فاقتبسنا نورا يضيء السبيل | قد قرأناكم فهشت نهانا |

| صفحة | جز | | |
|------|----|-----------------------------|-------------------------------|
| ١٤٨ | ١ | أضحي (نجيب) وكبلا | لنا ونعم الوكيل |
| ١٥٣ | ١ | (عثمان) إنك قد أتيت موقفا | شروى سميك جامع التزليل |
| ١٥٩ | ١ | جرائد ما خط حرف بها | لفير تفريق وتضليل |
| ١٥٩ | ١ | لا تعجبوا فليكنكم لعبت به | أيدى البطانة وهو في تضليل |
| ١٧١ | ١ | يا صارما أنف الثواء بنمده | وأبى القرار ألا تزال صقيلا |
| ٢٠٠ | ١ | سيرا أيا بدرى نساء الملا | واستقبلا التّم ولا تأفلا |
| ٢٠٣ | ١ | أدلال ذاك أم كسل | أم تناس منك أم ملل |
| ٢٠٩ | ١ | * يادولة القواضب الصقال * | |
| ٢٣٧ | ١ | ضمت بين النهى وبين الخيال | يا حكيم النفوس يا بنى المعالي |
| ٢٣٧ | ١ | أفضيه فى الأشواق إلا أقله | بطلء مرى أبدى الى الليث ميله |
| ٢٧٥ | ١ | شبعأ أرى أم ذاك طيف خيال | لا بل فناة بالمرء خيال |
| ٣١٠ | ١ | أيها الطفل لا تخف عنت الدهر | مر ولا تخش عاديات الليالى |
| ٣١٢ | ١ | أى رجال الدنيا الجديدة مهلا | قد شاورتم بالمعجزات الرجالا |
| ١٥٦ | ٢ | لله درك كنت من رجل | لو أمهلتنك غوائل الأجل |
| ١٧٦ | ٢ | جل الأسى فتجمل | وإذا أبيت فأجمل |

(حرف الميم)

| | | | |
|-----|---|------------------------------|------------------------------|
| ٥٠ | ١ | منى قلها يا لابس المجد معلما | أديننا وديننا زادك الله أنما |
| ٥٥ | ١ | لم نجد ما ينى بقدرك فى المحج | بد فيهدى الى حماك الكريم |
| ٥٦ | ١ | لانى دعيت الى احتفالك بلخاة | فأجبت رغم شواظلى وسقامى |
| ٥٨ | ١ | جازبى صرغها فهاج الغراما | ودعاني فزرتها للماسا |
| ٦٣ | ١ | وسع الفضل كله صدرك الرح | ب فـن شاء فليبنى وسامه |
| ٧٢ | ١ | يحبيك من أرض الكفاة شاعر | شخوف بقول العبقرين مغرم |
| ١٠٦ | ١ | أقصر الزعفران لأنت قصر | خليق أن يتيه على النجوم |
| ١٥٠ | ١ | أحييت ميت رجائنا بصحيفة | أشنى عليها الشرق والاسلام |

| صفحة | جزء | | |
|------|-----|-----------------------------------|--------------------------------|
| ١٦٢ | ١ | وذكرى ذلك العيش الرحيم | أثرت بنا من الشوق القديم |
| ١٧٢ | ١ | وعصافى الطبع السليم | ملكت على مذاهي |
| ١٩٧ | ١ | * من واجد متفر المنام * | |
| ٢٠٢ | ١ | لا يؤدنى مثل هذا الخصاص | إن عضيك يا أنى بالسلام |
| ٢٤٦ | ١ | يا (جوليا) أنكر فيه الغرام | تمثل إن شئت في منظر |
| ٢٤٨ | ١ | وفي النور والظلماء والأرض والسماء | أذنتك ترنا بين في الشمس والضحى |
| ٢٨٢ | ١ | أم شهاب يشق جوف الظلام | صفحة البرق أو مضت في الغمام |
| ٢٨٨ | ١ | دأى الفؤاد وليله لا يعلم | كم تحت أذيال الظلال متيم |
| ٣١٦ | ١ | ش ولم تحسوا عليه القياما | أيها المصلحون ضاق بنا العيد |
| ٢٥ | ٢ | حواشيه حتى بات ظلها منظما | لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت |
| ٥٣ | ٢ | أهم ذاد نبومك أم هيام | لقد فصل الدجى فتي تنام |
| ٦٢ | ٢ | بلغى (البسفور) عن (مصر) السلاما | بالذى أجزاك يارب الخزامى |
| ٦٦ | ٢ | فاستفق يا شرق واحذر أن تناما | طمع ألقى عن الغرب اللثاما |
| ٨٨ | ٢ | عهد كرام فيك صلوا وسلموا | (أيا صوفيا) حان التفريق فاذكرى |
| ١٠٥ | ٢ | وابن الكنانة في حماه يضام | قد مر عام يا (سعاد) وعام |
| ١٠٦ | ٢ | فكان لكم بين الشعوب ذمام | بنيت على الأخلاق أساس ملككم |
| ١٠٨ | ٢ | واطمسوا النجم واحرمونا النسيما | حولوا النيل واجهبوا الضوء عنا |
| ١١٤ | ٢ | وعدت وما أعقبت إلا التندما | سميت الى أن كدت أنتمل الدما |
| ١٦٠ | ٢ | واقضوا هنالك ما قضى به الذم | طوفوا بأركان هذا القبر واستلوا |
| ١٨٦ | ٢ | لم يرع عندك للاساة ذمام | لامر حيا بك أي هذا العام |
| ٢٠٧ | ٢ | بر عذا الردى فطواهما | عليان من أعلام مصر |
| ٢٤٥ | ٢ | عفاة الناس أم هم الكرام | أعزى فيك أهلك أم أعزى |

(حرق النون)

| | | | |
|----|---|------------------------------|-----------------------------|
| ٣ | ١ | حائل لو شئت لم يكن | خال بين الجفن والوسن |
| ٢٨ | ١ | واقض المناسك عن قاص وعن داني | طف بالأريكة ذات المز والشان |

| صفحة | جزء | القصيدة | الموضوع |
|------|-----|--------------------------------|-------------------------------|
| ٤٤ | ١ | وأجل عيد جلوسك الثقلان | أثنى الحجيج عليك والحرمان |
| ٦٣ | ١ | ذكرى الأرائل من أهل وجيران | يا صاحب الروضة الغناء هجت بنا |
| ٩٨ | ١ | فتنظري يا (مصر) محسر بيانه | ورد الكنانة عبقري زمانه |
| ١١٨ | ١ | أدب السرى وياقنى الفتيان | يا كاسى الخلق الرضى وصاحب ال |
| ١٣٣ | ١ | وطالع اليمن من (بالشام) حيان | حيا بكور الحيا أرباع لبنان |
| ١٤٢ | ١ | ماذا اعتددت بلرح العاشق العانى | قل للطبيب الذى تعنو الجراح له |
| ١٤٨ | ١ | للناس قالوا معجز ثانى | هذا كتاب منذ بدا مره |
| ١٤٩ | ١ | بشعرك فوق هام الأولينا | أراك - وأنت نبت اليوم - تمشى |
| ١٥٩ | ١ | ج هبت لا تسم الحصونا | يا ساكن البيت الزجا |
| ١٧٩ | ١ | أرهفت للقبول ذهني | يا يوم تكريم (حسنى) |
| ١٨٤ | ١ | ويسا أديب الزمان | يا سيدي وإمامي |
| ١٨٧ | ١ | صاد ويسق ربا مصر ويسقينا | عجبت للنيل يدرى أن بلبله |
| ١٨٩ | ١ | قصص المدافع فى أفق البساتين | يرغى ويزبد بالقافات تحسبها |
| ٢٠٧ | ١ | فنسوا بالليل وضاح الجبين | لاح منها حاجب للناظرين |
| ٢١٥ | ١ | ما دهم الكون أيها الفرقدان | نبشاني إن كنتا تعلبان |
| ٢٣٨ | ١ | فأثنى قافلا الى السودان | أنكر النيل موقف الخزان |
| ٢٣٨ | ١ | فما منك بالباكي الحزين | يا من خلقت الدمع لعل |
| ٢٤٤ | ١ | جئدوا بالله عهد الغائبين | فتية الصبباء خير البشاريين |
| ٢٤٦ | ١ | متيا يخشى نزال الجفون | غضى جفون السحرا وفارحمي |
| ٢٤٨ | ١ | واختار غرتك الغرا له سكنا | سأله ما لهذا الخال مفردا |
| ٢٤٩ | ١ | ود لو يسرى بها الروح الأمين | سور عندي له مكتوبة |
| ٣١٥ | ١ | وذودا عن تراث المسلمين | أعيدوا مجدنا دنيا ودينا |
| ٥ | ٢ | وتنظر ما يجرى به الفتيان | رويدك حتى يخفنى العلبان |
| ١٤ | ٢ | ج ويا شمس ذلك المهرجان؟ | أين يوم (القتال) يا ربة الننا |

| صفحة | جزء | القصيدة | الموضوع |
|------|-----|----------------------------|------------------------------|
| ٨٢ | ٢ | حسدت روائع حسنا (برلين) | فقه آثار هناك كريمة |
| ٨٧ | ٢ | من ورحلت أرقب جمعته | خرج القسواني محتجج |
| ١٠٦ | ٢ | قصيد البطل بؤس العالمينا | ألم تر في الطريق إلى (كباد) |
| ١٠٧ | ٢ | فصايبكم ومصايبنا سيان | لا تذكروا الأخلاق بعد حياكم |
| ١١٩ | ٢ | إلا بقية دمع في مآقينا | لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا |
| ١٢٤ | ٢ | فيا ليتني ويا ليتني | نعمن بنفسي وأشقيتي |
| ١٨٣ | ٢ | وقد عقدت هوج الخلوب لسان | دماني رفاق والقسواني مريضة |
| ٢٢٦ | ٢ | وخطبه من صنوف الحزن ألوانا | أما (أمين) فقد ذقنا لمصره |
| ٢٣٦ | ٢ | ومكرم الضيف أمسى ضيف رضوان | مسدى الجليل بلا من يذكره |
| ٢٤٣ | ٢ | إليك ومثل خطبك لا يهون | مضيت ولحن أحوج ما نكون |
| ٢٤٥ | ٢ | لبدرتم غاب قبل الأوان | شوقماني أيها الفرقدان |
| ٢٤٨ | ٢ | أمسى من الأرض يحويه ذراعان | إن الذي كانت الدنيا بقبضته |

(حرف الهاء)

| | | | |
|-----|---|--------------------------------|---------------------------------|
| ٣٧ | ١ | ودان لك المقدار حتى أمناه | ترامى لك الإقبال حتى شهدناه |
| ١٤١ | ١ | مد زانه شرف النهى | شرف الرئاسة يا محمد |
| ٢١١ | ١ | على حاة القسواني أينما تاهوا | يا لهلة ألهنتني ما أتيت به |
| ١٢٠ | ٢ | ومر بي فيك عيش لست أساء | كم مر بي فيك عيش لست أذكره |
| ٢٠٠ | ٢ | ما كنت عن ذكر رب العرش باللاهى | يا عابد الله ثم في القبر مغتبطا |
| ٢٤٦ | ٢ | ومالك الأرواح أولى بها | وديمة ردت إلى ربها |

(حرف الياء)

| | | | |
|-----|---|-------------------------------|----------------------------|
| ٧٧ | ١ | أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديها | حسب القوافى وحسب حين ألقيا |
| ٨٢ | ٢ | قصيد الحميد وبالرعايه | أى (مكهون) قدمت بال |
| ١٤٩ | ٢ | فكبر وهلل وألق ضيفك جاثيا | أيا قبر هذا الضيف آمال أمة |
| ١٩٠ | ٢ | شاخ من صروح آل على | دك ما بين ضحوة وعشى |

فہرست

قصائد لم تنشر فی الطبعة الأولى

صفحة

(حرف التاء)

٢٦٥ ربحم الله صاحب النظرات غاب عنا في أخرج الأوقات

(حرف الدال)

٢٥٧ إن صح ما قالوا ، وما أرىفوا ، وألصقوا زورا بدين العبد

(حرف الراء)

٢٥٩ علمونا الصبر يطفى ما اسمر إنما الأبر لمفجوع صبر

(حرف العين)

٢٦٧ حبس اللسان وأطلق الدما ناع أصم بنعيك السما

(حرف الكاف)

٢٥١ ولت بشاشة دنيانا ودنياك وفارق الأنس مغناقا ومغناك

٢٥٢ يا مليكا برغمه يلبس التا ج ويرق لعرشه مملوكا

(حرف اللام)

٢٥٢ قصر المدوارة مالليك رابضا والذنب في قصر الإمارة يحجل

٢٦٢ نحن المجد والمحمد غالى آل زغلول فاصبروا لقيالى

(حرف الميم)

٢٥٢ حيد هتا ، وهناك قام الماتم ملك ينوح ، وقايح يترنم

٢٥٣ سخر العلم ليبنى آية فوق شط النيل تبدو كالعلم

٢٥٤ قد خفونا وانتبهنا فإذا نحن غرقى ، وإذا الموت أم

٢٥٨ هدية من شاعر يأس إلى الدمرداشى ول النعم

٢٥٨ رياض الأزبكية قد تحلت بانجاب كرام أنت منهم

(حرف النون)

٢٥٦ ثلاثة من سراء النيل قد حبسوا على مدارسنا سبعين فداانا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٧٧ / ٨٠

ISBN ٩٧٧ - ٢٠١ - ٨٠٦ - ٣

To: www.al-mostafa.com